الجزء الاول من مروج الذهب ومعادن الجوهر
في التاريخ للشيخ الامام العالم
العلامة ابي الحسن علي بن
الحسين المسعودي
رحمه الله تعالى
امين



الحمد لله أهل الحمد ومستوجب الثناء والمجد وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما الى يوم الدين

(باب ذكر جوامع اغراض هذا الكتاب)

أما بعد فانا صنفنا كتابنا فى اخبار الزمان وقدمنا القول فيه فى هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها وأصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار وأخبار الابنية المعظمة والمساكن المشرفة وذكر شأن المبدا وأصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهرا فصار بحرا وما كان بحرا فصار برّا وما كان برّا فصار بحرا على مرور الايام وكرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكى والطبيعى وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الأوتاد ومقادير النواحى والآفاق وتباين الناس فى التاريخ القديم واختلافهم فى بدئه وأوّليته من الهند وأصناف الملحدين وما ورد فى ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الديانيين (ثم اتبعنا ذلك) باخبار الملوك الغابره والامم الداثره والقرون الخاليه والطوائف البائده على مرّ سيرهم فى تغير أوقاتهم وتصنيف أعصارهم من الملوك والفراعنة العاديه والاكاسرة واليونانيه وما ظهر من حكمهم ومقاتل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم وأخبار

قوله كتابنا أى الاعظم كما يؤخذ من لاحقه اهـ

العناصر الى ما فى تضاعيف ذلك من أخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى أن افضى الله بكرامته وشرّف برسالته محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فذكرنا مولده ومنشاه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه الى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين الى الوقت الذى شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقى لله امير المؤمنين وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (ثم اتبعناه) بكتابنا الاوسط فى الاخبار على التاريخ وما اندرج فى السنين الماضية (ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وما تلاه من الكتاب الاوسط رأينا) ايجاز ما بسطناه واختصار ما وسطناه فى كتاب لطيف نودعه لمع ما فى ذينك الكتابين مما ضمناهما وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان وتنتصل من اغفال أو عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والزابج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية وأذربيجان والهوات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيرى فى الافاق سرى الشمس فى الاشراق كما قال بعضهم

تيمم أقطار البلاد فتارة * لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى * الى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا فى أصناف الملوك على تغاير اخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا بمسالك مسالك من مواقفهم على ان العلم قد بادت آثاره وطمس مناره وكثر فيه العناء وقل الفهماء فلا تعاين الا موهما جاهلا ومتعاطيا ناقصا قد قنع بالظنون وعمى عن اليقين لم نر الاشتغال بهذا الضرب من العلوم والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن أصول الديانة وكتاب المقادير فى أصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظر الادلة فى أصول الملة وما اشتمل عليه من أصول الفتوى وقوانين الاحكام كنيقن القياس والاجتهاد فى الاحكام ووقع الرأى والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهى والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وافعال النبى صلى الله عليه وسلم وما ألحق بذلك من أصول الفتوى ومناظرة ابناء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم فى شئ منه وكتاب الاستبصار فى الامامة ووصف أقاويل الناس فى ذلك من أصحاب النص والاختيار وحجاج كل فريق منهم وكتاب الصفوة فى الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا فى ضروب علم الظواهر والبواطن والخفى الدائر وايقاظنا على ما يرتقبه المرتقبون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع فى الارض وينبسط فى الجدب والخصب وما فى عقب الملاحم الكائنة الظاهر انباؤها المتجلى أوائلها الى سائر كتبنا فى السياسة

كالسياسة المدنية واجزاء المدينة ومثلها الطبيعية وانقسام اجزاء تسكورا المدينة
ومثلها الطبيعية منه وانقسام أجزاء الملة والابانة عن المواد وكيفية تركيب العوالم
والاجسام السماوية وما هو محسوس وغير محسوس من الكثيف واللطيف وما قال
أهل النحلة فى ذلك وكان ما دعانى الى تأليف كتابى هذا فى التاريخ وأخبار العالم وما
مضى فى أكناف الزمان من اخبار الانبياء والملوك وسيرها والامم ومساكنها محبة احتذاء
الشاكلة التى قصدها العلماء وقفاها الحكماء وأن يبقى للعالم ذكرا محمودا وعلما منظوما
عتيدا فانا وجدنا مصنفى الكتب فى ذلك مجيدا ومقصرا ومسهبا ومختصرا ووجدنا
الاخبار زائدة مع زيادة الايام حادثة مع حدوث الازمان وربما غاب البارع منها على
الفطن الذكى ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته ولكل اقليم عجائب يقتصر
على علمها أهله وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى اليه من الاخبار عن اقليمه كمن قسم
عمره على قطع الاقطار ووزع ايامه بين تقاذف الاسفار واستخراج كل دقيق من معدنه
واثارة كل نفيس من مكمنه وقد ألف الناس كتبا فى التاريخ والاخبار مما سلف وخلف
فأصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه وأظهر مكنون جوهر فطنته
كوهب بن منبه وأبى مخنف لوط بن يحيى العامرى ومحمد بن اسحاق والواقدى
وابن الكلبى وأبى عبيدة معمر بن المثنى وأبى العباس الهمدانى والهيثم بن عدى
الطائى والشرقى بن القطامى وحماد الراوية والاصمعى وسهل بن هارون وعبد الله
ابن المقفع واليزيدى ومحمد بن عبد الله العتبى والامدى وأبى زيد سعيد بن أوس
الانصارى والنضر بن شميل وعبيد الله بن عائشه وأبى عبيد الله القاسم بن سلام
وعلى بن محمد المدائنى ودمار بن ربيع ابن سلة ومحمد بن سلام الجمحى وأبى عثمان عمرو
ابن بحر الجاحظ وأبى زيد عمرو بن شبة النميرى والزرقى الانصارى وأبى السائب
المخزومى وعلى بن محمد بن سليمان النوفلى والزبير بن بكار والانجيلى والرياشى وابن
عائدة وعمار بن وسيمة المصرى وعيسى بن لهيعة المصرى وعبد الرحمن بن عبد الله بن
عبد الحكم المصرى وأبى حسان الزيادى ومحمد بن عيسى الخوارزمى وأبى جعفر
محمد بن أبى السرى ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراسانى صاحب كتاب الدولة واسحاق
ابن ابراهيم الموصلى صاحب كتاب الاغانى وغيره من الكتب والخليل بن الهيثم الهرثمى
صاحب كتاب الحيل والمكائد فى الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدى ومحمد
ابن سليمان المنقرى الجوهرى ومحمد بن زكريا العلاءى المصرى المصنف للكتاب المترجم
بكتاب الاجراد وغيره وابن أبى الزينى مؤدب المكتفى بالله واحمد بن محمد الخزاعى
المعروف بالخاقانى الانطاكى وعبد الله محمد بن محفوظ البلدى الانصارى صاحب أبى
يزيد عمارة بن زيد المدنى ومحمد البرقى بن خالد البرقى الكاتب صاحب التبيان وولده أحمد
ابن محمد بن خالد البرقى وأحمد بن أبى طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره
وابن الوشاء وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الامويين وغيره ومحمد
ابن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب

اخبار

اخبار ابراهيم بن المهدى وغيرها ومحمد بن الحرث التغلبى صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبى سعيد السكرى صاحب كتاب أبيات العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن دارية فانه كان اماما فى التاليف متنوعا فى ملاحة التصنيف اتبعه من يعتمد وأخذ منه ووطئ على عقبه وقفا أثره واذا أردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير فى التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة فى المسالك والممالك وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته واذا تفقدته حمدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن فى ايامهم واخبارهم تأليف محمد بن على وكتاب النسب لاحمد بن على البلاذرى وكتابه أيضا فى البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وما فتح فى ايامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الاخبار فى ذلك ووصف البلدان فى الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم فى فتوح البلدان احسن منه وكتاب داود بن الجراح فى التاريخ الجامع لكثير من اخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن فى الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سوار المعروف بابن اخت عيسى بن برخان شاه بلغ فى تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبى عيسى بن المنجم على ما انبات به التوراة وغير ذلك من اخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير فى ايامهم تأليف أبى عبد الرحمن خالد بن هشام الاموى وكتاب القاضى أبى بشر الدولابى فى التاريخ والكتاب الشريف تأليف أبى بكر محمد بن خلف وكيع القاضى فى التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمى وكتاب السير والاخبار لاسحاق ابن سليمان الهاشمى وكتاب سير الخلفاء لابى بكر محمد بن زكرياء الرازى صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره وأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته واما تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الزاهى على المولفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار وكذلك تاريخ ابى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطى النحوى الملقب بنفطويه محشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تأليفا واملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولى فى كتابه المترجم بكتاب الاوراق فى اخبار الخلفاء من بنى العباس وبنى امية وشعرائهم ووزرائهم فانه ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا من العلم ممدودا من المعرفة مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابى الحسن على بن الحسن المعروف

بابن الماشطة فانه بلغ فى تصنيفه الى آخر ايام الراضى بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ معربا للمعانى واذا أردت علم ذلك فانظر فى كتابه فى الاخبار المعروفة باخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ما قد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه فى كتابه فى الاخبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسى الذى عارض فيه المبرد فى كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطى الكاتب فى اخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح فى الوزراء وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى اخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلا القلوب تأليف المصرى وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن ابن عبد الرزاق المعروف بالجوزجانى السعدى وكتاب التاريخ واخبار الموصل تأليف أبى ذكوة الموصلى وكتاب تاريخ أحمد بن أبى يعقوب المصرى فى اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ فى اخبار الخلفاء من بنى العباس وغيرهم لعبد الله بن الحسين بن معد الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبى الازهر فى التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الهرج والاحداث ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الجرجانى حين انتحل ما ليس من صناعته واستنهج ما ليس من طريقته قد الف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام فى اخلاق النفس واقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لمعا من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون فى كتابه فى السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم انها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة فى التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهل التأليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فانما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ما ليس من مهنته ولو أقبل على الذى انفرد به من علم اقليدس والمخروطات والمجسطى والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيئات ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه واتى بما هو اليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلل مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضع كتابا فقد استهدف فان أجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقذف قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث فى معرفة أسماء الرجال واعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من ان نأتى على ذكره فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من جملة الآثار ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر

على اختلاف أنواعهم وتنازعهم فى آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من أهل الاراء والنحل والمذاهب والجدل الى سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان والكتاب الاوسط (وقد وسمت كتابى هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوالع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة فى معناه وغرر مؤلفاتنا فى مغزاه وجعلته تحفة للاشراف من الملوك وأهل الدرايات لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة اليه وتنازع النفوس الى علمه من دراية ما سلف وغبر فى الزمان وجعلته مسهما على اغراض ما سلف من كتبنا ومشتملا على جوامع يحسن بالاديب العاقل معرفتها ولا يعذر فى التغافل عنها ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقة من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو اشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى من العبارات فمن حرّف شيأ من معناه أو ازال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه أو غيره أو بدله أو أشانه أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم عليه من قوة ونعمة مبتدع السموات والارض من أى الملل كان والاراء انه على كل شئ قدير وقد جعلت هذا التخويف فى اول كتابى هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى أو غلبه شقاء فليراقب أمر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وما حوى كل باب منها من أنواع الاخبار وبالله التوفيق

(ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب) قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لاغراضه فلنذكر الآن جملا من كمية أبوابه على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه لكى يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك

ذكر

قال المسعودي فهذه جوامع ما حوى هذا الكتاب من الابواب على انه ياتي في كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الاخبار والآثار مالم تأت عليه تراجم الابواب وهو مرتب على حسب ماقدمناه من أبوابه على تفصيل منا التاريخ الخلفاء ومقادير اعمارهم بابواب نفردها عن سيرهم واخبارهم ثم نعقب بعد ذلك بالغرر من اخبارهم والعيون من سيرهم والجوامع مما كان في اعصارهم واخبار وزرائهم وماجرى من أنواع العلوم في مجالسهم ملوحين بذلك الى ماسلف من تصنيفنا وتقدم من تأليفنا في هذه المعاني والفنون وعدد ما اجتمع من جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب مائة واثنان وثلاثون بابا اولها ذكر جميع اغراض هذا الباب * والثاني ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب وآخرها

ذكر من حج بالناس من اول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل القابهم

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله

(ذكر المبدء وشأن الخليقة وذرء البرية)

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ماخلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى ن والقلم ومايسطرون والحوت في الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القران حكاية عن قول لقمان لابنه يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها الجبال فقرت الارض وذلك قوله تعالى

وجعل

وجعل فيها رواسى أن تميد بكم وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها
فى يومين فى يوم الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض
فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها
وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين
تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وانما سمى
الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال وأوحى فى كل سماء أمرها يقول
خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة
خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة
من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء
والسماء السابعة من نور قد طبقها الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه
قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة عام تحت
الارض السابعة ورؤسهم تحت العرش من غير ان تبلغ العرش وهم يقولون لا اله الا الله
ذو العرش المجيد فهم على ذلك منذ خلقوا الى أن تقوم الساعة وتحت العرش بحر تنزل منه
أرزاق الحيوان يوحى الله تعالى اليه فيمطر ما شاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهى الى موضع
يقال له الابرم فيوحى الله الى الريح فتحمله الى السحاب فتغربله وتحت سماء الدنيا بحر من
ماء يطفح فيه من الدواب مثل ما فى بحور الارض مستمسك بالقدرة وان الله تعالى أسكن ظهر
الارض لما فرغ من خلقها الجن قبل آدم فجعلهم من مارج من نار وابليس فيهم فنهاهم الله
ان يسفكوا دم البهائم ويظهروا المعصية بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما رآهم ابليس
لا يقلعون عن ذلك سأل الله تعالى ان يرفعه الى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة
وأرسل الله الى الجن وهم حزب ابليس قبيلا من الملائكة فطردوهم الى جزائر البحار وقتلوا
من شاء الله منهم وجعل الله ابليس على سماء الدنيا خازنا فوقع فى صدره كبر ثم شاء الله عز
وجل ان يخلق آدم فقال الله للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة فقالوا ربنا وما يكون ذلك
الخليفة قال تكون له ذرية ويفسدون فى الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فقالوا ربنا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا
تعلمون ثم بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت له الارض انى أعوذ بالله منك
أن تنقصنى فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت
له مثل ذلك فرجع ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه فقال وأنا أعوذ
بالله ان أرجع ولم أنفذ الامر فأخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج بنوا آدم
مختلفين فى الالوان وسمى آدم لانه أخذ من أديم الارض وقيل غير ذلك ووكل الله ملك
الموت بالموت وجبله الله تعالى وتركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض أربعين سنة ثم
تركه حتى انتن وتغير أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير منتن ثم صوره
وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة

وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه برجله فيظهر له صوت كظهور من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير ماذكرنا وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يارب أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذى كنت مستخلفا فى الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وأنا الذى عبدتك فى سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فأنظره الله الى الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذى من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى ان آدم كان محرابا للمأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والمحنة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى فى آدم من روحه فكان كلما دخل فى بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودى) وماذكرناه من الاخبار فى مبدا الخليقة هو ماجاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقى عن الماضى فعبرنا عنهم على حسب مانقل الينا من ألفاظهم ووجدناه فى كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف من وافق ذلك وانقاد اليه من أهل الملل القائلين بالحدوث ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالقدم اذ كرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وقد ذكرنا فى مواضع كثيرة من كتابنا هذا جملا من علوم النظر والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الآراء والنحل على طريق الخبر وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قال ان الله حين شاء تقدير الخليقة وذرء البرية وابداع المبدعات نصب الخلق فى صور كالهباء قبل دحو الارض ورفع السماء وهو فى انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح نورا من نوره فلمع ونزع قبسا من ضيائه فسطع ثم اجتمع النور فى وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله عز من قائل أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من اجلك أسطح البطحاء وأموج الماء وارفع السماء واجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وانصب أهل بيتك للهداية وأوتيهم من مكنون علمى مالا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفى واجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على قدرتى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والاخلاص بالوحدانية فبعد أخذ ما أخذ جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمدا وآله وأراهم ان الهداية معه والنور له والامامة فى آله تقديما لسنة العدل وليكون الاعذار متقدما ثم أخفى الله الخليقة فى غيبه وغيبها فى مكنون علمه ثم نصب العوالم وبسط الزمان وموج الماء وأثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على الماء فسطح الارض على ظهر الماء ثم استجابهما الى الطاعة فاذعنا بالاستجابة ثم انشأ الله الملائكة من أنوار ابدعها وارواح اخترعها وقرن توحيده بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

فشهرت في السماء قبل بعثته في الارض فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة وأراهم ما خصه به من سابق العلم حيث عرّفه عند استنبائه اياه اسماء الاشياء فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد اليها الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد ما سماه اماما عند الملائكة فكان حظ آدم من الخبر ما أواه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان الى ان وصل محمدا صلى الله عليه وسلم في ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرًّا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذي قدمه الى الذرّ قبل النسل فمن وافقه واقتبس من مصباح النور المقدم اهتدى الى سره واستبان واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تنقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين وأشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ما روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من اسانيد هذه الاخبار وطرقها الا انا قد اتينا على جميع ذكرها واتصالها في النقل عن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل في هذا الكتاب وأما ما وجدت في التوراة فهو ان الله تعالى ابتدأ الخلق في يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه السلام قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وأما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الأحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ في آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم واسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس ببيسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتثر في بلاد الهند فقال والله أعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه المواقيت وكان منه الماس وفي جزائر بحره السنباذج وفي قعره مغاص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها معه صرّة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة اصناف الثمار منها عشرة مما له قشر وهي الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهي الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والعناب والمقل والشاهلوج وهذا اسم فارسي وتفسيره ملك الاجاص ومنها ما لا قشر له ولا يزال دون مطعمها والنوى داخلها وهي التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى

والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذى يسمى عرفة وتعارفهما فيه سمى بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمى الذكر قاين والانثى لوبذاء ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وانثى فسمى الذكر هابيل والانثى اقليماء وقد تنوزع فى اسم الولد الاول فذهب الاكثر من أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قاين على ما ذكرنا ومنهم من رأى ان اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ما قدمناه وقد ذكر على بن الجهم فى قصيدته فى بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتنيا الابن فسمى قاينا * وعاينا من نشئه ما عاينا

فشب هابيل وشب قاين * ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل وفرق فى النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام احتياطا الأقصى ما يمكنه فى ذوى المحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب وقد زعمت المجوس ان آدم لم يخالف فى النكاح بين البطون ولم يتحر المخالفة ولهم فى هذا المعنى شعر يدعون فيه الفضل فى الصلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به فى الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وان هابيل وقاين قربا قربانا فنحر هابيل اجود غنمه وأفضل طعامه فقربه ونحر قاين شر ماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى فى كتابه العزيز من قتل قاين هابيل ويقال انه اغتاله فى برية قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشأم وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير فى تورية وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قاين ثم قال ما حكاه القرآن عنه يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودى) وقد استفاض فى الناس شعر يعزونه الى آدم قاله حين حزن على ولده وأسف على فقده وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح

وبدل أهلها خمطا واثلا * بجنات من الفردوس فيح

وجاورنا عدو ليس ينسى * لعين لا يموت فنستريح

وقتل قاين هابيل ظلما * فوا أسفا على الوجه المليح

فمالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

ارى طول الحياة على غما * وما أنا من حياتى مستريح

ووجدت فى عدة من كتب التواريخ والسير والانساب ان آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول

تنح عن البلاد وساكنيها * فقد فى الارض ضاق بك الفسيح

وقد

وكنت وزوجك الحواء فيها * أآدم من أذى الدنيا مريح
فمازالت مكايدتي ومكري * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن أضحت * بكفك من جنان الخلد ريح

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ما ذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت

أباها بيل قد قتلا جميعا * وصار الحي بالموت الذبيح

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على الماضي والباقي وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه اني مخرج منك نوري الذي به السلوك في القنوات الطاهرة والاورمات الشريفة وأباهي به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعل له خيار الائمة الخلفاء واختم الزمان بمدتهم وأغص الارض بدعوتهم وانشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وقدس وسبح واغش زوجتك على طهارة منها فان وديعتي تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها واشرق جبينها وتلألأ النور في مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسرّ ما يكون من الذكران واتمهم وقارا وأحسنهم صورة وأكملهم هيئة واعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع في اسارير جبهته وبسق في غرة طلعته فسماه آدم شيثا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع وايفع وكهل واستبصر وعز اليه آدم وصيته وعرفه محل ما استودعه وأعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض والمؤدي حق الله الى أوصيائه وأنه ثاني انتقال الذرية الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين أدى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفي في يوم الجمعة لست خلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة وكان قد وصى ابنه شيثا عليه السلام على ولده ويقال ان آدم مات عن اربعين ألفا من ولده وولد ولده وتنازع الناس في قبره فمنهم من زعم ان قبره بني في مسجد الخيف ومنهم من رأى انه في كهف جبل أبي قبيس وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال وان شيثا حكم في الناس واستشرع صحف أبيه وما أنزل عليه في خاصته من الاسفار والاشراع وان شيثا واقع امرأته فحملت بأنوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته لاح النور عليه فلما بلغ الوصاة أوعز اليه شيث في شان الوديعة وعرفه شانها وانها شرفهم وكرسهم وأوعز اليه أن ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وأن ينبهوا أولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة ما دام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا موضع تنازع الناس فيه من أهل الملة ممن قال بالنص وغيرهم من أصحاب الاختيار والقائلون بالنص هم الاباضية أهل الامامة من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والطاهرين من ولده الذين زعموا ان الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما انبياء واما اوصياء منصوص عن اسمائهم واعيانهم من الله ورسوله وأصحاب الاختيار هم فقهاء الامصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من

أصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ما وصفنا من أقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان انوش قد لبث في الارض يعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفي زمن انوش قتل قاين ابن آدم قاتل أخيه ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه في أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة انوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في تموز بعد ما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد مأخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي أحدثت في ايامه أحدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وقصص قد أتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قاين وأكثر هذا النوع بأرض قمار من أرض الهند والى بلدهم اضيف العود القماري فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته في اذار وقام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على ادم احدى وعشرون صحيفة وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده (متوشلخ) بن خنوخ فعمر البلاد والنور في جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس في كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات في أيلول وقام بعده (لمك) وكانت في ايامه كوائن واختلاف وتوفي وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن لمك عليه السلام وقد كثر الفساد في الارض فاشتدت دياجي الظلم فقام في الارض داعيا الى الله فأبوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم فأوحى الله اليه ان اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة اتاه جبريل عليه السلام بتابوت ادم فيه رمته وكان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من أذار فأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة أشهر ثم أمر الله الارض ان تبلع الماء والسماء أن تقلع واستوت السفينة على الجودي والجودي ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلي وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع جنوح السفينة على رأس هذا الجبل الى هذه الغاية وذكر ان بعض الارض لم يسرع الى بلع الماء ومنها ما أسرع الى بلعه عند ما أمرت فما أطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تأخر عن القبول اعقبها الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذي امتنعت الارض من بلعه انحدر الى قعور مواضع من الارض فمن ذلك البحار وهي بقية ماء غضب اهلك به امم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها ونزل

نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث ازواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا الى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ودبر عقب هؤلاء الثمانين نفسا وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده وقد اخبر الله عز وجل بذلك بقوله وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التأويل والمتخلف عنه من ولده الذى قال له يابنى اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده اقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ماقد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث فى مسكن سام ووجدت فى التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا مساكنهم فى البر والبحر على حسب مانذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل فى الارض ومساكنهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم بن سام عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن غاثر بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الحجر بين الشأم والحجاز فارسل الله اليهم اخاهم صالحا وكان من أمرهم مع صالح ماقد اتضح أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من اخباره واخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشأم ومنهم العماليق تفرقوا فى البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر فى باب تنازع الناس وانساب الفرس من هذا الكتاب من الحق كيومرث باميم وقيل ان اميما نزل أرض وبار وهى التى غلبت عليها الجن على مازعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عبيل بن عوص اخى عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماش ابن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماش وهو الذى بنى الصرح ببابل وجسر جسرا ببابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفى زمانه فرق الله الالسن فجعل فى ولد سام تسعة عشر لسانا وفى ولد حام سبعة عشر لسانا وفى ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا فى موضعه الذى يوجد فى كتابنا هذا وتفرق الناس فى البلاد وماقالوا فى ذلك من الاشعار عند تفرقهم فى البلاد بارض العراق ويقال ان فالغ هو الذى قسم الارض بين الامم ولذلك سمى فالغ وهو فالغ أى قاسم بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ الذى قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر بن شالخ وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو أول من حياه ولده بتحية الملك أنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حيا بهذه التحية الملك من ملوك الحيرة وقحطان أبو اليمن كلها على حسب مانذكر ان شاء الله تعالى فى باب تنازع الناس فى انساب اليمن من هذا الكتاب وهو اول من تكلم بالعربية

لاعرابه عن المعاني وابانته عنها في يقطن بن عابر بن شالخ وهو جرهم وجرهم بن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب ما نورده من اخبارهم وقطور بنو عم لهم ثم اسكنها الله اسماعيل عليه السلام ونكح في جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حي لان الله عزوجل أوحى الى سام ان الذي وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم في وسط الارض فوكل مالكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك في أيلول وكان عمره الى ان قبضه الله عزوجل ستمائة سنة وكان القيم بعد سام في الارض ولده (ارفخشذ) وكان عمره الى ان قبضه الله عزوجل أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته في نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالخ) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عزوجل اربعمائة سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت في ايامه كوائن وتنازع في مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عزوجل اليه ثلثمائة وأربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عزوجل مائتي سنة وسبعا وثلاثين سنة وقد قدمنا ذكره في هذا الكتاب فيما سلف وما كان بأرض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان في زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتي سنة وكانت وفاته في نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه في ايامه ظهرت عبادة الأصنام والصور لضروب من العلل احدثت في الارض وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتي سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله ساروغ قام بعده (ناحور) بن ساروغ مقتديا بمن سلف من آبائه وحدث في ايامه رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام قبله وأحدثت في ايامه ضروب من المحن والآلات وكانت في ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وستا وأربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفي عصره كان نمروذ بن كنعان وفي ايام نمروذ حدثت في الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب في العبادات وكان في الارض رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الآلات وقرب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر أصحاب النجوم الى طالع السنة التي ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فأخبر النمروذ ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فأمر النمروذ بقتل الولدان واخفي ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عزوجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الأنبياء والملوك من بني اسرائيل وغيرهم

ولما نشا ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التي كان بها وتامل آفاق الارض

والعالم

والعالم ومافيه من دلائل الحدوث والتأثير نظر الى الزهرة واشراقها فقال هذا ربي فلما رأى القمر أنور منها قال هذا ربي فلما رأى الشمس أبهر مما رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فأتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتي رشده من قبل ومن أوتي رشده فقد عصم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه مارأى من عبادتهم واتخاذهم المجوفات آلهة لهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لآلهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمروذ النار وألقاه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخمدت النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسماعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة اول من آمن بابراهيم عليه السلام وهي ابنة بتوايل بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح ابن ناحور وهو ابن أخي ابراهيم عليه السلام وأرسل الله (لوطا) الى سدوم وقراها الخمس وهي صبغة وعمره وادماء وصبوغ وبالع وان قوم لوط هم أصحاب المؤتفكة وهذا الاسم مشتق من الافك وهو الكذب على رأي من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله في كتابه بقوله والمؤتفكة أهوى وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلي الاردن وبلاد فلسطين الآن ذلك في حيز الشام وهي مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس السفار سوداء فأقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فأخذهم العذاب على حسب ما اخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسماعيل) هاجر الى مكة فأسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل افئدة من الناس تهوي اليهم واهلك الله قوم لوط في عهد ابراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ثم ولد لابراهيم من سارة (اسحاق) عليه السلام وذلك بعد مضي عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس في الذبيح فنهم من ذهب الى انه اسحاق ومنهم من رأى انه اسماعيل فان كان الامر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح اسماعيل لان اسحاق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشأم فالذبيح اسحاق لان اسماعيل لم يدخل الشأم بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولد له منها ستة ذكور وهم مرق ونفس ومدن ومدين وسنان وسرح وتوفي ابراهيم بالشأم وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وأنزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحاق بعد ابراهيم بوبحا ابنة بتوايل فولدت له (العيص و يعقوب) في بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحاق في وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحاق

فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة فى ولده ودعا للعيص بالملك فى ولده وكان عمر اسحاق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس فى مسجد هنالك يعرف بمسجد ابراهيم ومزارعه وقد كان اسحاق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثنى عشر وهم (لاوى ويهوذا ويساخر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالى وكان واشار وشمعون وروبيل) هؤلاء الاسباط والنبوة والملك فى عقب أربعة منهم لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين وكثير جزع يعقوب من أخيه العيص فآمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فأعطى يعقوب لأخيه العيص العشر من غنمه استكفاء للشر وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاقبه الله فى ولده لمخالفته لوعده فأوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى قولى فلأجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى ان فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك وكان من أمره مع اخوته ما قص الله عز وجل فى كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك فى أمته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة وأربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحاق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلى بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهنالك مسجده وقيل ان يوسف أوصى ان يحمل فيدفن عند قبر أبيه يعقوب فى مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان فى عصره (أيوب) النبى صلى الله عليه وسلم وهو أيوب بن موص بن رزاح بن رعوايل بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك فى بلاد الشام من أرض حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله فى نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من اخباره فى كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذى كان يأوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة فى ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبى قبل موسى بن عمران وانه هو الذى طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض أهل الكتب ان (الخضر) هو خضرون ابن عمائيل بن النصير بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم وانه أرسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر فى زمن فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبى نمير بن الهلواس بن ليث بن هران بن عمرو بن عملاق وهو الرابع من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد استرقوا بعد مضى يوسف واشتد عليهم البلاء وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان مولودا

سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر اموراعظيمة فجزع لذلك فرعون وأمر بذبح الاطفال وكان من أمر موسى ما أوحى الله عزوجل الى امه فى أمره ان اقذفيه فقذفته فى اليم الى آخر ما اقتص من خبره وأوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويت بن رعويل بن مربن عنقاء بن ميدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من أهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبى صلى الله عليه وسلم وكان من أمره معه وتزويجه ابنته ماقدذكره الله عزوجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده بأخيه (هارون) وبعثهما الى فرعون فخالفهما فاغرق الله عزوجل فرعون وأمره الله عزوجل بالخروج ببنى اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة ألف بالغ دون من ليس ببالغ وكانت الالواح التى أنزلها الله على موسى بن عمران على جبل طورسيناء من زمرذ أخضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل رأى قوما من بنى اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فارتعد فسقطت الالواح من يده فتكسرت فجمعها وأودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله فى الهيكل وكان هارون كاهنا وهو قيم الهيكل وأتم الله عزوجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو فى التيه وقبض الله هارون فى التيه فدفن فى جبل مران من نحو جبل الشراء مما يلى الطور وقبره مشهور فى مغارة عادية يسمع منها فى بعض الليالى دوى عظيم يجزع منه كل ذى روح وقيل انه غير مدفون بل هو موضوع فى تلك المغارة ولهذا الموضع خبر عجيب قد ذكرناه فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والممالك الدائرة ومن وصل الى هذا الموضع علم ماوصفنا وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر وقبض الله هارون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائة وعشرين وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هارون بثلاث سنين وانه خرج الى الشأم وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البرالى العماليق والعربانيين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرهم من الطوائف على حسب مافى التوراة وأنزل الله عزوجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم أنزل الله عليه التوراة بالعربية وفيها الامر والنهى والتحريم والتحليل والسنن والاحكام وذلك فى خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذى فيه السكينة من الذهب بن ستمائة ألف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا لافصار الكاهن بعد هارون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم يحدث لموسى ولا لهارون شئ من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عزوجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببنى اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فاسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت له معهم وقائع فافتتح بلاد أريحاء من ارض الغور وهى أرض البحيرة المنتنة التى لاتقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهى ماء بحيرة طبرية وهو الاردن وبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كيقولى وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها متميزا

عن مائم سافيغوص فى وسطها وهو نهر عظيم فلا يدرى اين غاص من غيران يزيد من البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة اعنى المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد أتينا على ذلك فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا اخبار الاحجار التى تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها باالحجر اليهودى وذكرته الفلاسفة واستعملته فى الطب لمن به وجع الحصاة فى المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة يخرج الغبار المعروف بالحمرة وليس فى الدنيا والله أعلم بحيرة لا يتكون فيها ذو روح من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها ببلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة وهى المعروفة هنالك بكنودان وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون الحيوان فى البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كنودان وينبغى على قياس قولهم ان تكون عنهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشام وكانت مدة يوشع بن نون فى بنى اسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدؤ محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين ففى ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمى

ألم تر ان العلقمى بن هوبر * بايلة أمسى لحمه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل * ثلاثون ألفا حاسرين ودرعا
فامست عداد العماليق بعده * على الارض مشيا مصعدين وفزعا
كان لم يكونوا بين أجبال مكة * ولم يرراء قبل ذاك السميدعا

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران وكان مستجاب الدعوة فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتات له ذلك وعجز عنه فأشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام فى بنى اسرائيل بعد يوشع ابن نون (كالب) بن يوقنا بن بارض بن يهوذا و يوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودى) ووجدت فى نسخة ان القائم فى بنى اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون (وشان) الكعرى وانه أقام فيهم ثمانين سنة وهلك وملك (عمايل) بن قائم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان بنى أسرائيل كفرت بعد ذلك فملك الله عليهم (كنعان) عشر سنين وهلك فكان على بنى اسرائيل (علان) الاخبارى أربعين سنة ثم قام (سمويه) الى ان وليهم طالوت وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين (قال المسعودى) فاما على الرواية الاولى التى قدمنا ذكرها فالقائم بعده فى بنى اسرائيل والمدبر لهم فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها فى خابية نحاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت

المقدس وذلك قبل بنائه وانفرجت فاذا مغارة فيها صخرة ثانية فوضع الخابية فيها وانضمت الصخرة على ذلك كـكونها أولا ولما هلك فينحاس بن العزر دبر أمرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبد بنى اسرائيل وأخذهم البلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيال بن قنازاخو كالاب من سبط يهوذا أربعين سنة ثم دبرهم عغلون ملك هاب بجهد شديد ثمان عشرة سنة ثم دبرهم أهوذ من ولد افرايم خمسا وعشرين سنة ولخمس وثلاثين سنة خلت من ايامه تم للعالم أربعة آلاف سنة وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن أهوذ خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم يابين الكنعانى ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا وقيل انها ابنته وضمت اليها رجلا من سبط نفتالى يقال له باراق أربعين سنة ثم تداولتهم رؤساء بنى اسرائيل وهم عريب وريب وبرسونا ودارع وصلناع تسع سنين وثلاثة أشهر ثم دبرهم كذعون من آل ميشا أربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه أبيمالخ ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم توبع من ال فراين ثلاثة وعشرين سنة ثم سابه من آل ميشا اثنتين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثمانى عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم يحثون من بيت لحم سبع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ثم عالى الكاهن بعد ذلك أربعين سنة وفى زمانه ظفر البابليون ببنى اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنوا اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وابناءهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون فبقى منهم ثلاثة اسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة من جزائر البحر وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا لحزقيل هل رأيت قوما أصابهم ما أصابنا قال لا ولا سمعت بقوم فرّوا من الله فراركم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام فماتوا عن آخرهم ودبر بنى اسرائيل بعد عالى الكاهن شمويل بن بروحان بن ناحورا ونبئ فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح أمرهم فخلطوا بعد ذلك فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل معنا فى سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو ساود بن بشر بن ابنال بن طرون ابن بحرون بن افيح بن سميداح بن فالح بن بنيامين بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل من مصر الى ان ملك على بنى اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما اخبر الله عز وجل فى كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم وأخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بنى اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس

قوله فينحاس الخ ويقال فيه أيضا فينحاص بن العازر

قوله خمسا وعشرين سنة الذى فى جهينة الاخبار وفى غيره ثمانين سنة

قوله عشرين سنة الذى فى جهينة الاخبار وغيره احدى عشرة سنة

من البربر وهو جالوت بن بالول بن ريال بن حطال بن فارس فنزل بساحة بنى اسرائيل فأمر شمويل طالوت بالمسير ببنى اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك فى كتابه وأمروا كيف يشربون من النهر فولغه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان فى مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عز وجل بذلك فى كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذى كان فى مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهى التى قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا فى الماء وخالفوا ما أمروا به كان القاتل لهم طالوت وقد أتينا على خبر الدرع التى كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من هذه الحروب وخبر الدهن الذى استدار على رأسه وخبر طالوت واخبار البربر وبدء شأنهم فى كتابنا فى اخبار الزمان وسنورد بعد هذا جملا من اخبار البربر وتفرقهم فى البلاد فى الموضع اللائق بها من هذا الكتاب (ورفع الله ذكر داود) واخمل ذكر طالوت وأبى طالوت ان يفى لداود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه ابنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فأغتاله فمنعه الله عز وجل من ذلك فأبى داود ان ينافسه فى ملكه ونما أمر داود فمات طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كمدا وانقادت بنوا اسرائيل الى داود عليه السلام وكان مدة طالوت عشرين سنة وذكران الموضع الذى قتل فيه جالوت نيسان من أرض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل موات من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث ما يكون مع بخت نصر وما يكون من أمره فى المستقبل وثلث ما يلقون من أهل أنور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة داود وبنى داود بيتا للعبادة بأورشليم وهى بيت المقدس وهو البيت الباقى لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس فى بيت المقدس اعلى منه فى هذا الوقت وقد يرى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل فى كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس فى خطيئة داود فمنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الانبياء المعاصى وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا وذلك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية اورياء بن حيان ومقتله على ماذكرنا فى كتاب المبتدا والخبر

وغيره وتاب الله عزوجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها صائما باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة ونشأ سليمان بن داود عليه السلام وبرع وداخل أباه في قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عزوجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ولده سليمان وقبض فكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين ألفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب بأس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة في عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء بن مربد ابن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن جسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا من الله عزوجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا في الارض مظهرا للحكمة والزهد في هذا العالم الى ايام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وعم عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذى بارك الله عزوجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذى يسمى في وقتنا هذا كنيسة القمامة وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون ان فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عزوجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عزوجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

ذكر مالك بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام ومن تلاه من بني اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء

وملك على بني اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحبعم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الا سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان ملكه الى ان هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة اسباط (نورهم) وكانت له كوائن وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عزوجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (لودم) فاظهر عبادة الاصنام والتماثيل وكان ملكه سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان) فبذلت السيف في ولد داود عليه السلام فلم ينج منهم الا غلام فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعلها فقتلوها وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذى بقي من نسل داود فملك وله سبع سنين فاقام ملكا أربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (مليصا) وكان ملكه اثنين وخمسين سنة وكان في عصره (شعيب) النبي ولشعيب معه اخبار وكانت له حروب قد اتينا على ذكرها في كتاب اخبار الزمان. وملك بعده (نوفا) بن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (اجام) فاظهر عبادة الاصنام فطغى وأظهر البغي فصار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلعيعس وكان من عظماء ملوك بابل وكان للاسرائيلي معه حروب الى ان اسره البابلي وخرب مدن الاسباط ومساكنهم وكان في ايامه تنازع

بين اليهود فى الديانة فنبذتهم الاسامرة وانكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وأبوا ان يكون بعد موسى نبي وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون بن عمران والاسامرة فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن وفى قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعارا وهى بين الرملة وطبرية وغيرها من القرى الى مدينة نابلس واكثرهم فى هذه المدينة اعنى نابلس ولهم جبل يقال له طوريك وللاسامرة عليه صلوات فى أوقاتها ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند أوقات الصلاة وهم الذين يقولون لامساس ويزعمون ان نابلس هى بيت المقدس وهى مدينة يعقوب النبى عليه السلام وهنالك مرعاه وهم صنفان متباينان كتبا ينهم لسائر اليهود واحد الصنفين يقال له الكوشان والآخر الدوستان أحد الصنفين يقول بقدم العالم ومعان غير ذلك أعرضنا عن ذكرها مخافة التطويل وأن كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونحل وكان ملك احاز الى ان أسره الملك الثانى سبع عشرة سنة ولما أسر الملك احاز ولد له ولد يقال له (حزقيل احاز) فاظهر عبادة الرحمن وأمر بتكسير التماثيل والاصنام وفى ملكه سار (سنحاريب) ملك بابل الى بيت المقدس وكانت له حروب كثيرة مع بنى اسرائيل وقتل من أصحابه خلق كثيرون وسبى من الاسباط عددا كثيرا وكان ملك حزقيل الى ان هلك سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعد حزقيل ولد له يقال له (ميشا) فغمر شره سائر مملكته وهو الذى قتل شعيا النبى فبعث الله قسطنطين ملك الروم فسار اليه فى الجيوش فهزم جيشه وأسره فاقام فى أرض الروم عشرين سنة واقلع عما كان عليه وعاد الى ملكه فكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولد له يقال له (أمون) بن ميشا فاظهر الطغيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والاصنام ولما اشتد بغيه سار اليه فرعون الاعرج من بلاد مصر فى الجيوش فامعن فى القتل وأسره ومضى به الى مصر فات هنالك وكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك وملك بعده أخ له يقال له (نوفين) وهو أبو دانيال عليه السلام وفى عصر هذا الملك سار البخت نصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبائل فارس وكان ببلخ وكانت قصبة الملك فامعن البخت نصر فى القتل لبنى اسرائيل والاسر وحملهم الى أرض العراق وأخذ التوراة وما كان فى بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه فى بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبى من بنى اسرائيل ثمانية عشر ألفا وفى هذا العصر كان (أقدمنا) النبى عليه السلام وسار بخت نصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وافتتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بنى اسرائيل فاولدها ولدا فرد بنى اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سنين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زربابل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور فاقام هذا الملك على عمارة أرضهم ستا وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان تلف منهم فى حال السبى والاسامرة تزعم ان التوراة التى فى يد اليهود ليست التوراة التى أورد موسى بن عمران عليه السلام وان تلك حرفت وبدلت وغيرت وان المجدد لها هذا

الملك لانه جمعها ممن كان يحفظها من بني اسرائيل وان التوراة الصحيحة هي في ايدي الاسامرة دون غيرهم وكان ملك هذا الملك ستا وأربعين سنة ووجدت في نسخة أخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو بخت نصر وهو الذي ردهم ومن عليهم وفيه نظر ودبر اسماعيل بن ابراهيم أمر البيت بعد ابراهيم عليه السلام ونبأه الله عز وجل وأرسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الاوثان فآمن طائفة منهم وكفر أكثرهم وولد اسماعيل اثنى عشر ذكرا وهم قائث وقيدار وأربل وميم ومسمع ودوما ودوام وميشا وحداد وحيم وقطورا وماش وكانت وصية ابراهيم الى ابنه اسماعيل عليه السلام ووصى اسماعيل الى أخيه اسحاق عليهما السلام وقد قيل الى ولده قيدار بن اسماعيل وكان عمر اسماعيل الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده قائث بن اسماعيل عليه السلام على منهج اسماعيل وملته وقيل أيضا انه كان وصى أبيه اسماعيل عليه السلام وكان بين سليمان ابن داود وبين المسيح عليهما السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارمينيا ودانيال وعزير وقد تنازع الناس في نبوة أيوب واشعياء وحزقيل والياس واليسع ويونس وذي الكفل والخضر وروى عن اسحاق انه أرمينيا وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود من سبط يهوذا وكانت أيساع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح عليهما السلام وهو عمران بن ماتان بن يعاميم من ولد داود أيضا واسم أم أيساع ومريم حنة ولدت لزكريا يحيى بن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فقتلوه وكان لما أحس بهم لجأ الى شجرة فدخل في جوفها فدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت أيساع ابنة عمران أخت مريم أم المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل الى بني اسرائيل فقام فيهم بأمر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الأحداث في بني اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفا من الناس وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل ولما بلغت مريم بنت عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته في يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من امره ما ذكره الله عز وجل في كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان أيشوع الناصري أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الاردن في كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه في بعض الايام كان يقرأ في سفر اشعياء اذ نظر في السفر الى كتاب من نور فيه انت نبيي وخالصتي اصطفيتك لنفسي فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله في ابن البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من اعمال الاردن وبذلك سميت

النصرانية ورأيت فى هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت ثخين كالرب تتبرك به النصارى وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين والقصارين وقد ذكر أن ميروحنا وشمعون وبولس ولوقا هم الحواريون الاربع الذين تلقوا الانجيل فالقوا اخبر عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبر مولده وكيف عمده يحيى بن زكريا وهو يحيى المعمدانى فى بحيرة طبرية وقيل فى نهر الاردن الذى يخرج من بحيرة طبرية ويجرى الى البحيرة المنتنة وما فعل من الاعاجيب وأتى من المعجزات وما قالت اليهود الى ان رفعه الله عزوجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفى الانجيل خطب طويل فى أمر المسيح ومريم عليهما السلام ويوسف النجار اعرضنا عن ذلك لان الله عزوجل لم يخبر بشئ من ذلك فى كتابه ولا أخبر به محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم

ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم فمن الناس من رأى انهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فمن ذكر أنه نبى حنظلة ابن صفوان وكان من ولد اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وأرسل الى أصحاب الرس وكانوا من ولد اسماعيل بن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة بامر الله عزوجل فقتلوه فأوحى الله الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل من سبط يهوذا ان يأمر بخت نصر يسير اليهم فسار اليهم فأتى عليهم فذلك قوله عزوجل فلما أحسوا بأسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم فى مرثية له فقال

بكت عينى لاهل الرس رعويل وقدمان
وأسلم من أبى زرع * بكال الحى قحطان

وقد حكى عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام فى الفترة وانه كان حلم حلما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه بذى القرنين وللناس فى ذى القرنين تنازع كبير قد اتينا على ذلك فى كتاب اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا الملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس فى أصحاب الكهف فى أى الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا فى زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتى بلمع من خبرهم فى ذكر ملوك الروم فى هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وفيما سلف قبله من كتاب اخبار الزمان وممن كان فى الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد أدرك بعض الحواريين فأرسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عزوجل فقتله فأحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فأحياه الله فأمر بنشره ثالثة واحراقه واذرائه فى دجلة فاهلك الله عزوجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما وردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود فى كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان فى الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل

والصور

والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعوه الى الله عزوجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعربية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بمداخلته اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله عزوجل وقد أخبر الله عزوجل بذلك فى كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سلمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك فى خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وحرمهما فى كنيسة هناك قد ذكرناها فى الكتاب الاوسط عند ذكرنا العجائب رومية واخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم فى البلاد وسنورد فى هذا الكتاب لمعا من اخبارهم ان شاء الله تعالى فأما أصحاب الاخدود فانهم كانوا فى الفترة فى مدينة نجران باليمن فى ملك ذى نواس وهو القاتل لذى سارو كان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد فى الارض وملأها جمرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه فى النار فأتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فابت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فانطق الله عزوجل الطفل فقال يا امه امضى على دينك فلا نار بعد هذه فالقاها فى النار وكانوا مؤمنين موحدين لا على رأى النصرانية فى هذا الوقت فمضى رجل منهم يقال له دمعلبان الى قيصر ملك الروم يستنجده فكتب الى النجاشى لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من أمر سيف بن ذى يزن واستنجاده الملوك الى ان أنجده انوشروان ما قد أتينا على ذكره فى كتابنا فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عزوجل فى كتابه قصة أصحاب الاخدود بقوله عزوجل قتل أصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى وهو خالد بن سنان بن عتب بن عبس وقد ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبى أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت فى العرب فافتتنوا بها وكانت تنتقل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فأخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدأ كل ذى دين يرد الى الله الأعلى لادخلنها وهى تتلظى ولاخرجن منها ومابى سدى فاطفأها فلما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا أنا دفنت فانه سيجىء عانة من حمر وحش يقدمها عير أبتر فتضرب قبرى بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى فانى سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فأرادوا ان يخرجوه

فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تنسبنا العرب الى نبشنا عن ميت لنا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله أحد فقالت كان أبي يقول هذا وسنورد فيما نرد من هذا الكتاب لمعا من اخباره مما تدعو الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وممن كان فى الفترة رئاب الشنى وكان من عبد القيس ثم من شن وكان على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وكان لايموت أحد من ولد رئاب فيدفن الا رأوا واسطا على قبره ومنهم اسعد أبو كرب الحميرى وكان مؤمنا وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على أحمد انه * رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

والزم طاعته كل من * على الارض من عرب أو عجم

وهو أول من كسا الكعبة الانطاع والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذى عظم الله ملاء مقصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذى يقول من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى

وأحكم من قس وأجرى من الذى * بذى الغيل من خفان أصبح خادرا

وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كأنى انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت أما بعد فان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تفور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لاحانثا فيه ولا آثما ان لله لدينا هو أرضى من دين أنتم عليه مالى أراهم يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا ام تركوا فناموا سبل مؤتلف وعمل مختلف وقال أيكم يحفظها فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال أنا أحفظها يارسول الله فقال هاتها فقال

فى الذاهبين الاولـ * ـين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها * تمضى الاوائل والاواخر

لايرجع الماضى ولا * يبقى من الباقين غابر

ايقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لارجو ان يبعثه الله امة (قال المسعودى) ولقس أشعار كثيرة وحكم واخبار مع قيصر فى الطب والزجر والفال وانواع الحكم وقد ذكرنا ذلك فى كتاب اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وممن كان فى الفترة زيد بن عمرو بن نفيل أبو سعيد بن زيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب

وكان

وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام ويعيبها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وصار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له * من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تأثيم فيها * وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما هو ذات يوم في فتية يشرب اذ وقع غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار فقال امية اتدرون ما قال قالوا لا قال فانه يقول لكم ان أمية لا يشرب الكاس الثالثة حتى يموت فقال القوم لنكذبن قوله ثم قال حسوا كاسكم فحسوها فلما انتهت النوبة اليه اغمي عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما * هاأناذا لديكما

أنا من حفت به النعمة والجد والشكر

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

أو قال أنا من حفت به النعمة ولم يجهد في الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتني كنت عند ما قد بدا لى * في رؤس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا * فقصارى أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من أهل المعرفة بايام الناس واخبار من سلف كابي دأب والهيثم بن عدي وأبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد ابن السايب الكلبي ان السبب في كتابة قريش واستفتاحها في أوائل كتبها باسمك اللهم هو أن امية بن أبي الصلت الثقفي خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقريش في عيرلهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا العشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فحصبها بعضهم بشئ في وجهها فرجعت فشدوا على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا لها فقالت ما منعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية قالوا ومن أنت قالت ام العوام أرملت منذ أعوام أما ورب العباد لتفترقن في البلاد ثم ضربت بعصاها الارض أثارت بها الرمل وقالت أطيلي ايابهم وأنفري ركابهم فوثبت الابل فكان كل بعير منها على ذروة ما تملك منها شيأ حتى افترقت في البوادي فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها عادت الى مقالتها ما منعكم ان تطعموا

رجمة الجارية اليتيمة ألا أطلى ابا بهم وأنفرى ركابهم فخرجت الابل ماتملك منها شيأ فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما انخناها فعلت مثل فعلتها الاولى والثانية فتفرقت الابل وأمسينا فى ليلة مقمرة وقد يئسنا من ظهورنا فقلنا لامية بن أبى الصلت أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك فتوجه الى ذلك الكثيب الذى تأتى منه العجوز حتى هبط منه من ناحية أخرى ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية قال أمية فلما وقفت عليه رفع رأسه الى وقال انك لمتبوع قلت أجل قال فمن اين يأتيك صاحبك قلت من أذنى اليسرى قال فباى الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل ولكن يكلمك فى اذنك اليمنى واحب الثياب اليه البياض فما جاءبك وما حاجتك فحدثته حديث العجوز قال صدقت وليست بصادقة هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ اعوام وانها لاتزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال امية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيضن أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى امية قد برص فى عذاريه ورقبته وصدره واسود فى أسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث وكان امية اول من كتب باسمك اللهم الى ان جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها فى اخبار الزمان وغيره فيما سلف من كتبنا ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم لحا وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى اثبت على ما أنت عليه فو الذى نفس ورقة بيده انك لنبى هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن ان أدركت ذلك لانصرن الله نصرا يعلمه وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبى صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لايجزى بسيئة * ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة بن أبى ربيعة وكان من أهل نينوى ولقى النبى صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبى صلى الله عليه وسلم خطب فى الحديقة وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم ومنهم أبو قيس صرمة بن أبى أنس من الانصار من بنى النجار وكان ترهب ولبس المسوح وهجر الاوثان ودخل بيتا واتخذه مسجدا لاتدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * بمكة لا يلقى صديقا مؤاتيا
ومنهم أبو عامر الأوسى وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج فى خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشأم ومنهم عبد الله بن جحش الاسدى من بنى أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان ابن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بأرض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فقحنا وصأصأتم يريد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر وهذا مثل ضربه لهم وذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه بعد ما يولد وهو جرو قد فقح واذا كان يريد ان يفقحهما ولم يفقحهما قيل صأصأ ولما مات عبد الله بن جحش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجها اياه النجاشى ومهرها عنه أربعمائة دينار ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى فى النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام فى تجارة أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومعهما أبو بكر وبلال مروا ببحيرى وهو فى صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده فى كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره وسأله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وأعلم قريشا بما أظهر الله عز وجل من اظهار دلائل نبوته وما أخبر به وما كان منه فى طريقه (قال المسعودى) فهذه جمل مدة الخليقة الى حيث انتهينا من هذا الموضع ولم نشبه بشئ غير ما جاءت به الشرائع ونطقت به الكتب وأوضحت عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام ولنذكر الآن بدء ممالك الهند ولمعا من آرائها ونتبع ذلك بذكر سائر الممالك اذ كنا قد مناذكر ملوك الاسرائليين على حسب ما وجدنا فى كتب الشرعيين والله أعلم

ذكر جمل من اخبار الهند وآرائها وبدء ممالكها وملوكها

ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن العالم وبدئه ان الهند كانت قديم الزمان الغرة التى فيها الصلاح والحكمة فانه لما تجيلت الاجيال وتحزبت الاحزاب حاولت الهند ان تضم المملكة وتستولى على الحوزة وتكون الرياسة فيهم فقال كبراؤهم نحن أهل البدء وفينا التناهى ولنا الغاية والصدر والانتهاء ومنا سرى الاب الى الارض فلا ندع أحدا شاقنا ولا عاندنا وأرادنا الا اغتماص الا أتينا عليه وأبدناه أو يرجع الى طاعتنا فازمعت على ذلك ونصبت لها ملكا وهو البرهمن الاكبر والملك الاعظم

والامام فيها المقدم ظهرت في ايامه الحكمة وتقدمت العلماء واستخرجوا الحديد من المعادن وضربت في أيامه السيوف والخناجر وكثير من أنواع المقاتل وشيد الهياكل ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة وصور فيها الافلاك والبروج الاثنى عشر والكواكب وبين بالصورة كيفية العالم وأورد بالصورة أيضا أفعال الكواكب في هذا العالم واحداثها للاشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها وبين حال المدبر الذي هو الشمس وأثبت كتابه في براهين جميع ذلك وقرب الى عقول العوام فهم ذلك وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك وأشار الى المبدء الاول المعطى سائر الموجودات وجودها الفائض عليها بجوده وانقاد له الهند واخصبت بلادها وأراهم وجه مصالح الدنيا وجمع الحكماء فاحدثوا في ايامه كتاب السند هند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرعت الكتب ككتاب الارجهبر والمجسطي وفرع من الارجهبر الاركند ومن المجسطي كتاب بطليموس ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات وأحدثوا التسعة الاحرف المحيطة بالحساب الهندي وكان أول من تكلم في اوج الشمس وذكر انه يقيم في كل برج ثلاثة الاف سنة ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة والاوج على رأى البرهمن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا والخارب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب في بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الأقدم الذي عليه عمات الهند في تواريخ البردة وظهورها في أرض الهند دون سائر الممالك ولهم في البردة خطب طويل اعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك في الكتاب الاوسط ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان وان العالم اذا قطع هذه المدة عاد السكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل الماء ودب الحيوان وبقل العشب وخرق النسيم الهواء فأما أكثر الهند فانهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تبتدئ القوى مثلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك أجلا ضربوه ووقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى وسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ست وثلاثين ألف سنة مكررة في اثنى عشر ألف عام وهذا عندهم الهازروان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان الدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في اول الكر لانفساح الدوائر وتمكن القوى من المحال وتقصر الاعمار في آخر الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار البائرة للاعمار وذلك ان أقوى الاجسام وصفوها في اول الكر يظهر ويسرح وان الصفو سابق الكدر والصافي يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر اخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور منسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقص القوى وتبيد المواصل وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة فلا تخطى ذوي الاعصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرنا علل وبراهين في المبادئ الاول وفيما بسطناه من تفريقهم

ى

فى الدوائر الهازروانات ورموز واسرار فى النفوس واتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن فى بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ولا يغتذون بشىء من الحيوان وفى رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم و بين غيرهم من أنواع الهند. وقد كان اجتمع منهم فى قديم الزمان فى ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم فى بيت الذهب. فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن اين أقبلنا والى أين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أوضد ذلك وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غنى من كل وجه عن ابقائه ايانا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى أحدا من الناس أدرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة قال الحكيم الثانى لو تناهت حكمة البارئ عز وجل فى احد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة أنفسنا التى هى أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهى أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعد منا قال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعا احتاج فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة قال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان لا يغفل عن ذلك لاسيما اذا كان المقام فى هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع انا لا أدرى ما تقولون غير انى أخرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف فى اراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم ويمم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك فى مذاهبهم وتنازعوا فى آرائهم والذى وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودى) وقد رأيت أبا القاسم البلخى ذكر فى كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن بن موسى النوبختى فى كتابه المترجم بالاراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التى من أجلها أحرقوا أنفسهم فى النيران وقطعوا أجسامهم بانواع العذاب فما تعرضنا لشئ مما ذكرنا ولا يممنا نحو ما وصفنا وقد تنوزع فى البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا أشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت الى نصب ملك عليها من أكبر ولده فكان ولى عهده الموصى له من ولده ابنه (الناهود) فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر اليهم وزاد فى بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد فى مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفى ايامه عمل النرد وأحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وأنها لا تنال بالكسب ولا بالحيل فى هذه الدنيا وأن الرزق

لا يتأتى فيها الحذق وقد ذكر ان اردشير بن بابك اول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثنى عشر بيتا بعدد الشهور وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثلا للقدر وتمثله بأهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاد القدر اياه ما في مراده باللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره الا اذا أسعده القدر وان الارزاق والحظوظ في هذه الدنيا لا تنال الا بالجدود ثم ملك (دامان) بعد الناهود فكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة ولدامان سير واخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذي واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك أربعين ومائة سنة ثم ملك بعده (دبشلم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذي ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هارون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بثعلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة في أبوابه وامثاله يزيد عليه في حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت في ايامه الشطرنج فقضى بلعبها على النرد وبين الظفر الذي يناله الحازم والبلية التى تلحق الجاهل وحسب حسابها ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرقرحكا يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات في مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القطائع وأقام ذلك مثالا للاجساد العلوية التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة في الحروب نظروا من أين يؤتون في عاجل وآجل وللهند في لعب الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلة الاولى وأعداد أضعاف الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وتسعة آلاف ألف ألف ألف ألف وخمسمائة ألف ألف ألف واحد وخمسون ألف ألف وستمائة وخمسة عشر ألفا ومراتب هذه الالوف الستة الاولى ثم الخمسة التى هى ألف ألف خمس مرات ثم الاربع ثم الثلاث ثم الاثنتين ثم الواحدة لها عندهم معان يذكرونها في الدهور والاعصار وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها ولليونانيين والروم وغيرهم من الامم في الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها قد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ممن تقدم منهم الى الصولى والعدلى واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر وكان ملك بلهيت ملك الهند الى ان هلك ثمانين سنة وفي بعض النسخ انه ملك ثلاثين ومائة سنة ثم ملك بعده (كورش) فاحدث للهند آراء في الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وما يحتمله من التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان في مملكته وعصره سندباد دون له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم في معرفة العلل والادواء والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى

ان مات عشرين ومائة سنة ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند فى آرائها فتحزبت الاحزاب وتحيلت الاجيال وانفرد كل رئيس بناحية فملك على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وملك على أرض قشمير ملك وملك على مدينة المانكير وهى الحوزة الكبرى ملك يسمى بالبلهرا وهذا أول ملك سمى من ملوكهم بالبلهرا فصارت سمة لمن اذخر من الملوك لهذه الحوزة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأرض الهند أرض واسعة فى البر والبحر والجبال وملكهم متصل بملك الزانج وهى دار مملكة المهراج ملك الجزائر وهذه المملكة قدر بين مملكة الهند والصين وتضاف الى الهند والهند متصلة مما يلى الجبال بأرض خراسان والسند الى أرض التبت وبين هذه الممالك تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه آنفا والهند فى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء اذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد فى غيره تفلفل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر جالينوس فى طرب السودان وغلبة الفرح عليهم وما خص به الزنج دون سائر السودان فى الاكثر من الطرب أمورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليمانى صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجى ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا ان أبا العباس الراضى بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من أسود ويقول انه عبد مشوه خلقه فلست أدرى أقلد طاوسا فى مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا فى فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا فى كل برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها فى أمور الرعية لان فى نظر العوام عندها الى ملوكها خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عند هؤلاء لا تجوز الا بالتخير ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودى) ورأيت فى بلاد سرنديب وهى جزيرة من جزائر البحر ان الملك من ملوكهم اذا مات صير على عجلة قريبة من الارض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى وشعره يجر على الارض وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمه وقد صار الى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحى القديم الذى لا يموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار ويذرى رماده فى الرياح وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يتيممونه فى المستقبل من الزمان والملك مقصور فى أهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة

والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل والهند تمتنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزهاً ان يوردوا على عقولهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم وإذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق الخلع عن ملكه اذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يسقون الجواري فيطربن بحضرتهم فتطرب الرجال لطرب الجواري وللهند سياسات كثيرة قد اتينا على ذكر كثير منها ومن اخبارهم وسيرهم في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا واعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسله اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهرا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القسمين وملك الطافي وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من بملكه بر وبحر فأما البلهرا فان بين ديار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدرى كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار ملكه بين الجبال ويساويه من ملوك الهند ممن لا بحر له بوورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذي على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه في كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من اخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد اسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله أعلم

ذكر الارض والبحار ومبادئ الانهار والجبال والاقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وترتيب الافلاك وغير ذلك

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا ان الارض مستديرة ومركزها في وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند فلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي وهي ستة اجزاء عامرة الى أقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثني عشر فعلوا ان الشمس اذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التي في بحر أوقيانوس الغربي واذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذي ذكروا انهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التي عملوا عليها في مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهي الى جزيرة تولى التي في برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا ان موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين المشرق والمغرب في جزيرة الهند والحبش من ناحية الجنوب فعرض ما بين الشمال والجنوب في النصف مما بين الجزائر العامرة وأقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولى

قريبا

قريبا من ستين جزءا وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذى هو مقدار العرض فى النصف الذى هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر واما الاقاليم السبعة فأولها أرض بابل منه خراسان وفارس والأهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وافريقية والبربر والاندلس وما بينها له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقليم الخامس الشام والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الديبل والصين له من البروج الميزان ومن الانجم السبعة الشمس * ذكر جاس المنجم صاحب كتاب الزيج فى النجوم عن خالد بن عبد الله المروزى وغيره وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون فى برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا فضربوا مقدار درجة واحدة فى ثلثمائة وستين فوجد دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلا ثم ضربوا دور الارض فى سبعة فاجتمع مائة ألف ميل واحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذى هو مقدار قطر الارض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة وثلثمائة يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربع آلاف ذراع بالأسود وهى الذراع التى وضعها أمير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون اصبعا (قال المسعودى) وقد ذكر بطليموس فى الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الارض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار والعيون ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة وان عددها أربع آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة فى عصره وسماها مدينة مدينة فى اقليم اقليم وذكر فى هذا الكتاب الوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الالوان وان عددها مائتا جبل ونيف وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا ان عدد البحار المحيطة بالارض خمسة أبحر وذكر ما فيها من الجزائر العامر منها وغير العامر وما اشتهر من الجزائر دون مالم يشتهر وذكر ان فى البحر الحبشى جزائر متصلة نحوا من ألف جزيرة يقال لها الديبجات عامرة كلها وذكر بطليموس فى جغرافيا ان ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التى تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ما عداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية فى الاقاليم سبعة على حسب ما قدمناه فى عدة الاقاليم وكل أقليم سعته تسعمائة فرسخ فى مثلها وفى البحار

ماهو معمور بالحيوان ومنها ماليس بمعمور وهو اقيانوس البحر المحيط وسنأتى فيمايرد من
هذا الكتاب على ذكر جمل فى تفصيل البحار ووصفها وهذه البحار كلها فى كتاب جغرافيا
بأنواع من الاصباغ مختلفة المقادير فى الصورة منها ماهو على صورة الطيلسان ومنها ماهو
على صورة الشابورة ومنها مصرانى الشكل ومنها مدور ومنها مثلث الاان أسماءها فى
هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض ألفان ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ
ستة عشر ألف ذراع والذى يحيطه باسفل دائرة النجوم هو فلك القمر فانه ألف فرسخ وخمسة
وعشرون ألفا وستمائة وستون فرسخا وان قطر الارض من حد راس الحمل الى الميزان
أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الافلاك تسعة فاولها وهو أصغرها
وأقربها الى الارض للقمر والثانى لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس
للمريخ والسادس للمشترى والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع
للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها فى جوف بعض ففلك البروج يسمى فلك الكل
وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب
فى كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين أحدهما مما يلى الشمال وهو قطب بنات نعش
والآخر مما يلى الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج غير هذا الفلك وانما هى مواضع لقبت
بهذه الأسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلى فيجب ان تكون الفروج تضيق
من ناحية القطبين وتتسع وسط الكرة والخط القاطع للكرة نصفين واحدوانما سمى دائرة
معدل النهار لان الشمس اذا صارت عليها استوى الليل والنهار فى جميع البلدان فما كان
من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى
المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهى تدور على مركز الارض
والارض فى وسطها مثل النقطة فى وسط الدائرة وهى تسعة أفلاك فاقربها من الارض فلك
القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الافلاك
السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشترى وفوق ذلك فلك زحل وفى كل فلك من
هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو
ارفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التى دونه مما سميناو بالطبائع الاربع
وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب فى كل يوم دورة واحدة
تامة ويدير بدور انه ماتحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التى قدمنا
ذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق والأوائل فيما ذكرنا حجج يطول الخطب فيها
والكواكب المرئية التى نشاهدها وسائر الكواكب فى الفلك الثامن وهو يدور على
قطبين غير قطبى الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير
حركة الافلاك هو ان البروج الاثنى عشر يتلو بعضها بعضا فى مسيرها ولا تنتقل عن
اماكنها ولا تتغير حركتها فى طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها
حركة خلاف حركة صاحبه ولها تفاوت فى حركتها فربما أسرع الكوكب فى حركته
ومسيره وربما أخذ فى الجنوب وربما أخذ فى الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما

تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو أوسع الاشكال بالاشكال كلها وامامقادير حركة هذه الكواكب فى افلاكها فمقام القمر فى كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك فى شهر ومقام الشمس فى كل برج شهر ومقام عطارد فى كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ فى كل برج خمسة وأربعون يوما ومقام المشترى فى كل برج سنة ومقام زحل فى كل برج ثلاثون شهرا * زعم بطلميوس صاحب كتاب المجسطى ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل وان قطرها وهو عرضها وعمقها تسعة الاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم انما استدركوا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالى فى مدينتين هما خط واحد من خط الاستواء مثل مدينة تدمر التى فى البرية بين العراق والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب فى مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزأ وثلثا ووجدوا ارتفاع القطب فى مدينة تدمر أربعة وثمانين جزأ وثلث جزء ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلا من الارض والفلك ثلثمائة وستون جزأ لعلل ذكروها يبعد علينا ايرادها فى هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا الفلك قد اقسمته البروج الاثنا عشر وان الشمس تقطع كل برج فى شهر وتقطع البروج كلها فى ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محورى النجار والخراط الذى يخرط الاكرة والقصاع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين المحورين اعنى القطب الشمالى والقطب الجنوبى فاما أهل البلاد التى مالت الى ناحية الشمال فانهم يرون القطب الشمالى وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبى ولا الكواكب التى هى قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى فى العراق فى السنة اياما ولا تقع عين جمل من الجمال عليه الاهلك على حسب ماذكرناه وماذكر الناس من العلة فى ذلك فى موت هذا النوع من الحيوان وأما فى البلدان الجنوبية فانه يرى فى السنة كلها وقد تنازع طوائف الفلكيين وأصحاب النجوم فى هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك أساكنان هما ام متحركان فذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم فى بيان هذين المحورين أمن جنس الافلاك هما ام من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع فى شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الامن خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شئ حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ من شوامخ الجبال واذا أقبلت أيضا نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شئ وظهرت الاشجار والارض وهذا جبل دباوند بين بلد الرى وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه فى الجو ويرتفع فى أعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه خالية أعاليه منها ويخرج من أسفله نهر كثير الماء نهرا أصفر كبريتى ذهبى اللون مسافة الصعود عليه فى نحو ثلاثة أيام بلياليها وان من علاه وصار فى قلته وجد

مساحة رأس القلة نحو ألف ذراع فى مثل ذلك وهى ترى فى رأى العين من أسفل نحو القبة
المخروطة وان فى هذه المساحة فى أعاليه رملا تغوص فيه الاقدام أحمر وان هذه القبة لا
يلحقها شئ من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وسموها فى الهواء وشدة البرد وان فى أعاليه
نحوا من ثلاثين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتى العظيم ويخرج مع ذلك دوى عظيم كأشد
ما يكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد الى أعاليه
من أفواه هذه الثقوب كبريتا أصفر كأنه الذهب يقع فى أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك
من الوجوه وان من علاه يرى ما حوله من الجبال الشامخة كأنها رواب وتلال لعلوه
عليها وبين هذا الجبل وبحر طبرستان فى المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب
اذا لججت فى هذا البحر غاب عنها جبل دباوند فلم يره أحد فاذا صاروا فى هذا البحر على نحو من
مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالى هذا الجبل فكلما قربوا من
هذا الساحل ظهر لهم وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كرية ماء البحر وانه مستدير الشكل
وكذلك من يكون فى بحر الروم الذى هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل
لا يدرك علوه مطل على بلدة انطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من
بلاد الروم فيغيب عن أبصار من فى المراكب ولا يخفى عنهم فى المسير فى البحر فى المواضع
التى يرى منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل دباوند وما قال الفرس فى ذلك
قال الضحاك ذو الافواه ومرة من أعاليه بالحديد هذه النار التى فى أعالى هذا الجبل
اطم عظيمة من آطام الارض وعجائبها وقد تكلم الناس فى بعد الارض فذكر الاكثر
ان من مركز الارض الى ما ينتهى اليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف
ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث
وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم
من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربع وأربعين
مرة والارض كأنها نصف عشر ثمن من الشمس وقطر الارض اثنان وأربعون ألف ميل
والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة ميل ونصف
ميل والمشترى مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل
وستة عشر ميلا وزحل أعظم من الارض تسعا وتسعين مرة ونصفا وقطره اثنان وثلاثون
ألف ميل وسبعمائة وستة وثلاثون ميلا وأما اجرام الكواكب الثابتة التى فى المشرق
الاول وهى خمسة عشر كوكبا فكل كوكب منها أعظم من الارض بأربع وتسعين مرة
ونصف مرة وأما بعدها من الارض فان اقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية وعشرون
ألف ميل وابعد بعده من الارض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ميل وابعد بعد
عطارد من الارض سبعمائة ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف ميل وأبعد
بعد الزهرة من الارض أربعة آلاف ومائة وتسعة عشر ألف ميل وستمائة ميل وأبعد
بعد الشمس من الارض أربعة آلاف ألف ألف وثمانمائة ألف وعشرون ألفا
ونصف ميل وأبعد بعد المريخ من الارض ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستمائة ميل وشئ

وابعد

وأبعد بعد المشترى من الارض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستون ألف ميل الا شيأ وأبعد بعد زحل من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشيأ وبعد الكواكب الثابتة من الارض نحو ذلك فيما ذكرنا من القسمة ولأخذ المقاييس استدرك القوم الساعات وبها استخرجوا الآلات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا باب ان شرعنا فى ايراد البعض منه كثر واتسع الكلام وانما ذكرنا المعانى من هذه الفنون لتدل على مالم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين فى هيا كلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كهانهم يسمى رأس كمرورذن يعدهم النصارى برتبة الكهنة فى كهانتها على ماتقدمت فيه الصابئة فى مذهبها وسمت النصارى هذه المراتب العظات فاولها السلط والثانى اعنسط والثالث يودنا والرابع شماس والخامس قسيس والسادس يودوط والسابع حورالغينطس وهو الذى يخلف الاسقف والثامن اسقف والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذى فوق هؤلاء كلهم فى المرتبة البطرك وتفسيره ابو الآباء ممن تقدم ذكرهم من أصحاب المراتب وغيرهم من الأدانى وعوامهم هذا عند خواص النصارى فاما العوام منهم فيذكرون فى هذه المراتب غيرماذكرنا وهو أن ملكا ظهر وأظهر أمورا يذكرونها لاحاجة بنا الى وصفها وهذا ترتيب الملكية وهم عمد النصرانية وقطبها الان المسارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية والعاقبة عن هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما أخذت النصارى جملا من هذه المراتب على ماذكرنا من الصابئة وأما القسيس والشماس وغير ذلك فعن المانية الا التصدوس والسماع وكان مانى حدث بعد مضى السيد عيسى ابن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى مانى أضيفت المانية والى مرقيون أضيفت المرقيونية والى ابن ديصان أضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك المردقية وغيرها ممن سلك طريقة صاحب الالعين وقد أتينا فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط على جمل من نوادر هذه المذاهب وما أوردوه من الخرافات المزخرفة والشبه الموضوعة وماذكرناه من مذاهبهم فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وماذكرناه من الاراء وهدم هذه المذاهب ففى كتابنا المترجم بكتاب الامانة فى أصول الديانة وانما نذكر فى هذه الابواب ماتشعب الكلام اليه ويتغلغل هذا الوصف نحوه فنورد منه لمعا على طريق الخبر والحكاية للمذهب لا على طريق النظر والجدل لئلا يخلو كتابنا هذا مما تدعوا الحاجة اليه والى ذكره والله أعلم

ذكر الاخبار عن انتقال البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار

ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر حتى تصير بمواضع مختلفة وان جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كأنها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة ابدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل اصب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر ابدا برا

ولاموضع البحر ابدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد فأما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها اعنى البحار واحد وذلك من البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر اقيانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق فى البدن وقال آخرون حق الماء ان يكون على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالى والهابط انحاز الماء الى اعماق الارض فاذا انحصرت المياه فى اعماق الارض وقعورها طلبت النفس حينئذ اغلاظ الارض وضغطتها اياها من أسفل فينشق من ذلك العيون والانهار وربما تتولد فى باطن الارض من الهواء الكائن هنالك وان الماء ليس بايستقص وانما هو متولد من عفونات الارض وبخارها وقالوا فى ذلك كلاما كثيرا أعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار وبسطنا ذلك فى غير كتاب من كتبنا وأما مبادئ الانهار الكبار ومطارحها ومقادير جريانها فنهر مهران السند وجيحس وهو نهر عظيم بأرض الهند ونهر سامط وهو نهر عظيم ونهر اطفاس الذى يصب الى نهر نيطش وغيرها مما كبر من الانهار قد تكلم الناس فى مقدار جريانها على وجه الارض فرأيت فى جغرافيا (النيل) مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدء ظهوره من اثنتى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحرين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء جاريا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج ينصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهى جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا ان لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى مبدء الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر او قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه اكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر فى اثارة الزيادة فيه السمو سار وهو التمساح الكائن فى نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذى هو نهر السند من النيل ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب فى نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا اكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد السند من أرض القنوج الى مملكة بوورة وأرض قشمير والقندهار والطافر حتى ينتهى الى بلاد المولتان ومن هنالك يسمى مهران وتفسير المولتان

رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والقوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديما منذ صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى اجواف هذا البحر وفى خليج ميداپون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الرابج من بحر مملكة المهراج وكذلك فى خلجان الاعباب وفى عب التى تلى جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها فى الماء العذب وماذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامصار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر فنقول ان الذى ذكرته الحكماء انه يجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغير عامر حتى يأتى اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى اميال من اسوان جبال واحجار يجرى النيل فى وسطها ولا سبيل الى جريان السفن فيه هنالك وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع سفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتى النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلون وبحر الاهواز من بلاد الفيوم وهو الموضع المعروف بالجزيرة التى اتخذها يوسف النبى صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب اخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام فى مائها ثم يمضى جاريا فتقسمه خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية كل يصب الى البحر الرومى وقد أحدث فيه بحيرات فى هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التى زادها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونمى الى وأنا بمدينة انطاكية والثغر الشامى ان النيل زاد فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فليست أدرى أفى هذه الزيادة دخل خليج الاسكندرية أم لا وقد كان الاسكندر بن الفيلقوس المقدونى بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان يتفجر اليه عظيم ماء النيل ويسقى الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا فى نهاية العمارة والجبال المتصلة بأرض برقة من بلاد المغرب وكانت السفن تجرى فى النيل فتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بلط ارض بلها فى المدينة بالرخام والمرمر فانقطع الماء لعوارض سدت خلجانها ومنعت الماء من دخوله وقيل لعلل غير ذلك منعت من تنفسه وردت الماء الى كانه لا يحملها كتابنا هذا لاستعما النافيه الاختصار فصار شربهم من الآبار وصار النيل على نحو يوم منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب فى باب ذكرنا الاخبار الاسكندرية جملا من اخبارها واخبار بناتها وماذكرنا من الماء الجارى الى بحر الزنج فانما هو آخذ من معالى مصب الزنج وفارق بين بلاد الزنج وبين اقاصى بلاد احابس الاحابيش ولولا ذلك الخليج ومفاوز من رمال ودهاس لم يكن للحبشة مقام فى ديارهم من أنواع الزنج لكثرتها وبسطها (وأما نهر بلخ) الذى يسمى جيحون فانه يخرج من أعين تجرى حتى تاتى بلاد خوارزم وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الربد واسرائيل وغيرها من بلاد

خراسان فاذا ورد الى بلاد خوارزم تفرق فى مواضع هنالك ويمضى باقيه فينصب فى البحيرة
التى عليها القمرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم وليس فى ذلك الصقع أكبر من هذه
البحيرة ويقال انه ليس فى العمران بحيرة أكبر منها الان طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من
العرض تجرى فيها السفن واليها يصب نهر فرغانة والشاش يمر ببلاد العادات وبمدينة
حيسه وتجرى فيه السفن الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة
وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع الترية وهم بوادى الترك وحضرهم
أيضا وهذا الجنس من الاتراك هم أصناف ثلاثة الاسافل والاعالى والاواسط وهم
أشد الترك بأسا وأقصرهم وأصغرهم عينا وفى الترك أصغر من هؤلاء على ماذكر صاحب
المنطق فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حين ذكر الطير المعروف
بالغرانيق وسنذكر مبلغا من اخبار اجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا
وبمدينة بلخ رباط يقال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر اعمالها
وبازائهم أنواع من الكفار من الترك يقال لهم اوحارو بيت وعلى اليمين من هؤلاء جنس
آخر يقال لهم العاركم ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر انقار زعم قوم من أهل
الخبرة انه مبتدأ نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين
ومائة فرسخ من مبدء نهر الترك وهو الغار وقيل أربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى
الكتب فى هذا المعنى وزعموا ان جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكروا نهر رست
الاسود ولا نهر رست الابيض الذى يكون عليه مملكة كيمان وهم جنس من الترك ووراء نهر
بلخ وهو جيحون وعلى هذين النهرين العذرية من الترك ولهذين اخبار لم نحط بها المسافتهما
على وجه الارض فنذكر ذلك (وكذلك جيحس) نهر الهند فبداه فى جبل من اقاصى أرض
الهند مما يلى الصين من بحر بلاد الطغرغر من الترك ومقدار جريانه الى ان ينصب فى البحر
الحبشى مما يلى جبل الهند أربعمائة فرسخ (وأما الفرات) فمبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور
ارمينية من جبل هنالك يدعى افردحس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه من بلاد الروم
الى ان يأتى بلاد ملطية وأخبرنى بعض اخواننا من المسلمين ممن كان اسيرا فى ارض بلاد
النصرانية ان الفرات اذا توسط أرض الروم تحلبت اليه مياه كثيرة منها نهر يخرج مما يلى
بحيرة المادرمون وليس فى أرض الروم بحيرة أكبر منها وهى نحو من شهر وقيل أكثر من
ذلك طولا وعرضا تجرى فيها السفن وتنتهى الى الفرات الى جسر منبج وقد اجتاز تحت
قلعة سميساط وهى قلعة الطين ثم ينتهى الى مالس وهى نصفان موضع حرب أهل العراق
وأهل الشام ثم ينتهى الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار مثل نهر
عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة وينتهى الفرات الى بلاد سوار
وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين واحداباد والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى
البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحوا من خمسمائة
فرسخ وقد قيل اكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة
ونهرها بين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالنجف فى هذا

الوقت وكانت تتقدم هنالك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقد ذكرنا قول عبد المسيح ابن عمرو بن نفيلة الغساني حين خاطب خالد بن الوليد في ايام أبي بكر ابن أبي قحافة رضي الله عنه حين قال له ما تذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر بر افصار من البحر في هذا الوقت على مسيرة ايام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا وكثر رمل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة في هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى بطن جرحي وذلك من جهة مدينة فارس من اعمال واسط الى دنوقاء الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث في الجانب الشرقي ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسية وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة باليسري والموضع المعروف بالعمرو غير ذلك من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقي ممن ملك رقة الشماسية في ايام المقتدر بحضرة الوزير أبي الحسن علي بن عيسى وما أجاب به أهل العلم في ذلك وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام فاذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل فانه يسير ميلا في قدره في سنة فاذا سار اليهم أربعة آلاف ذراع من عرضه الاول خربت بذلك السير مواضع وعمرت مواضع واذا وجد الماء سبيلا منخفضا وانصبابا واوسع بالحركة وشدة الجرية لنفسه فاقتلع المواضع من الارض من أبعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا من الوهاد ملاه في طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد ولا يغيب فهم ما وصفنا عن مرام ذي فكر ولنبدأ بذكر (دجلة ومبدا جريانها ومصبها) فنقول دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من أعين بلاد خلاط من أرمينية ويصب اليها نهر سربط وسائر ما يخرج من بلاد أردن ومما فارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دوما والخابور الخارج من بلاد ارمينية ومصبه في دجلة من بلاد ماسورين وسلون من بلاد قردي وبازندي وباهمداء من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بني حمدان وفي قردي وبازندي يقول الشاعر

بقردي وبازندي مصيف ومربع * وعذب يحاكي السلسلبيل برود
وبغداد ما بغداد أما ترابها * فحمى وأما حرها فشديد

وليس هذا الخابور خابور النهر الذي يخرج من مدينة راس العين من أعينها ويصب في الفرات أسفل مدينة قرقيسياء ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد أرمينية (وهو زاب الاكبر) بعد الموصل وفوق حديثة ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة ياتي من بلاد ارمينية واذربيجان ثم تنتهي الى مدينة تكريت وسر من رأى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسي وهي الانهار التي ذكرنا انها تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالي ونهرين والنهروان مما يلي بلاد جرجرايا والسيب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار هنالك أخر الى بطيحة البصرة مثل بردود اليهودي وسامي والمصب

الذي ينتهي الى القطر وفيه تجري أكثر سفن البصرة وبغداد وواسط فقدار مسافة جريان دجلة على وجه الارض نحو من ثلثمائة فرسخ وقيل أربعمائة وقد أعرضنا عن كثير من ذكر الانهار الا ما كبر واشتهر اذ كنا قد أتينا على ذكر ذلك على الاتساع في الكتاب المترجم بأخبار الزمان وكذلك في الكتاب الاوسط ونذكر في هذا الكتاب لمعا منها سمينا من الانهار ومعالم نسميه وللبصرة انهار كبار مثل نهر سيرين ونهر الرس ونهر ابن عمر وكذلك بلاد الاهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها وأخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والابلة وخبر الموضع المعروف بالجدارة وهي دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الابلة ومن أجلها ملح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الجدارة انحدرت الاخشاب في فم البحر مما يلي الابلة وعبادان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع في تلك الجدارة فلا يكون لها خلاص وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وهذه الديار عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها والله أعلم

ذكر جمل من الاخبار عن البحر الحبشي وما قيل في ذلك من مقداره وسعة خلجانه

قد زاد بحر الهند وهو الحبشي حتى امتد طوله من المغرب الى المشرق من أقصى الحبش الى أقصى الهند والصين وصار ثمانية آلاف ميل وعرضه ألفان وتسعمائة ميل وعرضه في مواضع أخر ألف وتسعمائة ميل وقد يتقارب في قلة العرض في موضع دون موضع ويكثر كذلك وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة وأعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند أهل هذه الصناعة وليس في المعمور أعظم من هذا البحر وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد الى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربرى طوله خمسمائة ميل وعرض طرفيه مائة ميل وليست هذه بربرى التي ينسب اليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من أرض افريقية لان هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وفي هذه الجزيرة مسلمون من الاكابر من الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربرى وهم يعرفونه ببحر بربرى وبلاد جفونى أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه موج اعمى يريدون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كانخفض ما يكون من الاودية لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد كتكسر أمواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرنا من الامواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون

بربرى وجفونى * وموجك المجنون

جفونى وبربرى * وموجها كما ترى

وينتهي هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا والى بلاد سفالة الواق واق

من

من اقاصي أرض الزنج والاسافل من نحوهم ويقطع هذا البحر السيرافيون وقد ركبت انا هذا البحر من مدينة سنجار وسن بلاد عمان (وسنجار قصبة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم أرباب المراكب مثل محمد بن الزيدوم السيرافي وجوهر بن أحمد وهو المعروف بابن نسوة وفي هذا البحر تلف ومن كان معه في مركبه وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي بعكان وفيه غرقا في مركبهما وجميع من كان معهما وكان ركوبي فيه اخيرا والامير على عمان أحمد بن هلال ابن أخت القتال وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن واصابني فيها من الاهوال مالا احصيه كثرة فلم أشاهد أهول من بحر السند الذي قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بافال طول السمكة نحو من أربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهي ذراع ذلك البحر والاغلب من هذا السمك طوله مائة باع وربما يهز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو اكثر من ممر السهم والمراكب تفزع منه في الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر باجنحته وذنبه السمك الى فيه وقد تقدفاه وذلك السمك يهوي الى جوفه جرمه فاذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى اللشك فتلصق بأصل اذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما التصق هذه السمكة المعروفة باللشك بالمراكب فلا يدنوا لافال مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفة له وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون في ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لا دبر له ومايا كله يكون في بطنه دودا واذا آذاه ذلك الدود خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض السه طير الماء كالطيطوى والحصافي وغير ذلك من أنواع الطيور قد اعتاد ذلك منه فيأكل ماظهر في جوفه من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه فتدب الى حلقه وتصير في جوفه فيخبط بنفسه في الارض فيطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما يقتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحوا من ذراع على صورة ابن عرس ولها قوائم ومخالب وفي بحر الزنج انواع من السمك بصور شتى ولولا ان النفوس تنكر مالم تعرفه وتدفع مالم تألفه لاخبرنا عن عجائب هذه البحار ومافيها من الحيات والدواب وغير ذلك من عجائب المياه والجماد فلنرجع الان الى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلجانه ودخوله في البر ودخول البر فيه فنقول ان خليجا آخر يتدمن هذا البحر الحبشي فينتهي الى مدينة القلزم من اعمال مصر وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجار وجدة واليمن طوله ألف وأربعمائة ميل وعرض طرفيه مايتاميل وهو أقرب المواضع من عرضه وعرضه في الأصل سبعمائة ميل وهو أكثر العرض فيه ويلاقي ماذكرناه من الخلجان وبلاد ايله من غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقي وبلاد العيذاب من

أرض مصر وأرض البجه ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى ان يتصل ذلك باقاصى أرض الزنج واسافلها فيتصل الى بلاد سفالة من أرض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهى الى بلاد الابلة والخشبات وعبادان من أرض البصرة وعرضه فى الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهى أحد زواياه الى بلاد الابلة وعليه مما يلى المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهريان ومدينة حسان واليها تضاف الثياب الحسانية ومدينة أحمرة ببلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ويتصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهى أرض الخوارج الشراة وهذه كلها أرض نخل ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهنالك مدينة الديبل ثم يكون مارا متصلا بساحل الهند الى بلاد بروص واليها يضاف القنا البروصى برا متصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا ويقابل ما ذكرنا من مبدء ساحل كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطن وسط بنى خزيمة وبلاد عمان وأرض مهرة الى رأس الجمجمة الى أرض الشحر والاحقاف وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة خارك وهى بلاد حبابة لان خارك مضافة الى حبابة وبينها وبين البر فراسخ فيها مغاص اللؤلؤ المعروف بالخاركى وجزيرة أولى فيها بنو معن وابن مسمار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحر نحو يوم بل أقل من ذلك وفى ذلك الساحل مدينة البرازة والعقل والقطيف من ساحل هجر ثم بعد جزيرة اولى جزائر كثيرة منها جزيرة لافت وتدعى جزيرة بنى كاوان وقد كان افتتحها عمرو بن العاص وفيها مسجده الى هذه الغاية وفيها خلق من الناس وقرى وعمارة متصلة وتقرب هذه الجزيرة الى جزيرة هجان ومنها يستقى أرباب المراكب الماء ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث ليس فيه طير ثم الدردور المعروف بدردور مسدم وتكنيه البحريون بابى جهرة وهذه مواضع من البحر وجبال سود ذاهبة فى الهواء لانبات عليها ولا حيوان تحيط بها مياه من البحر عظيمة نعره وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس اذا أشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لابد للمراكب من الجواز عليها والدخول فى وسطها تخطئ وتصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسى عليه ماوصفنا من البحرين وفارس والبصرة وعمان الى رأس الجمجمة ومابين هذا الخليج وخليج القلزم ايلة والحجاز واليمن ويكون بين الخليجين من المسافة ألف وخمسمائة ميل وهى داخلة من البر فى البحر والبحر يطيف بها من أكثر جهاتها على ماوصفنا فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحجاز والقلزم والزنج والسند ومن فى جزائره ومن قد أحاط به من الامم الكثيرة التى لا يعلم وصفهم ولا عددهم الا من خلقهم سبحانه وتعالى ولكل قطعة منه اسم يفردها من غيرها والماء واحد متصل غير منفصل وفى هذا البحر مغاصات الدر والياقوت وفيه العقيق والباديج وهو نوع من البجادى وأنواع الياقوت والماس والسنباذج وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كله وسريزه وحوله معادن حديد مما يلى بلاد كرمان ونحاس بأرض عمان وفيه أنواع الطيب والافاويه والعنبر والساج والخشب المعروف بالرداسى والقنا والخيزران

وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع فيه ادركناها وكما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحوله وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشى ورياح ما وصفنا من قطعه التى تدعى كل واحدة منها بحرا كقولنا بحر فارس و بحر اليمن و بحر القلزم و بحر الحبش وبحر الزنج و بحر النيل وبحر الهند وبحر كلة وبحر الرانج وبحر الصين مختلفة فمنها ما ريحه من قعر البحر يظهر فيقلبه و يعظم موجه كالقدر تفور بما يلحقها من مواد حرارة النار ومنها ما ريحه والبة فيه من قعره والنسيم ومنها ما يكون مهبه من النسيم دون ما يظهر من قعره وما وصفناه مما يظهر من قعره من الرياح تنفسات من الارض تظهر الى قعره تظهر فى سطحه والله عزوجل أعلم بكيفية ذلك ولكل من يركب هذه البحار من الناس ارياح يعرفونها فى أوقات تكون فيها مهابها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هيجانه وأحوال ركوبه وثورانه والروم والمسافرون فى البحر الرومى سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتى بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب أوصافها وأخبارها ان شاء الله تعالى

ذكر تنازع الناس فى المد والجزر وجوامع مما قيل فى ذلك

والمد مضى الماء فى فيحته وسيحته وسنن جريته والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف ما مضى عليه فى هيجه وذلك كبحر الحبش الذى هو الصينى والهندى وبحر البصرة وفارس المقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك ان البحار على ثلاثة أنواع منها ما يأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستترا ومنها ما لا يجزر ولا يمد كالبحار التى لا يكون فيها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهى على ثلاثة أصناف فأولها ما يقف الماء فيه زمانا فيغلظ وتقوى ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة و ينقص فى الصيف ويزيد فى الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثانى الذى يبعد عن مدار القمر ومسافاته بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التى يكون الغالب على أرضها التخلخل لانه اذا كانت أرضها متخلخلة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتخلل وانشبت الرياح الكائنة فى أرضها اولا وغلبت الرياح عليها وأكثر ما يكون هذا فى ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس فى علة المد والجزر فنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه مجانس للماء وهو يسخنه فينبسط وشبهوا ذلك بالنار اذا أسخنت ما فى القدر وأغلته وأن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين وكلما انبسط فى القدر ارتفع وتدافع حتى يفور فيتضاعف عن كميته فى الحس و ينقص فى الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط البرودة أن تضمها وذلك أن قعور البحار تحمى فيتولد فى أرضها عذوبة وتستحيل وتحمى كما فى البلاليع والآبار فاذا حمى ذلك الماء انبسط وزاد واذا زاد ارتفع فدفع كل جزء منه قطفا على سطحه وبان عن قعره فاحتاج الى أكثر من هذبه

وان القمر اذا امتلأ حمى الجو حميا شديدا فظهرت زيادة الماء فسمى ذلك المد الشهرى وان هذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب ودور الكواكب المتحيرة عليه مع الشامية من الكواكب السامية اذا كانت المتحيرة فى القدر مثل الميل على تجاوزه واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعلة فيه من أوله الى آخره فى كل يوم وليلة وهى مع ذلك فى الموضع المقابل الحمى فقليل ما يعرض فيه من الزيادة ويكون فى النهر الذى يعرف فيه المد من اطرافه وما يصب اليه من سائر المياه وقالت طائفة أخرى لو كان الجزر والمد بمنزلة النار اذا اسخنت الماء الذى فى القدر وبسطته فيطلب اوسع منها فيفيض حتى اذا خلا قعره من الماء طلب الماء بعد خروجه منها عمق الارض لطغيه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلى من الماء فى المرجل والقمقم اذا فاض وتتابعت أجزاء النار عليه بالحمى لكان فى الشمس أشد سخونة ولو كانت الشمس علة مده لكان يمد مع بدء طلوع الشمس ويجزر مع غيبتها فزعم هؤلاء ان علة الجزر والمد فى الابحر تولد من الابخرة التى تولد من بطن الارض فانها لا تزال تولد حتى تكثف وتكثر فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها فلا تزال كذلك حتى تنقص موادها من أسفل فاذا انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ الى قعر البحر وكان الجزر من أجل ذلك والمد ليلا ونهارا وشتاء وصيفا وفى غيبة القمر وفى طلوعه وكذلك فى غيبة الشمس وطلوعها قالوا وهذا يدرك بالحس لانه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المد ولا ينقضى آخر المد حتى يبتدئ أول الجزر لانه لا يتغير تولد تلك البخارات حتى اذا خرجت تولد غيرها مكانها وذلك ان البحر اذا غارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الابخرة لمكان ما يتصل منها من الارض بمائه وكلما غارت تولدت وكلما فاض نقصت وذهب آخرون من أهل الديانات ان كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فهو فعل الاله يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته فليس للمد والجزر علة فى الطبيعة البتة ولا قياس وقال آخرون ما هيجان البحر الا كهيجان بعض الطبائع فانك ترى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرهما يهتاج الى طبيعته ثم يسكن قليلا حتى يعود وذهبت طائفة أخرى الى ابطال سائر ما وصفنا من القول وزعموا ان الهواء المطل على البحر يستحيل دائما فاذا استحال عظم ماء البحر وفاض عند ذلك واذا فاض البحر فهو المد فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتنفس فيستحيل هواء فيعود الى ما كان عليه وهو الجزر وهو دائم مترادف متعاقب لان الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماء قالوا وقد يجوز ان يكون ذلك عند امتلاء القمر اكثر لان القمر اذا امتلأ استحال الهواء أكثر مما كان يستحيل وانما القمر علة لكثرة المد لا للمد نفسه لانه قد يكون فى محاقه والمد والجزر فى بحر فارس يكونان على مطالع الفجر والاغلب من الاوقات وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر وهم أرباب المراكب من السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون الى عمارة من الامم التى فى جزائره وحوله الى ان المد والجزر لا يكون فى معظم هذا البحر الا مرتين فى السنة مرة يمد فى شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر فاذا كان ذلك طغى الماء فى مشارق البحر والحسر بالصين وما وراء ذلك الصقع ومرة يمد فى شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر فاذا كان

الصيف طفى الماء فى مغارب البحر والجسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وأن الشمس
اذا كانت فى الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار فى جهة الجنوب فى الصيف لهبوب
الشمال طامية عالية وتقل المياه فى جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس فى
الجنوب وسال الهواء من الجنوب فى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى
الجهة الشمالية فقلت المياه فى الجهات الجنوبية منه وينتقل ماء البحر فى هذين الميلين اعنى
فى جهتى الشمال والجنوب فيسمى جزرا ومدا اشتويا وذلك ان مد الجنوب جزره الشمال
ومد الشمال جزره الجنوب فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة فى أحد الميلين زائدا
قوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة
للجهة التى ليس فيها الشمس (قال المسعودى) فهذا رأى يعقوب بن اسحاق الكندى
وأحمد بن الطيب السرخسى فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورأيت مثل ذلك ببلاد
كنباية من أرض الهند وهى المدينة التى تضاف اليها النعال الكنباتية الصرّارة وفيها
تعمل وفيما يليها مثل مدينة سندارة وسرياره وكان دخولى اليها فى سنة ثلاث وثلثمائة
والملك بها وكان منزما من قبل الباهرا صاحب البابكين وكان للبابكين هذا غاية المناظرة مع
من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل وهذه المدينة على خور من أخوار البحر
وهو الخليج أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل
والنارجيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع طيور الهند بين تلك الجبال والمياه
وبين مدينة كنباية وبين البحر الذى يأخذ منه هذا الخليج يومان وأقل من ذلك فيجزر الماء
عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذى ينصب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء وقد
أقبل المد من نهاية الجزر كالخيل فى الحلبة فربما أحس الكلاب بذلك فأقبل يحضر
ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذى لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعته
فيغرقه وكذلك المد يرد بين البصرة والاهواز فى الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند
ويسمع هنالك أزيب له ضجيج ودوى وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السفن وهذا
الموضع يعرفه من يسلك هنالك الى بلاد مورق من أرض فارس والله أعلم

ذكر بحر الروم ووصف ما قيل فى طوله وابتدائه وانتهائه

أما بحر الروم وطرسوس وادنة والمصيصة وانطاكية واللاذقية وطرابلس وصيداء وصور
وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والاسكندرية وساحل المغرب فذكر جماعة من أصحاب
الزيجات فى كتبهم منهم محمد بن جابر النساى وغيره ان طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف
فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة ميل وأقل من ذلك على حسب مضايقة
البر للبحر والبحر للبر ومبدأ هذا البحر من خليج يخرج جاريا من بحر اقيانوس واضيق موضع
من هذا الخليج بين ساحل طنجة من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس وهذا الموضع المعروف
بنيطاء وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة أميال وهذا الموضع هو المعبر لمن أراد
العبور من الغرب الى الاندلس ومن الاندلس الى الغرب وعلى الحد بين البحرين أعنى بحر
الروم وبحر اقيانوس المنارة النحاس والحجارة التى بناها هرقل الجبار على أعلاها الكتابة

والتماثيل مشيرة بأيديها ان لا طريق وراءي لجميع الداخلين الى ذلك البحر بحر الروم اذ كان بحرا لا تجري فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تدرى غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر المحيط وقد ذهب قوم ان هذا البحر أصل ماء البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان في اخبار من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا وبين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة في طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك انما يجري في بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة نحو من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها سبتة وهي وطنجة من ساحل واحد ويقابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من غدوة الى الظهر وفي هذا الخليج موج عظيم والماء من هناك يخرج من بحر اقيانوس ويصب الى البحر الرومي وفي هذا الخليج مواضع تعلو امواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه أهل المغرب وأهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفي بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس في مقابلة الاسكندرية وجزيرة اقريطش وجزيرة صقلية وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا الجبل البركان الذي تظهر منه النار فيها اجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحاق الكندي وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي في طول هذا البحر وعرضه غير ما ذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على نظم من التأليف وترتيب من التصنيف ان شاء الله تعالى

ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية

فاما بحر نيطش فانه يمتد من بلاد ملترقة الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف بطنانس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من أهل العناية بهذا الشأن حتى يصب في بحر نيطش وهذا البحر عظيم فيه أنواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناس من يسمي بحر مانطش بحيرة ويجعل طوله ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل وعرضه نحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية والعمائر من اوله الى آخره والقسطنطينية في الجانب الغربي من هذا الخليج وهو متصل ببر رومية والاندلس وغيرهما فيصب والله أعلم على قول المنجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم في بحر البلغر والروس وهو بحر نيطش وسنأتي ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم في ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لا يركبه والله أعلم

ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجمل من الاخبار على ترتيب البحار

وأما بحر الاعاجم الذى عليه دورها ومساكنها فهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجبل وجرجان وطبرستان وعليه أنواع من الترك وينتهى فى احدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى بحز البحر وغايته الى ساحل انطاكية ورشيد والاسكندرية وحصن المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب سيحان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالى من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلى مدينة مكمنة الى قريش وقراشام بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذى يصب فى هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد أعرضنا عن ذكر انهار كثيرة بأرض الروم وما يصب الى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر من المضيق الذى قدمنا ذكره وهو الخليج الذى عليه طنجة متصلة بساحل المغرب وبلاد أفريقية والسوس ورشيد والسويس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية الى ان يتصل بساحل الاندلس الى ان ينتهى الى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ماذكرنا لاتنقطع من هذا البركة العمائر التى وصفناها من الاسلام والروم الى الانهار الجارية الى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه نحو من ميل وخلجانات أخر داخلة فى البر لامنفذ لها تجمع ماذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومى متصلوا الديار غير منفصلين لايقطعهم أويمنعهم الا ماذكرنا من الانهار وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومى ومثال ماذكرنا من العمائر عليه الى ان ينتهى الى مدى الخليج الضيق الآخذ من اقيانوس الذى عليه اعلام النحاس ويلى الاعلام طنجة فساحل الاندلس شمال الكرنيب فصيصة الخليج والكرنيب على صفة البحر الا انه ليس بمدور الشكل لماذكرنا من طوله وليس تعرف التنانين فى البحر الحبشى ولافى شئ من خلجانه من حيث وصفنا فى نهاياته وأكثرها يظهر مما يلى بحر اقيانوس وقد اختلف الناس فى التنين فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون فى قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الهواء فتلحق السحب كالزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت وثارت معها الغبار ثم استطالت فى الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس أنها حيات سود ومنهم من رأى انها دواب تكون فى قعر البحر فتعظم وتؤذى دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لاتمر بمدينة الا أتت على مالا يقدر عليه من بناء عظيم أوشجر أوجبل وربما تتنفس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها فى سد يأجوج ومأجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين فمنه يتغذى يأجوج ومأجوج وهذا القول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم فى التنين غير ماذكرنا وكذلك حكى قوم من أهل السير وأصحاب القصص أمورا فيما ذكرنا أعرضنا عن

ذكرها منها خبر عمران الذى صعد فى النيل فأدرك غايته وعبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها وهى دابة يجر منها على الارض شبر من قوائمها تغادى قرن الشمس من مبدا طلوعها الى حال غروبها فعبر على ما وصفنا من تعلقه بشعرها البحر وداربدوراتها طلبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذى رآه فى ذهابه ووصف له كيف يفعل فى وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبر ابليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ومنها ماروى ان قبة من الذهب وأنواع الجوهر فى وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من الياقوت الاحمر ينحدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشحه فيقسم الى جهات اربع فى ذلك البحر الاخضر غير مخالطة له ولا مماس به ثم ينتهى الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر أحدها النيل والثانى سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها ان الملك الموكل بالبحار يضع عقبه فى أقصى بحر الصين فيفور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه ويطلب قعره فيكون الجذر ومثلوا ذلك باناء فيه ماء فى مقدار النصف منه فيضع الانسان يده أو رجله فيملا الماء الاناء فاذا رفعها رجع الماء الى حقه وانتهى الى غايته ومنهم من رأى ان الملك يضع ابهامه من كفه اليمنى فى البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وماذكرنا فغير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل فى حيز الممكن والجائز لان طريقه فى النقل طريق الافراد والآحاد ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالأخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر فى النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها والانقياد الى ما أوجب الله عز وجل علينا من اخبار الشريعة والعمل بها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وان لم يصح ماذكرنا فقد وصفنا آنفا ما قال الناس فى ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب أنا قد اجتهدنا فيما أوردناه فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا ولم يعزب عنا فهم ما قاله الناس فى سائر ماذكرنا وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعند أكثر الناس انها أربعة فى المعمور من الارض ومنهم من يعدها خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى انها ستة فاولها البحر الحبشى ثم الرومى ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزرى ثم اقيانوس الذى لا يعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل ببحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذى يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ماذكرنا والرومى بدؤه من بحر اقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس ان يكون ما وصفنا بحرا واحدا لاتصال مياهها وليست هذه المياه ولا شئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر نيطش وبحر مانطش يجب ان يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر فى بعض المواضع بينهما أو صار بين المائين كالخليج وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ينبغى ان تجمعهما فى اسم مانطش أو نيطش فاذا عبرنا بعد هذا الموضع فى مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش او نيطش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودى) وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزرى يتصل ببحر مانطش ولم أر فيمن

دخل بلاد الخزر من اتصل اليها بحر من هذه البحار أو بشيء من مائها أو من خلجانها الا من نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا الجبل الفتح ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس فى المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون فى كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدرى كيف ذلك ومن أين قالوه أمن طريق الحدس أم من طريق الاستدلال والقياس وقد ركبت فيه من اسكون وهو ساحل جرجان الى بلاد طبرستان وغيرها ولم اترك من شاهدت فى البحار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب الا سألته عن ذلك وكل يخبر ان لا طريق له اليها الا من بحر الخزر حيث دخلت منه مراكب الروس ونفر من أهل أذربيجان والباب والابواب وبرذعة والديلم والجبل وجرجان وطبرستان اليها لانهم لم يعهدوا عدوا يطرأ عليهم ولا عرف ذلك فيما سلف وما ذكرنا فشهور فيما سمينا من الامصار والامم والبلدان سالك مسلك الاستفاضة فيهم ورأيت فى بعض الكتب المضافة للكندى وتلميذه وهو أحمد بن الطيب السرخسى صاحب المعتضد بالله ان فى طرف البحيرة من الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطر الشمال وان بقربها مدينة ليس بعدها عمارة ويقال لها تولية ولقد رأيت لبنى المنجم فى بعض رسائلهم ذكر هذه البحيرة وقد ذكر أحمد بن الطيب فى رسالته فى البحار والمياه والجبال عن الكندى أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس وانطاكية واللاذقية والمنقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلية الى منار هرقل وان أعرض موضع فيه أربعمائة ميل هذا قول الكندى وابن الطيب وقد أتينا على قول الفريقين جميعا وما بينهما من الخلاف فى ذلك من أصحاب الزيجات وما وجدناه فى كتبهم وسمعناه من اتباعهم ولم نذكر ما ذكروه من البراهين المؤيدة لما وصفوا لاشتراطنا فى هذا الكتاب على أنفسنا الاختصار والايجاز وأما ما تنازع فيه المتقدمون من أوائل اليونانيين والحكماء المتقدمين فى مبادئ كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه فى كتابنا أخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فنا وقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا كل قول من ذلك الى قائله ولم نخل هذا الكتاب من ايراد لمع من قولهم وذهبت طائفة منهم الى ان البحر بقية من الرطوبة الاولى التى جفف اكثرها جوهر النار وما بقى منها استحال لاحتراقه ومنهم من قال ان الرطوبة الاولى المجتمعة لما احترقت بدوران الشمس وانعصر الصفو منها استحال الباقى الى ملوحة ومرارة ومنهم من رأى ان البحار عرق تعرقه الارض لما ينالها من احتراق الشمس لاتصال دورها ومنهم من رأى ان البحر هو ما بقى مما صفته الارض من الرطوبة الثانية لغلظ جسمها كما يعرض فى الماء العذب اذا امتزج بالزيادة فانه اذا صفا من الزيادة وجد ما لحا بعد ان كان عذبا وذهب آخرون ان الماء عذبه ومالحه كانا ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتغتذى به وقال بعضهم بل يعود بالاستحالة ماء اذا صار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه ويكثفه ومنهم من ذكر ان الماء الذى هو اسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما يناله من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن أهل البحث من

قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض وبطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مصاص من مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة واللذات فى الماء من اجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن اجزاء النيران المختلطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخرهما فاذا ارتفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دأبها وعادتها ثم يعود ذلك الماء مالحا الان الارض اذن كانت تعطيه الملوحة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع اللطيف فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الاندية سيولا وتطلب الحدور والقرار وتجرى فى اعماق الارض حتى تصير الى ذلك الهور فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كمجنون غرف من نهر وصب الى حفرة تفيض الى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة فى غذائها فاجتذبت منه ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ما ثقل منه وهو المالح والمر فمن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة الى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصارت الفضول مرا زائدا على ما يوجد من العرق والبول لوجود ما أكل محترق مر هذا قول جماعة ممن تقدم وأما ما يوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا اصعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولاسيما ان صعدت مرتين واسخنت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق فى هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك ان الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك ان الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وانه اذا أخذ شئ من الشمع فعمل منه أناء ثم سد رأسه وصير فى ماء مالح وجد ذلك الماء الذى وصل الى الاناء عذبا فى الطعم خفيفا فى الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكلما يجرى فهو نهر وحيث ينبع فهو عين وحيث يكون معظم الماء فهو بحر (قال المسعودى) وقد تكلم الناس فى المياه واشباهها وأكثروا وقد ذكرنا فى كتابنا اخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فنا ما اوردوه من البراهين فى مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة فى ملوحة مائها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولأية علة كان الجزر والمد فى البحر الحبشى أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشى فى أغلب الامور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة وان ذلك لا غاية له وفى مواضع منه شاهدت أرباب المراكب فى البحر الرومى من الحربية والعمالة وهم النواتى وأصحاب الرجل والرؤساء ومن يلى تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوى المكنى بابى الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومى وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة انظر منه

فى البحر الرومى ولا آنس منه وليس فيه بركته من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو منقاد الى قوله ويقرّ له بالتبصر والحذق مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من اخبارها وآفاتها وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم علامات المياه ومستقرها من الارض الى ممن تكلم فى انه يرى فى المواضع التى فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر وان ماعدى ذلك فعلى البعد ووجدت فى كتاب الفلاحة ان من أراد ان يعلم قرب الماء وبعده فليحفر فى الارض ثلاثة أذرع أو أربعة ثم يأخذ قدرا من نحاس أو سحابة خذف فيدهنها بالشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس تحذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها فى أسفل ذلك القدر الذى قد دهنته بدهن أو بشحم ثم ألقها فى أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقا والموم يمسكه ويصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب قدر ذراعين أو ذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع الاناء فان رأيت الماء ملتزقا بالاناء من داخل قطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان فى ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر مفترقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء فى الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة ماء فانه ليس فى ذلك الموضع ماء فلا تتعنى فى حفره ووجدت فى بعض النسخ من كتب الفلاحة هذا المعنى أن من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشى فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشى لا يكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثانى ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ماذكرنا فى كتابنا اخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب ماتدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من اخبار البحار وغيرها فلننقل فى اخبار ملوك الصين وغيرها وأهلها وغير ذلك مما لحق به ان شاء الله تعالى

ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عابور واخبار الصين وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

قد تنازع الناس فى أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابور وارفخشذ بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح ساروا سيرة فى الشرق فسار قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا فى الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجبل والطيلسان والتتر وفرغان فأهل جبل الفتح أنواع الكريم واللان والخزر والانجبار والسرير وكشك وسائر تلك الامم المنتشرة فى ذلك الصقع والأرمن الى بلاد طرابزيدة الى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد

عابور نهر بلخ وعم بلاد الصين الا كثرمنهم وتفرقوا عدة ممالك فى تلك البلاد وانتشروا
فى تلك الديار فنهم الجبل وهم سكان جيلان والاشروسنة والصغد وهم بين بخارى وسمرقند ثم
الفراعنة والشاش واسبيجاب وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس
غير هؤلاء فسكنوا البوادى فنهم الترك الخزلج والطغزغز ومنهم أصحاب مدينة كوسان
وهى مملكة بين خراسان و بلاد الصين وليس فى أجناس الترك وأنواعهم فى وقتنا هذا وهو
سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أشد منهم بأسا ولا أكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ارخان
ومذهبهم مذهب المانية وليس فى الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك
الكيمالية والبرسخانية والبدية والجقوبية واشدهم بأسا الجقوبية وأحسنهم صورة
وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الخولجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش وما يلى ذلك الصقع
وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه
ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسيات) التركى الغالب على بلاد فارس ومنهم (سانه)
وللخاقان الترك فى وقتنا هذا انتقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمات وهى
فى مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب فى ذلك فى كتابنا المترجم
بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت
ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بألوان الهند ولهم حضر وبواد وسكن فريق منهم ببلاد
التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ما قدمنا وسمى أهل التبت ملكهم
بخاقان تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا
الى اقاصيه من بلاد الصين فتفرقوا فى تلك البقاع والبلاد ووطنوا الديار وكوروا الكور
ومصروا المدن واتخذوا المملكتهم مدينة عظيمة وسموها انموا وبينها وبين ساحل البحر الحبشى
وهو بحر الصين مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة وكان أول ملك تملك عليهم فى هذه الديار
وهى انموا (اسطرماس) بن فاعور بن بريح بن عابور بن يافث بن نوح فكان ملكه ثلثمائة سنة
ونيفا وفرق أهله فى تلك الديار وشق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار وأطعم الثمار
وهلك فملك ولد له يقال له (عرون) فجعل جسد أبيه فى تمثال من الذهب الاحمر جزعا عليه
وتعظيما له وأجلسه على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه وأقبل
يسجد لابيه وهو فى جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته فى طرفى النهار اجلالا له وعاش
مائتى سنة وخمسين سنة وهلك فملك ولد له يقال له (عبرور) فجعل جسد أبيه عرون فى تمثال من
الذهب الاحمر وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بانواع الجواهر وكان
يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وسواهم فى
جميع أمورهم وشملهم بالعدل فكثر النسل وأخصبت الارض فكان ملكه الى ان هلك نحوا من
مائتى سنة ثم ملك بعده ولده (عينيان) فجعل أباه فى تمثال من الذهب الاحمر وجرى على ما سلف
من افعالهم فى السجود والتعظيم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بنى عمه فعاش
أربعمائة سنة واتخذ فى ايامه كثير من المهن مما لطف فى الدور من الصنائع وملك بعده
ولده (خرامان) فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال وحمل لطائف بلاد الصين وصيرها نحو بلاد

السند والهند الى أقليم بابل والى سائر الممالك مما قرب منها وأبعد فى البحر وأهدى الهدايا
العجيبة والرغائب النفيسة الى الملوك وأمرهم ان يجلبوا اليه ما فى كل بلد من الطرائف
والتحف من المآكل والمشارب والملابس وسائر الفرش وان يعرفوا سياسة كل ملك وكل
امة وشريعتها ونحيها التى هى عليه وان يرغبوا الناس فيما فى بلدانهم من الجواهر والطيب
والآلات فتفرقت المراكب فى البلاد ووردوا الممالك لما أمروا به فلم يردوا على أهل مملكة
الا وأعجبوا بهم واستظرفوا ما أوردوه من أرضهم فبثت الملوك المطيفة بالبحار المراكب
وجهزت نحوهم السفن وحملوا اليهم ماليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافأوه على ما كان من
هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت له الامور فكان عمره نحوا من مائتى سنة فهلك
فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى الاكبر من أولاده فصيروه
عليهم ملكا فجعل جسد أبيه فى تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله فى فعلهم مقتديا
بمن مضى من أبائه وكان اسم هذا الملك (توماهان) واستقامت له الامور وأحدث
من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل فان العدل
ميزان الرب وان من العدل الزيادة فى الاحسان مع الزيادة فى العمل وحسن وشرف وتوج
ورتب الناس فى رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا يبنى فيه هيكلا فوافى موضعا
عامرا بالنبات حسن الاعتمام بالنهر تخترقه المياه فخط الهيكل هنالك وجلبت له أنواع الاحجار
المختلفة الالوان لتشييد الهيكل وجعل على علوه قبة وجعل لها مخارج للهواء متساوية
ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب فى أعلاها تلك التماثيل التى
فيها أجسام من سلف من أبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان
من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع الشمل وتساوى النظام فانه متى عدم
الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية
وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا فى الانفس والاعضاء ومحللات
منها كى يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة
يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقربا
لمعبودهم منها ايماء لاركوع فيها ولا سجود فى أوقات من الليل والنهار معلومة ومنها
بركوع وسجود فى أوقات من السنين فى شهور محدودة ورسم لهم اعيادا وجعل على الزناة
منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستحسن النكاح فى وقت
من الاوقات وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا
يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن أناثا فلامهاتهن ويلحقن بصنعتهن
وأمرهم بقرابين للهياكل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب
اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير واحكم لهم جميع الامور واستقامت
ايامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا
فجعلوه فى تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا
سقفه سبعة ألوان من الجوهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها

واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب وأكثر أموالهم الفلوس من الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انمو وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر وأكثر من ذلك على حسب ما قدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من أرضهم مغرب الشمس يقال لها مدو تلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت وأهل المدسجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجئ الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل منهم ومن لا علم له يشرك الاصنام بالاهية الخالق ويعتقدهما جميعا وان عبادتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون فى جميع احكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الطغزغز على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى ان وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما فى هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال والبله والمجانين وأن البارئ جل وعز غنى عن ايلامهم وأراهم ان هنالك ضدا شديدا دخل على الخير الفاضل فى فعله وهو الله عز وجل فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ايرخان سجالا واذا كان ملك الصين منانى المذهب كان الامر بينهم بتنا فى الملل مشاعا وملوك الصين ذوو آراء ونحل الا انهم مع اختلاف اديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق فى نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها فى انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج فى ربيعة أو من ربيعة فلا يتزوج فى مضر أو من كهلان فلا يتزوج فى حمير

أو من حمير فلا يتزوج من كهلان ويزعمون ان فى ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه أصح للبقاء وأتم للعمر وأسباب يذكرونها نحو ما ذكرنا فلم تزل أمور الصين مستقيمة فى العدل على حسب ما جرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين فانه حدث فى الملك أمر زال به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو ان نابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان فى بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه أهل الدعارة والشر فلحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع أهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة عاصور وهى مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها واتته جيوش الملك فهزمها واستباح ما فيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من أهلها خلقا لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق خوف السيف فكان مائتى ألف وانما أحصى ما ذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصى من فى مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم لبصير ذمة لها فى دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منه لدود القز الذى يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصينى وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة حزران وهى دار الملك فتحصن بها فى مائتى ألف ممن بقى معه من خواصه والتقى هو وياسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وأمعن الخارجى فى طلبه فانحاز الملك الى مدينة فى أطراف أرضه واستولى الخارجى على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات فى سائر العمارات وافتتح المدن وعلم ان لا قوام له بالملك اذ كان ليس من أهله فامعن فى خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب ملك الصين من المدينة التى انحاز اليها المتاخمة لبلاد التبت وهى مدينة مذ المتقدم ذكرها ملك الترك ابن خاقان فاستنجده وأعلمه ما نزل به وأعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن خاقان بولده بنحو من أربعمائة ألف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ففقد ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من أصحابه وسار ملك

الصين الى دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الأخص لملوك الصين والذي يخاطبون به جميعا (طمغاج خان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عماله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر ابن فيلقوس المقدوني لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضي ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك ولم يتوجه منه المسير الى سائر عماله ولا محاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال اليه فتاركهم مسالمهم وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات للملك وانقياد للعدل على حسب ما توجبه قضية العقل (وحكي) ان رجلا من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى الى العراق فحمل من جهازه وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى أتى الى بلاد عمان وركب الى بلاد كلة وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك واليها تنتهي مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك وذلك ان مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة فلذلك كانت المراكب تختلف في المواضع التي ذكرنا الى ما هنالك ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعا في هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة في مراكب الصينيين الى مدينة خانقو وهي مرسى المراكب على حسب ما ذكرنا آنفا وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز والامتعة فسرح خصيا من خواص خدمه ممن يثق به في أسبابه وذلك ان أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم في الخراج وغيره من العمالات والمهمات وفيهم من يخصي ولده طالبا للرياسة واعتقاد النعمة فسار الخصي حتى أتى مدينة خانقو فأحضر التجار ومعهم التاجر الخراساني فعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وما يصلح له فسأل الخراساني ان يحضر متاعه فاحضره وجرت بينهم محادثة ودار الامر بينهم في التثمين للمتاع فأمر الخصي بسحب الخراساني واكراهه وذلك انه راده ثقة منه بعدل الملك فمضى الخراساني من فوره حتى أتى الى مدينة انموا وهي دار الملك فوقف موقف المتظلم اذا أتى من البلد الشاسع قد تقمص نوعا من الحرير الاحمر ووقف موضعا قد رسم للظلامة وقد رتب بعض الملوك ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظلمين ويقف ذلك الموقف فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ففعل ذلك بالتاجر الخراساني ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم وخاطرت بنفسك انظر ان كنت صادقا فيما تخبر والا فانا نقتلك ونردك قيلا من حيث جئت وكان هذا خطابه لمن تظلم فان رآه قد جزع وضرع في القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ما هو عليه حمل الى حضرة الملك وأوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراساني في المطالبة والظلامة فرآه محقا غير ضرع

ولا متلجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما أن أدى الترجمان اليه ماقاله وفهم ظلامته أمر به الى بعض المواضع وأحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب الميسرة وهم أناس قدرتهم والذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه فأمرهم الملك ان يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالناحية ولكل واحد منهم خليفة فى كل ناحية فكتبوا الى أصحابهم بخانقو ان يكتبوا اليهم بما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها فى سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مسرجة محذوقة الآلات للاخبار والخرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه سلبه ما كان أنعم به عليه ثم قال له عمدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالكا واجتاز ملوكا فى بر وبحر فلم يتعرض لها يؤمل الوصول الى مملكتى ثقة منه بعدلى ففعلت به ما فعلت وكان ينصرف عن ملكى ويقبح الاحدوثة عن سيرتى أما لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك لكن اعاقبك بعقوبة ان عقلت فانها أكبر من القتل وهو أن أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة أن عجزت عن تدبير الاحياء والقيام بما اليه ندبت وأحسن الى التاجر وحمله الى خانقو وقال له ان سمحت نفسك ان تبيع منا ما اختير من متاعك بالثمن الجزيل والا فأنت المحكم فى مالك اقم اذا شئت وبع كيف شئت وانصرف راشدا حيث شئت وصرف الخادم الى مقابر الملوك (قال المسعودى) ومن طرائف اخبار ملوك الصين أن رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من أمر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل الى مدينة سيراف وكان من أرباب البصرة وأرباب النعم بها وذوى الاحوال الحسنة ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد يخترق ممالك الهند الى أن انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته الى ان سار الى دار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهى من كبار مدنهم ومن عظيم أمصارهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليه من جميع أموره وكتب الى الملك المقيم بخانقو يامره بالبحث عنه ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبى العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه فاذن له فى الوصول اليه ووصله بمال واسع وأعاده الى العراق وكان شيخا فهما فاخبر أنه لما وصل اليه ورأى ما هو عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل فقال له لقد غلبت العرب على أجل الممالك وأنفسها واوسعها ريعا وأكثرها أموالا وأعقلها رجالا وأهداها صوتا ثم قال له فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالى بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا الذى يملك العراق لانه فى وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملك الملوك وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا أحد من الملوك أسوس منا ولا أضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا أطوع لملوكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك

الذى يلينا وهم سباع الانس ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لأن أصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس فى الارض أتم خلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشى وكيف لى برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما أردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان أره صاحبه فرأيت فى الدرج صور الانبياء فحركت شفتى بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسألنى فقلت أصلى على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صور من أمورهم هذا نوح عليه السلام فى السفينة بمن معه لما أمر الله عز وجل الماء فعم الماء الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فقال أما نوح فصدقت فى تسميته وأما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا ان كان خبركم صحيحا فنحن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم لا نعرف ماذكرتم ولا نقل الينا اسلافنا ما وصفتم وماذكرت من ركوب الماء الارض كلها فمن الكوائن العظام التى تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم ناقلة له قال القرشى فهبت الرد عليه واقامة الحجة لعلمى بدفعه ذلك ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذى كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى بن مريم عليه السلام على حمارة والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان أمده يزيد على ثلاثين شهرا شيأ يسيرا وعدد من ذكرنا من الانبياء مما اقتصرت على ذكر بعضه ويزعم هذا القرشى وهو المعروف بابن وهبان انه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قدر زيد فيها ذكر أسمائهم ومواضع بلدانهم ومقادير أعمارهم وأسباب نبواتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل وأصحابه محدقون به فى أرجلهم نعال عربية من جلود الابل وفى أوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه أجل الممالك الا أنه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على أمته من خلفائه ورأيت صور انبياء كثيرة منهم من قد أشار بيده جامعا بين سبابته وابهامه كالحلقة كانه يصف ان الخليقة فى مقدار الحلقة ومنهم من قد أشار بسبابته نحو السماء كالمرهب للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألنى عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما أعلم منها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع فى ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكا كثيرا ووزيره أيضا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم قال هذا فذلت فقلت بلى هو قال ذلك فرأيت الانكار فى وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل أما ما زعمت انكم تختلفون فى ذلك فانكم انما اختلفتم فى قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب ان يختلف فيه بل هو مسلم فاحذر هذا وشبهه أن

تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عنى لطول المدة ثم قال لى لم عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ومنسبا قلت بما حدث على البصرة ووقوعى الى سيراف ونزعت بى همتى الى ملكك أيها الملك لما بلغنى من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة جنودك فأحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وانا راجع عنها الى بلادى وملك ابن عمى ومخبر بما شاهدت من جلالة هذا الملك وسعة هذه البلاد وشيمك أيها الملك المحمود وسأقول بكل قول حسن وانى بكل جميل فسره ذلك وأمر لى بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملى على البريد الى مدينة خانقو وكتب الى ملكها باكرامى وقدومى على من فى ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجى عنه فكنت فى أخصب عيش وأنعمه الى أن خرجت من بلاد الصين (قال المسعودى) وأخبرنى أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافى بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك فى سنة ثلاث وثلثمائة وأبو زيد هذا هو ابن عم بن زيد بن محمد بن مزدبن ساسياد السيرافى وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتميز أنه سأل ابن وهبان القرشى عن مدينة حمدان التى بها الملك وصفتها فذكر سعتها وكثرة أهلها وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه فى الشق الايمن منه مما يلى المشرق لا يخالطهم أحد من العامة وليس فيه شئ من الاسواق بل انهار فى سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفى الشق الايسر مما يلى المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رأيت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان وزرائه ووكلائهم ما بين راكب وراجل قد دخلوا الى السوق الذى فيه العامة والتجار فأخذوا بضائعهم وحوائجهم ثم انصرفوا فلا يعود واحد منهم الى هذا السوق الا فى اليوم الثانى وان هذه البلدان فيها كل نزهة وغيضة حسنة وأنهار مطردة الا النخل فانه معدوم عندهم وأهل الصين من أحذق خلق الله كفا بنقش وصنعة وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الامم والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع فيأمر الملك بنصبه على بابه من وقته ذلك الى سنة فان لم يخرج أحد فيه عيبا أجاز صانعه وأدخله فى جملة صناعه وان أخرج أحد فيه عيبا طرحه ولم يجزه وأن رجلا منهم صور سنبلة سقط عليها عصفور فى ثوب حرير فلم يشك الناظر الا أنها سنبلة سقط عليها عصفور فبقى الثوب مدة وأنه اجتاز به أحدب فعاب العمل فادخل الى الملك وأحضر صاحب العمل فسأل الاحدب عن العيب فقال المتعارف عند الناس جميعا أنه لا يقع عصفور على سنبلة الا أمالها وصور هذا المصور السنبلة فنصبها قائمة لا ميل فيها وأثبت العصفور فوقها منتصبا فاخطأ فصدق الاحدب ولم يثب صاحبها بشئ وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الاشياء ليضطرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم أخبار ظريفة سنورد منها فيما يرد من هذا الكتاب جملا وان كنا قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك فى كتابنا اخبار الزمان فى الامم الماضية والممالك الدائرة وذكرنا فى الكتاب الاوسط جملا لم نتعرض لذكرها فى كتاب أخبار الزمان وذكرنا فى هذا

الكتاب مالم يتقدم ذكره فى ذينك الكتابين والله أعلم

ذكر جمل من الاخبار عن البحار ومافيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الأندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه

قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة ولنذكر الآن فى هذا الباب جملا من أخبار ما اتصل بها من البحر الحبشى والممالك والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من أنواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الا ان هيجانها وركودها يختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه ويلين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه فاول ماتبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفى ولايزال فى كل يوم تكثر أمواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فاشد مايكون ذلك فى آخر الخريف عند كون الشمس فى القوس ثم يلين الى ان تعود الشمس الى السنبلة وآخر مايكون ذلك فى آخر الربيع عند كون الشمس فى الجوزاء وبحر الهند لايزال كذلك الى ان تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ مايكون عند كون الشمس فى القوس وبحر فارس يركب فى سائر السنة من عمان الى سيراف وهو ستون ومائة فرسخ ومن سيراف الى البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ولا يجاوز فى ركوبه غير ماذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم النجوم ماذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند فى انتهائه الا مركب معزز وحمولته يسيرة سيما المراكب التى بعمان فانها اذا قطعت الى أرض الهند تحتاج الى النباهة بذلك ببلاد الهند فى هذا الوقت الذى تكون فيه السيارة وهو الشتاء ودوام الامطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر فى حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى اقاصى هذا البحر ومن شتى فى صيفنا بارض الهند قيل فلان شتى فى أرض الهند أى شتى هنالك وذلك لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ فى بحر فارس وانما يكون فى أول نيسان الى آخر أيلول وماعدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص فى هذا البحر اذ كان ماعداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشى من بلاد خارك وقطن وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس فى تكونه ومن ذهب منهم الى ان ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى ان ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذى يسمى بالمحار والمعروف بالبلبل واللحم فى الصدف والشحم وهو حيوان يفرغ مافيه من اللؤلؤ والدر خوفا

الغاصة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر كيفية الغوص وأن الغاصة لا يكادون
يتناولون شيأ الا السمك من اللحمان والتمر لا غيرهما من الاقوات وما يلحقهم وذكر شق أصول
آذانهم لخروج النفس من هنالك بدلا عن المنخرين يجعل عليهما شيء من الدبل أو من القرن
يضمهما كالمشقاص لا من الخشب وما يجعل في آذانهم من القطن فيه شيء من الدهن فيعصر
من ذلك الدهن اليسير في الماء في قعره فيضيء لهم بذلك في البحر ضياء بينا وما يطلون به أقدامهم
وشفاههم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ولنفورها من السواد وصياح الغاصة
في البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض وللغواص واللؤلؤ وحيوانه
اخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته واثمانه ومقادير
أوقاته فيما سلف من كتبنا فاول هذا البحر مما يلي البصرة والابلة والبحرين من خشاب
البصرة ثم بحر لاوري وعليه بلاد صيمور وسوبارة وثانه وسندان وكسايه وغيرها من السند
والهند ثم بحر هركند ثم بحر كلاه بار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كندرنج ثم بحر الصنف
واليه يضاف العود الصنفي الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صنجي ليس بعده بحر فاول بحار
فارس على ما ذكرنا خشاب البصرة والموضع المعروف بالكنكلا وهي علامات منصوبة من
خشب في البحر مغروسة علامات للمراكب الى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ وعلى
ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها
مزون الى المسقط وهي قرية منها يستقي أرباب المراكب الماء من آبار هنالك عذبة خمسون
فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة
فرسخ هذا تحديد النواتي وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن
من أرض الشحر والاحقاف والرمل منه تحت البحر لا يدري أين تنتهي غايته في الماء فمن
هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثاني وهو المعروف بلاوري لا يدري عمقه ولا يحصر طوله
وعرضه عند البحريين وربما يقطع في الشهرين والثلاثة وفي الشهر على قدر مهاب الريح
والسلامة وليس في هذه البحار أعني ما احتوى عليه البحر الحبشي أكبر من هذا البحر بحر
لاوري ولا اشد وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره
يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة
وغيرهم من العرب وهم مهرة ولغتهم بخلاف لغة العرب وذلك انهم يجعلون الشين بدلا من
الكاف مثال ذلك ان يقولوا هل لش فيما قلت لش وقالت لي ان تجعلي الذي معي في الذي معش
يريدون هل لك فيما قلت لي وقلت لك ان تجعلي الذي معي في الذي معك وغير ذلك من خطابهم
ونوادر كلامهم وهم ذوو فقر وفاقة ولهم نجب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية تشبه في
السرعة بالنجب البجاوية بل عند جماعة انها أسرع منها يسيرون عليها على ساحل بحرهم
فاذا أحست هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه قد ريضت لذلك واعتادته فيتناوله
الراكب وأجود العنبر ما وقع في هذه الناحية والى جزائر الزنج وساحله وهو المدور
والازرق البارز كبيض النعام أو دون ذلك ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالاوال المقدم
ذكره وذلك ان البحر اذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال واصغر على ما وصفنا فاذا

ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه فى القوارب من الزنج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال فيشقون عن بطنه و يستخرجون العنبر منه فما يخرج من بطنه يكون سمكاو يعرفه العطارون بالعراق وفارس والهند وما يقى على ظهر الحوت منه كان نقيا جيدا على حسب لبثه فى بطن الحوت و بين البحر الثالث وهو هركند والبحر الثانى وهو لاورى على ماذكرنا جزائر كثيرة وهى قرى بين هذين البحرين ويقال انها نحو من الفى جزيرة وفى قول المحق ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس وملكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم فى قديم الزمان لا يملكهم رجل والعنبر يوجد فى هذه الجزائر أيضا يقذفه البحر ويوجد فى بحرها كاكبر ما يكون من قطع الصخر وأخبرنى غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من البحار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت فى قعر هذا البحر ويتكون كتكون أنواع الفطر من الابيض والاسود والكمأة والمعاريد وبنات أوبر ونحوها فاذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وقطع العنبر وأهل هذه الجزائر متفقون وكلمتهم واحدة لا يحصرهم العدد لكثرتهم ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم شجر النارجيل لا يفقد من النخلة الا التمر وقد زعم اناس ممن عنى بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل وانما أثرت فيه تربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيلا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهوائها فى حيوانها من الناطقين وغيرهم وما تؤثر البقاع فى النامى من النبات وفيما ليس بنام كتأثير أرض الترك فى وجوههم وصغر اعينهم حتى أثر ذلك فى جمالهم فقصرت قوائمها وغلظت رقابها وأبيض وبرها وأرض يأجوج ومأجوج فى صورهم وغير ذلك مما اذا تبينه ذووا المعرفة فى سكان الارض من المشرق والمغرب وجدوه على ماذكرنا وليس يوجد فى جزائر البحر ألطف صنعة من هذه الجزائر فى سائر المهن والصنائع فى الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال هذه الملكة الودع وذلك ان هذا الودع فيه نوع من الحيوان واذا قل مالها أمرت أهل هذه الجزائر ان يقطعوا من سعف نخل النارجيل بخوصه و يطرحونه على وجه الماء فيتراكب عليه ذلك الحيوان فيجمع ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع خاليا مما كان فيه فتملأ من ذلك بيوت الاموال وهذه الجزائر تعرف جميعها بالدبيجات ومنها يحمل أكثر الرانج وهو النارجيل وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ويلى جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف فرسخ تعرف بالرامين معمورة وفيها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ويليها بلاد فيصور واليها يضاف الكافور القيصورى والسنة التى تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور واذا قل ذلك كان نقصانا فى وجوده وأكثر ماذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب وفيلتها كثيرة ومنها ما يأكل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالخابوس وهى أمم عجيبة الصور عراة يخرجون فى القوارب عند

اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والنارجيل فيتعاوضون بالحديد وشيء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لا مراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما قد انكسر في البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لي جماعة من النواخذة أنهم ربما رأوا في هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علا البحر وارتفعت منه زوابع عظيمة لا تمر زوبعة منها بشيء الا أتلفته ويمطرون عقيب ذلك مطرا سهكا فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كلاهار على حسب ما ذكرنا وتفسير ذلك بحركلة وهو بحر قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشد خبثا وهو كثير الجزائر والصراوي واحدها صرو وذلك ان أهل المراكب يسمون بحر الخليجين اذا كان طريقهم فيه الصرو وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة وانما غرضنا التلويح بلمع من الاخبار عنها لا البسط وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكردنج فانه كثير الجبال والجزائر وفيه الكافور وهو قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من الامم منهم جنس يقال له الفنجب شعورهم مفلفلة وصورهم ومناظرهم عجيبة يتعرضون في قوارب لهم لطاف للمراكب اذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت السم وبين هذه الامة وبين بلاد كله جبال معادن الرصاص الابيض وجبال من الفضة وفيها أيضا معادن من الذهب ورصاص لا يكاد يتميز منه ثم يليه (بحر الصنف) على ما رتبناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر وملكه لا ينضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد من الناس في أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين وقد حاز هذا الملك أنواع الافاويه والطيب وليس لاحد من الملوك ماله ومما يحمل من بلاده ويجهز من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين وفي أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع التراس مطرقة يجزون شعورهم كما يجز الشعر من الزق مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل تسود وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو تقذف باشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف وهذه أحد آطام الارض الكبار وتليها الجزيرة التي يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهي المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع من أصوات الملاهي وغيره والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفي مملكة المهراج جزيرة سريرة ومسافتها في البحر نحو من أربعمائة فرسخ عمائر متصلة وبه جزيرة الرانج والرامي وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه وهو

صاحب (البحر السادس) وهو بحر الصنف ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفا ويعرف بحر صنجى وهو بحر خبيث كثير الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة فى البحر وانما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه فى خطابهم وفيه جبال كثيرة لا بد للمراكب من النفوذ بينها ثم ان ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه اشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للخب فيستعدون لذلك فعافى ومبتلى فاذا كان كذلك ربما شاهد المعافى منهم فى أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب فى بحر الصين وغيره فى البحر الحبشى الدولى وتسميه الرجال فى البحر الرومى الصارى) شيأ على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على مل ء بصره منه ولا ادراكه كيف هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ والامواج تصغر والخب يسكن ثم ان ذلك النور يفقد فلا يرى كيف أقبل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل النجاة وما ذكرنا فلا تناكر فيه عند أهل البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا فى مقدور البارى جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفى هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار على البر صار حجارة وزالت عنه الحيوانية وتدخل تلك الحجارة فى اكحال العين وادويتها وأمره مستفيض أيضا ولبحر الصين أيضا وهو السابع المعروف بصنجى اخبار عجيبة وقد أتينا على جمل من أخباره واخبار ما اتصل به من البحار فيما سلف من كتبنا واسلفنا من تصنيفنا فى هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجملا من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلى البحر ممالك تعرف ولا توصف الا بلاد السلى وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء أحد من العراق ولا غيره فخرج منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس وأهلها مهادنون لاهل الصين وملوكها والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع وقد قيل انهم تشعبوا من ولد عابور وسكنوا هنالك على حسب ما ذكرنا من سكنى أهل الصين فى بلادهم وللصين انهار كبار مثل الدجلة والفرات تجرى من بلاد الترك والتبت والصغد وهى بين بخارى وسمرقند وهنالك جبال النوشادر فاذا كان فى الصيف رؤيت فى الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ بالنهار يظهر منها الدخان عليه شعاع الشمس وضوء النهار ومن هنالك يحمل النوشادر فاذا كان فى أول الشتاء من أراد من بلاد خراسان ان يسلك الى بلاد الصين صار الى ما هنالك وهنالك واد بين تلك الجبال طوله أربعون ميلا أو خمسون فيأتى الى أناس هنالك على فم الوادى فيرغبهم فى الاجرة النفيسة فيحملون ما معه على اكتافهم وبأيديهم العصى يضربون جنبيه خوفا ان يلج أو يقف فيموت من كرب الوادى وهوله حتى يخرجون الى ذلك الرأس من الوادى وهنالك غابات ومستنقعات للماء فيطرحون أنفسهم فى ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر

النوشادر ولا يسلك ذلك الطريق شئ من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا فى الصيف فلا يسلك ذلك الوادى داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء وقع فى ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهيبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادى والبهائم لا صبر لها على ماذكرناه من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب مافعل بالماضى والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذى ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفى غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا ان ذلك فى خفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة بلخ شيخا جميلا ذا رأى وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين ببلاد خراسان والسند مما يلى بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى ان تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان وهى بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس فى أنسابهم فمنهم من ألحقهم بولد يافث ابن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى فى نسل طويل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب عليهم حمير وفيهم بعض التبابعة على حسب ماذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب وذلك موجود فى أخبار التبابعة ولهم حضر وبدو وبواديهم ترك لا تدرك كثرة ولا يقاومهم أحد من بوادى الاتراك وهم معظمون فى سائر أجناس الترك لان الملك كان منهم فى قديم الزمان وعند سائر اجناس الترك أن الملك سيعود اليهم ويرجع فيهم ولبلاد التبت خواص عجيبة فى هوائها وسهلها ومائها وجبلها ولا يزال الانسان أبدا بها ضاحكا فرحا مسرورا لا تعرض له الاحزان ولا الغموم ولا الافكار ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها ومروجها وهوائها وانهارها وهى بلاد تقوى فيها طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره ولا يكاد يرى فى هذا البلد شيخ حزين ولا عجوز بل الطرب فى الشيوخ والكهول والشباب والاحداث عام وفى أهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهى وأنواع ايقاع الرقص حتى ان الميت اذا مات لا يكاد يداخل أهله عليه كثير من الحزن مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أو فوت مطلوب ولهم تحنن كثير من بعضهم على بعض والتبسم فيهم عام وكذلك يظهر فى سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى بمن ثبت فيها ورتب من رجال حمير فقيل ثبت لثبوتهم فيها وقيل لمعان غير ذلك والاشهر ماوصفنا وقد افتخر دعبل ابن على الخزاعى بذلك فى قصيدته التى يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند * وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر فى باب اخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا فى قديم الزمان يسمون ملوكهم تبعا لاتباع

اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر ضرب ضربانه فتغيرت لغاتهم عن الحميرية وحالت الى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الامم فسموا ملوكهم بخاقان وفى بلادهم الارض التى بها ظباء المسك التبتى الذى يفضل على الصينى بجهتين احداهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ماذكرنا من أنواع حشائش الطيب التى ترعاه التبتية والجهة الاخرى ان أهل التبت لا يتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ماهو به وأهل الصين يخرجونه من النوافج ويلحقه الغش بالدم وغيره من أنواع الغش وان الصينى أيضا يقطع به ماوصفنا من مسافة البحار وكثرة الانداء واختلاف الاهوية وان عدم من أهل الصين الغش فى مسكهم وأودع برانى الزجاج وأحكم وأورد الى بلاد الاسلام من عمان وفارس والعراق وغيرها من الامصار كان كالتبتى واجود المسك واطيبه ماخرج من الظباء بعد بلوغه النهاية فى النضج وذلك أنه لا فرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك فى الصورة والشكل واللون والقرن وانما تبين تلك بأنياب لها كأنياب الفيلة لكل ظبى نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان نحو الشبر وأقل وأكثر فتنصب لها فى بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك والشباك فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم فى سررها خام لم ينضج وطرى لم يدرك فيكون لريحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أبينت عن الاشجار وقطعت قبل استحكام نضجها فى شجرها واستحكام موادها فيه وخير المسك ما نضج فى وعائه وأدرك فى سرته واستحكم فى حيوانه وتمام مواده فى ذلك ان الطبيعة تدفع مواد الدم الى السرة فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج اذاه ذلك وحكه فيفزع حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الخراج والدمل ونضج ما فيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ ما فى نافجته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم ويجتمع ثانية ككونه بدأ فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وأنضجته الطبيعة فى حيوانه وجففته الشمس وأثر فيه الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها مستعدة معهم فذلك الذى تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويحمله التجار فى النادر من بلادهم والتبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر فى الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وأثبتهم قدما وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته فى العالم منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم يتلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عند ملوك الاكابر أن الحكمة من الهند بدؤها ثم يتلوه فى المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية

والسياسة واتقان الصنعة وليس فى ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلو ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغز من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس فى ملوك العالم أشد بأسا من رجاله ولا أشد استنسادا منه على سفك الدماء ولا أكثر خيلا منه ومملكته فرز بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم ابرجان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى ملكه الا انه ليس فيهما من يدانى ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس فى ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى وقد قال ذو عناية بأخبار العالم وملوكهم فى شعر له يصف جملا من مراتب ملوك العالم وممالكهم وأسمائهم

الدار داران ايوان وغمدان * والملك ملكان ساسان وقحطان
والارض فارس والاقليم بابل والا سلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العليان اللذا حسنا * منها بخارى وبلخ الشاه دار ان
والبيلقان وطبرستان مادرها * والصين مروانها والجيل جيلان
قد رتب الناس فيها فى مراتبهم * فمرزبان وبطريق وطرخان
للفرس كسرى وللروم القياصر والحبش النجاشى والاتراك خاقان

وصاحب صقلية وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لزريق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاسبان وهم أمة من ولد يافث بن نوح وانصلت هنالك والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين ان لزريق كان من ملوك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لزريق الذى كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت قصبة الاندلس ودار مملكتهم ويشقها نهر عظيم يدعى تاجة يخرج من بلاد الجلالقة والوسكند وهى أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة ويصب هذا النهر فى البحر الرومى وهو موصوف بأنه من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة وهى من البنيان المذكور الموصوف أعجب من قنطرة سنجة من الثغر الجزرى مما يلى سميساط من بلاد سرحه ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها اسوار منيعة وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبنى أمية قد كانوا عصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للأمويين اليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان غير كثيرا من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام واهم على

بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن بن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس فى سنة تسع وثلاثين ومائة فلكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فلكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحوا من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم على ماذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت فتاه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجلهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة فى أزيد من مائة ألف فارس من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة اسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة بين الاسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء وممن عرف أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وكانت للجلالقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى الافرنجة مدينة اربونة خرجت عن أيدى المسلمين من مدائن الاندلس وثغورها سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة أخذا فى الشمال افراغة على نهر عظيم ثم لاردة ثم بلغنى عن هذه الثغور أنها تلاقى الافرنجة وهى أضيق مواضع الاندلس وقد كان قبل الثلاثمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم فى هذا البحر فى كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد اصيب فى البحر الرومى فيما بين جزيرة أقريطش الواح المراكب الساج المنقبة المخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الامواج فى مياه البحار وهذا لا يكون الا فى البحر الحبشى لان مراكب البحر الرومى والغربى كلها بالمسامير ومراكب الحبش لا يثبت فيها الحديد لان ماء البحر يذيب الحديد فتدق المسامير فى الالواح وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة فهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وان البحر مما يلى الصين وبلاد السلى يدور على بلاد الترك ويفضى الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر وهذا من المستنكر فى البحر الرومى الذى لم يعهد فيه فى قديم الزمان مثل ذلك ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من الواح مراكب البحر الصينى والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وما قرب منه

من عمائر السودان وأقاصي أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذوو العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء واحد من ستين جزءا من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض كلها مسيرة خمسمائة سنة ثلث عمران مسكون مأهول وثلث برارى غير مسكون وثلث بحار وتتصل أقاصي السودان العراة بآخر بلاد ولد ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهي بلاد تنيس وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عمائر متصلة الى أن تتصل بوادى الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التي سار اليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس وقد قيل ان ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهي الارض الكبيرة وقد كان ميمون بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو أباضي المذهب وهو الذي انشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا الاسنان عمر تلك الديار وكانت لهم حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس في الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن معدودة مثل مدينة بدعية وفيها معدن كبير من الفضة وهو مما يلي الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الاغلب التميمي وتولية المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد افريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره في أيام الرشيد وتداول ولده ببلاد افريقية وغيرها الى أن انتهى الامر الى أبي منصور زيادة الله بن عبد الله ابن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن محمد بن الاغلب بن سالم بن سوادة فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجبال البربر وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر ومسيره الى الرافقة والرقة وكان هذا المحتسب من مدينة رام هرمز من كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركنداج ملك الجيرة من بني نصير النعمانية والمناذرة ملك جبال طبرستان كان يدعى فارن والجبل معروف به وبولده في هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج من ملوك السند فورة وهو اسم بالمدينة لملوكهم وقد صارت اليوم في حيز الاسلام وهي من أعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التي اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) الذي زعم الجاحظ أنه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وفورة هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك القندهار من ملوك السند وجبالها

ويدعى ججج وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (بزايد) وهو أحد الانهار الخمسة التي منها مهران السند والقندهار ببلاد الدهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل) ويجتاز ببلاد الدهبوط وهي بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم الهند مما يلي بلاد بسبط وعرض ونفس والرخج وبلاد الدوار مما يلي بلاد سجستان ونهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمير وملك قشمير يعرف بالراني هذا الاسم الاعم اسائر ملوكهم وقشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين ألفا الى سبعين ألفا لاسبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ماذكرناه من ملكه باب واحد لان ذلك في جبال شوامخ منيعة لاسبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلحق بعلوها ولا يلحقها الا الطير وما لا جبل فيه فاودية وعرة وأشجار وغياض وانهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان وماذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا فاما ملك قرورة وهو ملك القنوج فان مسافة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ في مثلها سافرا سخ سندية الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل وهو الملك الذي قدمنا في ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الاربع كل جيش منها سبعمائة ألف وقيل تسعمائة ألف وقيل تسعة آلاف ألف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه في تلك الثغور من المسلمين ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكير وبالجيوش الباقية من يلقاه في كل وجه من الملوك ويقال ان ملكه يحيط في مقدار ماذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين انهار وشجر وجبال ومروج وهو قليل الفيلة من بين الملوك ورسم الفافيل حربية تقاتل وذلك أن الفيل اذا كان فارها ممارسا شجاعا وكان راكبه فارسا وفي خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد وعليه تجافيف قد أحاطت سائر جسده من الفرق والحديد وكان حوله خمسمائة رجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه حارب ستة آلاف فارس وقام بها وأدناها اذا كان معه خمسمائة رجل كر في خمسة آلاف فارس ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم فيلتها في سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة ابن لؤي بن غالب وهو ذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعد وفيه على ماذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع وغير ذلك من العجائب التي تحمل اليه واذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره فترحل الجيوش

غيرهم عند ذلك وكان دخولى الى بلاد المولتان بعد الثلاثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه ابن أسد القرشى وكذلك كان دخولى الى بلاد المنصورة فى هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم من ولد عمر بن على ولد محمد بن على وبين ملوك المنصورة وبين أبى الشوارب القاضى قرابة ووصلة نسب وذلك أن ملوك المنصورة الذين الملك فيهم فى وقتنا هذا من ولد هبار بن الاسود ويعرفون ببنى عمر بن عبد العزيز القرشى وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموى فاذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة فى الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الرود من غربيها وهى من أعمال المنصورة سمى ما هنالك مهران ثم ينقسم قسمين وينصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند فى مدينة شاكرة من أعمال المنصورة فى البحر الهندى وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل والمسافة من المولتان الى المنصورة خمسة وسبعون فرسخا سندية على ما ذكرنا والفرسخ ثمانية أميال وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلثمائة الف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم المسند وهم نوع من السند وغيرهم من الاحابش ثم ثغر السند وكذلك المولتان من ثغور السند وما أضيف اليها من العمائر والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بنى أمية والملك المنصورة فيلة حربية وهى ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائة راجل وأنه يحارب الوفا من الخيل على ما ذكرنا ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كانا عليه من البأس والنجدة والاقدام على قلب الجيوش كان اسم أحدهما (منغرفلس) والآخر (حيدرة) ولمنغرفلس هذا أخبار عجيبة وأفعال حسنة وهى مشهورة فى تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب يبدى الحنين ويظهر الانين كالرجل الحزين ودموعه تجرى من عينيه لا تنقطع (ومنها) انه خرج ذات يوم من حائرة وهى دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقى الثمانين تبع لهما فانتهى منغرفلس فى سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة ففاجأ فى سيره امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشفت عنها أطمارها فى وسط الطريق فلما رأى ذلك منغرفلس وقف بعرض الشارع مستقبلا بجنبه الايمن من وراءه من الفيلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها ما بدا الى ان انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عاد اليها روحها فاستقام الفيل فى طريقه وأتبعه الفيلة وللفيلة أخبار عجيبة الحربية منها والعماله لان منها ما لا يحارب فيجر العجل ويحمل عليه الاثقال ويستعمل فى دياس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر فى البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها فى بلادها وليس فى سائر الممالك أكثر منها فى بلاد الزنج وهى وحشية هنالك

فهذه جمل من أخبار ملوك السند والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلى الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهى دار مملكة البلهرا أكثرها مضافة الى الصقع وهى كبيرة ولغة ساحله مثل صيمور وسوماره ومايه وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروى وبلدهم مضافة الى البحر الذى هم عليه وهو لاروى وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب وبهذا الساحل أنهار عظيمة تجرى من الجنوب بالضد من أنهار العالم وليس فى انهار العالم ما يجرى من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم يجرى من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة فى ذلك وما قاله الناس فى هذا المعنى فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس فى ملوك السند والهند من يعز المسلمين فى ملكه الا البلهرا فالاسلام فى ملكه عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون انه انما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم وله دراهم طاطرية وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف سكته بدء تاريخ ملكهم وفيلته الحربية لا تحصى كثيرة وتدعى بلاده أيضا بلاد الكمكر ويحاربهم ملك الجزر من احدى جهات مملكته وهو ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعم انه ليس فى ملوك العالم أجل منه الا صاحب أقليم بابل وهو الاقليم الرابع وذلك أن هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك وهو مع ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير الفيلة وملكه على لسان من الارض وفى أرضه معادن الذهب والفضة ومبايعاتهم بهما ثم يلى هذا الملك ملك الطافى موادع لمن حوله من الملوك وهو مكرم للمسلمين وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك وليس فى نساء الهند أحسن من نسائهم ولا أكثر منهن جمالا وبياضا وهن موصوفات الخلوات مذكورات فى كتب الباه وأهل البحر يتنافسون فى شراهن يعرفن بالطافيات ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى وهذه سمة لملوكهم وهو الاعم من أسمائهم ويقاتلهم ملك الجزر وملكه متاخم لملكهم ورهمى يحارب البلهرا أيضا من احدى جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وفيلة وخيولا من البلهرا ومن ملك الجزر ومن ملك الطافى واذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حربه الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يغلو بالقول فى كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهمى تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفى بلده العود والذهب والفضة والثياب التى ليست لغيره رقة ودقة ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالصمر الذى تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة يقوم بها الخدم على رؤس الملوك فى مجالسها وفى بلده الحيوان المعروف بالنشان [١٢] المعلم وهو الذى تسميه العوام الكركذن وله فى مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل فى الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد ما هو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من

الحيوان

الحيوان والفيلة تهرب منه وليس فى أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك أن أكثر عظامه أصم ولا مفصل فى قوائمه ولا يبرك فى نيام انما يكون بين الشجر والآجام بستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من فى بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بأرض السند والهند كثيرة وهذا النوع من النسيان يكون فى أكثر غابات الهند الا أنه فى مملكة رهمى اكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفى وسطه صورة سوداء فى ذلك البياض اما صورة انسان أو صورة طاوس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته فى نفسه أو صورة نوع من الحيوان مما يوجد فى تلك الديار فينشر هذا القرن وتتخذ منه المناطق والسيور على صورة الحلية من الذهب والفضة فتلبسها ملوك الصين وخواصها تتنافس فى لبسها وتبالغ فى أثمانها فتبلغ المنطقة التى دينار الى أربعة آلاف فيها معاليق الذهب وذلك فى نهاية الحسن والاتقان وربما تقمع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب ووجوه تلك الصور مكتتبة بسواد فى بياض وربما يوجد فى قرونه بياض فى سواد وليس فى كل بلد يوجد فى قرون النسيان ماذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل فى بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه فى بطنها وهذا القول أورده فى كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثنى هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار فكل يتعجب من قوله اذا أخبرته بما عندى من هذا وسألته عنه ويخبرونى أن حمله وفصاله كالبقر والجواميس ولست أدرى كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقلها أو مخبر اخبره بها ولرهمى فى ملكه بر وبحر ويلى ملكه ملك آخر يقال له ملك الكاسين وأهل مملكته بيض مخرومو الآذان لهم فيلة وابل وخيول وحسن وجمال للرجال والنساء ثم بعد هؤلاء ملك القرنج وله بر وبحر وهو على لسان من البر فى البحر يقع له عنبر كثير وفى بلده فلفل يسير وهو ذو فيلة كثيرة وهو ذو بأس بين الملوك وزهو وبخر وبخره أكثر من بأسه ثم يلى هذا الملك ملك الموجه له بيض ذو حسن وجمال غير مخرمى الآذان لهم خيل كثيرة وعدد منيعة والمسك فى بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلانهم ووصف ظبائهم فيما سلف من هذا الكتاب وهذه الامة تتشبه بأهل الصين فى لباسهم وبلادهم منيعة شواهق بيض لا يعلم بأرض السند والهند ولا فيما ذكرنا من هذه الممالك جبال أطول منها ولا أمنع ومسكهم موصوف مضاف الى بلادهم يتعارفه البحريون ممن عنى بحمل ذلك وتجهيزه وهو المسك المعروف بالموجهى ثم يلى ملك الموجه مملكة المابد ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان فى عمالات بلدانهم من المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم والمابد مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والمابد ناس عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المابد مملكة الصين وكل ملك الصين بهم ولم يتركهم ينتشرون فى بلادهم خوفا أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم لكبر المابد فى نفوسهم ولمن ذكرنا من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المآكل

والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكي بالنار وغيره وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح في أجوافهم لانه داء يؤذي ولا يحتشمون في اظهارها في سائر أحوالهم وكذلك فعل حكمائهم ورأيهم ان حبسها داء يؤذي وأن ارسالها شفاء ينجي وأن في ذلك العلاج الاكبر وأن فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وأن فيه داء للسقيم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم في صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا المخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء في وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها واستشهد هذا المخبر على صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة القول في ذلك في كثير من الناس عنهم حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ما ذكر في الارجوزة المعروفة بذات الحلل وهي

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي * مقالة يفلح فيها عندي
لا تحبس الضرطة اما حضرت * وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان ادوا الداء في امساكها * والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والمخاط * والشؤم في السعال لا الضراط
اما الجشاء ففساء صاعد * وتنسم على الفساء زائد

وأن الريح واحدة في الجوف وانما تختلف أسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب صعداء يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة واللطمة الا ان اللطمة في الوجه والصفعة في مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق انما كثرت علله وترادفت أدواءه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض بحبس الداء في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وأن سائر الحيوان غير الناطق انما بعد عن ما ذكرنا من الآفات والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويثور من الادواء في أجوافها وعدم احتباسها في وعائها وأن الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كذيمقراطيس وفيثاغورس وسقراط وروحانس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرون حبس شئ من ذلك لعلمهم بما تولد من آفاته ويؤل اليه من متعقباته وان ذلك يجده في نفسه كل ذي حس وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ولم يجر ذلك في عاداتهم (قال المسعودي) وقد أتينا على أخبارهم وما أحكمناه من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والافاويه مع ملك قمار وما جرى لملك قمار مع المهراج وأخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندري وهي بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الرانج وغيرها وكل ملك تلك بلاد مندري يسمى القابدي وسنأتي بجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب

والمين

واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من اخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين والمغرب وأنواع الاحابش والسودان وملوك الصين ولد يافث وغير ذلك من أخبار العالم وعجائب الامم

ذكر جبل الفتح وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأخبار الباب والابواب ومن حولهم من الامم

أما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والامم وفى هذا الجبل اثنان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه و بين الخزر وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل الفتح مادا فى أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من أربعين فرسخا الى أن ينتهى ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذى جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعى ذلك الباب وما يليه من السور كل ذلك ليدفع أذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان والسرير وغيرهم من أنواع الكفار وجبل الفتح يكون فى المسافة علوا وطولا وعرضا نحوا من شهرين بل وأكثر وحوله أمم لا يحصيهم الا الخالق عز وجل أحد شعابه يلى بحر الخزر مما يلى الباب والابواب على ما ذكرنا ومن شعابه ما يلى بحر مانطش المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذى ينتهى اليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهى مدينة على شاطئ هذا البحر لها أسواق فى السنة يأتى اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم وبلاد كسكر ولما بنى انوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور فى البر والبحر والجبل أسكن هناك أمما من الناس وملوكا وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة وحد لها حدا معلوما على حسب فعل أزدشير ابن بابك حين رتب ملوك خراسان فممن رتب انوشروان من الملوك فى بعض هذه البقاع والمواضع مما يلى الاسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ومملكته مضافة الى اسمه فيقال لها شروان شاه وكل ملك يلى هذا الصقع يقال له شروان وتكون مملكته فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان تغلب على مواضع لم يكن رتبها له أنوشروان فانضافت الى ملكه والملك فى هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور لا خلاف فى نسبه وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور وكذلك صاحب خراسان فى هذا الوقت المؤرخ من ولد اسماعيل بن أحمد واسماعيل من ولد بهرام جور لا خلاف فيما ذكرنا من شهرة انساب من ذكرنا وقد ملك محمد هذا وهو شروان على مدينة الباب والابواب وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك بن هشام وكان رجلا من الأنصار وكان قيد بامرة الباب والابواب وقد كانوا قطنوا تلك الديار منذ

دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام فى صدر الزمان وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل الفتح يقال لها الارزان وملكها يدعى الارزان شاه وقد غلب على هذه المملكة فى هذا الوقت شروان أيضا وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الموقانية والمعول فى مملكته على مملكة اللكز وهى أمة لا تحصى كثيرة ساكنة فى أعالى هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار ظريفة فى المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره وأحجاره وغلب هذا الرجل المعروف بشروان على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رسمها كسرى أنوشروان لغيره ممن رتب هنالك فأضافها محمد بن يزيد الى ملكه منها خراسان شاه وزادان شاه وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الارزان هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلى مملكة شروان فى جبل الفتح مملكة طبرستان وملكها فى هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذى كان أمير الباب وهى أول الامم المتصلة بالباب والابواب وببادى أهل الباب والابواب مملكة يقال لها جيدان وهذه الامة داخلة فى جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهى اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت فى بدء الزمان افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلى رضى الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التى يسكنها ملك الخزر فى هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالى بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب فى بحر مانطس وهذه المدينة جانبان وفى وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك فى وسط هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفى هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر فى خلافة هارون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان فى مملكته من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم وهو أرمنوس ملك الروم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه فى ملكه فى هذا الوقت المؤرخ فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرضه على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من فى بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم فى احدى جانبى هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودوابهم والاته والحلى واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهى فى الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن فى تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا انفا الا أن

الهند ليس من شأنها ان تحرق المرأة مع زوجها الا أن ترى ذلك المرأة والغالب فى هذا البلد المسلمون لانهم جند الملك وهم يعرفون فى هذا البلد باللارشية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو بأس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه وأقاموا فى بلده على شروط بينهم أحدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير فى وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان للملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت نحو من منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة أيضا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهى قضايا عقلية فاذا ورد عليهم مالا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ما توجبه شريعة الاسلام. وليس فى ملوك الشرق فى هذا الصقع من له جند من تروغير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرف باسماء هؤلاء القوم اللارشية. والروس والصقالبة الذين ذكرنا انهم جاهلية من جند الملك وعبيده وفى بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير اللارشية فى طرف بلده لعدله وأمنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد آخر فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن فاذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة (قال المسعودى) وليس اخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان وذلك ان للخزر ملك يقال له خاقان رسمه ان يكون فى يدى ملك آخر هو وغيره فخاقان فى جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه معه حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر من أمر المملكة شيأ ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم الا بخاقان يكون عنده فى دار مملكته ومعه فى حيزه فاذا أجدبت أرض الخزر أو نابت بلدهم نائبة أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم او فاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه وقد تشاءمنا به فاقتله أو سلمه الينا نقتله فربما سلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له فدافع عنه لان قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه هذا رسم الخزر فى هذا الوقت فلست أدرى فى قديم الزمان كان ذلك ام حدث وانما ينسب خاقان هذا لأهل بيت وأعيانهم أرى ان الملك كان فيهم قديما والله أعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار فى نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من أعاليها يقال له برطاس عليه أمم من الترك عامرة داخلة فى جملة ممالك الخزر وعمائرهم متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر من حد بلاد البلغر والسفن تختلف فيه من البلغر والخزر وبرطاس أمة من الترك على ما ذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار وأكثر ذلك

من السود والحمر اخفض ثمنا منها وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس فى لبسه وهو أغلى عندهم من السمور والعبك وماشاكل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف ويتعذر فى الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود وفى أعالى نهر الخزر مصب متصل بخليج من بحر اقريطش وهو بحر (الروس) لا يسلكه غيرهم وهو على ساحل من سواحلهم وهى أمة عظيمة جاهلية لا تنقاد الى ملك ولا شريعة وفيهم تجار يختلفون الى مدينة بحر البلغر والروس فى أرضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذى بجبل مهجير من أرض خراسان . ومدينة البلغر على ساحل بحر مانطش وأرى انهم فى الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من أرض خراسان ومن خوارزم اليهم الا أن ذلك بين بوادى غيرهم من الترك والقوافل مخفرة منهم وملك البلغر فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مسلم اسلم فى أيام المقتدر وذلك بعد العشر والثلثمائة وذلك لرؤيا رآها وقد كان له ولد حج وورد مدينة السلام وحمل معه المقتدر لواء وبنودا ولهم جامع وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية فى نحو ألف فارس فصاعدا فشن الغارات حواليها الى بلاد رومية والاندلس وأرض أرجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية فى خليج آخر من البحر الرومى لا منفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد حرفيد به وأتاهم فى البحر جماعة من البلغر يجدونهم وأخبروهم أن ملكهم بالقرب وهذا يدل على ما وصفنا أن البلغر تصل سراياها الى ساحل بحر الروم وكان نفر منهم ركبوا فى مراكب الترسوسيين فأتوا بهم الى بلاد ترسوس والبلغر أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ينقاد اليها من جاورها من الامم والفارس ممن قد أسلم مع ذلك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار ولا يمنع أهل القسطنطينية منهم فى هذا الوقت الاسوارها وكذلك من فى هذا الصقع لا يعتصم منهم الا بالحصون والجدران والليل فى بلاد البلغر فى نهاية من القصر فى بعض السنة ومنهم من زعم ان أحدهم لا يستطيع ان يفرغ من طبخ قدره حتى يأتى الصباح وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك الوجه من الفلك وعلة الموضع الذى يكون الليل فيه ستة أشهر لا نهار فيه والنهار ستة أشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو الجدى وقد ذكر أصحاب الزيجات فى النجوم علة ذلك من الوجه الفلكى والروس أمم كثيرة وأنواع شتى ومنهم من يقال لهم المودعانه وهم الاكثرون يختلفون بالتجارة الى بلاد الاندلس ورومية وقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب فى كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج نيطش المتصل بنهر الخزر وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية يصدون من يرد من ذلك البحر ومن يرد من ذلك الوجه من البر الذى سفنه فى نهر الخزر تتصل بنهر نيطش وذلك أن بوادى الغزاة ترد الى ذلك أ كثر وتشتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى خليج نيطش فتعبر الغزاة عليه بخيولها وهو ماء عظيم يخسف من تحتهم لشدة استحجاره فتغير على بلاد الخزر وربما يخرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك من رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما فى الصيف فلا سبيل للترك الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج

راسلوا ملك الخزر على ان يجتازوا ببلاده وينحدروا في نهره فيدخلوا بحر الخزر الذي هو بحر
جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الأعاجم على ما ذكرنا ويجعلوا لملك الخزر النصف مما
يغنمون ممن هنالك من الامم على ذلك البحر فأباحهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر
فيه وصاروا مصعدين في تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا فيه الى
مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس في هذا البحر وطرحت سراياها
الى الجيل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهي بلاد ساحل جرجان وبلاد النفاطة
ونحو بلاد اذربيجان وذلك أن من مدينة أردبيل من بلاد أذربيجان الى هذا البحر نحو من
ثلاثة أيام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت
الغارات وأخربت وأحرقت فضج من حول هذا البحر من الامم لأنهم لم يكونوا يعهدون
في قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب
كثيرة مع الجيل والديلم وساحل جرجان ونفر أهل بردعه وأران والبيلقان وأذربيجان
مع قائد لابن أبي الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكوه وكانت
الروس تأوي عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطة على أميال منها وكان ملك
شروان يومئذ علي بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا في القوارب ومراكب التجار
وساروا نحو تلك الجزائر فمالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألوف وأقام الروس
شهورا كثيرة في البحر على ما وصفنا لا سبيل لأحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس
متأهبون لهم حذرون منهم لانه بحر عامر لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما هم فيه ساروا
الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه الأموال والغنائم وملك الخزر بلا
مراكب وليس لهم بها عادة ولولا ذلك لكان على المسلمين منهم آفة عظيمة وعلمت الارسية
ومن في بلاد الخزر من المسلمين فقالوا لملك الخزر خلنا وهؤلاء القوم فقد أغاروا على بلاد
المسلمين وسفكوا الدماء وسبوا النساء والذراري فلم يمكن الملك منعهم وبعث الى الروس فأعلمهم
بما قد عزم عليه المسلمون من حربهم وعسكروا وخرجوا يطلبونهم منحدرين مع الماء فلما
وقعت العين على العين خرجت الروس عن مراكبها وصافوا المسلمين وكان مع المسلمين خلق
من النصارى من المقيمين بمدينة آمل وكان المسلمون في نحو خمسة عشر ألفا بالخيل والعدد
فأقام الحرب بينهم ثلاثة أيام ونصر الله المسلمين عليهم وأخذهم السيف فمن قتيل وغريق ونجا
منهم نحو خمسة آلاف وركبوا في المراكب الى ذلك الجانب مما يلي بلاد برطاس وتركوا
مراكبهم وتعلقوا بالبر فمنهم من قتله أهل برطاس ومنهم من وقع الى بلاد البلغر المسلمين فقتلوهم
وكان من وقع عليه الاحصاء ممن قتله المسلمون على شاطئ نهر الخزر نحوا من ثلاثين ألفا ولم
يكن للروس من تلك السنة عودة الى ما ذكرنا (قال المسعودي) وانما ذكرنا هذه القصة
دفعا لقول من زعم ان بحر الخزر متصل ببحر مانطس وخليج القسطنطينية ولو كان لهذا
البحر اتصال بخليج القسطنطينية من جهة بحر مانطس أو نيطس لكانت الروس قد خرجت
فيه اذ كان ذلك بحرها على ما ذكرنا ولا خلاف بين من ذكرنا ممن جاور هذا البحر من الامم
في أن بحر الاعاجم لا خليج له متصل بغيره من البحار لانه بحر صغير يحاط بعلمه وما ذكرناه من

مراكب الروس مستفاض في تلك البلاد عند سائر الامم والسنة معروفة وكانت بعد
الثلثمائة وقد غاب عني تاريخها ولعل من ذكر أن بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينية
يريد أن بحر الخزر هو بحر مانطش ونيطش الذي هو بحر البلغر والروس والله أعلم بكيفية
ذلك وساحل طبرستان على هذا البحر وهنالك مدينة يقال لها الهم رجى مرسى للساحل
وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار وعلى ساحل جرجان مما يلي هذا البحر مدينة يقال لها
آبسكون على نحو من ثلاثة أيام من جرجان وعلى هذا البحر الجيل والديلم وتختلف المراكب
بالتجارات فيه الى مدينة آمل فيدخل في نهر الخزر اليها وتختلف المراكب فيه بالتجارات
مع المواضع التي سميناها من ساحله الى باكوى وهي معدن النفط الابيض وغيره وليس في الدنيا
والله أعلم نفط أبيض الا في هذا الموضع وهي على ساحل مملكة شروان وفي هذه النفاطة أطمة
وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الأوقات تنضرم الصعداء ويقابل هذا الساحل
في البحر جزائر منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر في
أوقات من فصول السنة فيظهر منها نار تذهب في الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية
تضيء الأكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر وهذه الأطمة تشبه
أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد افريقية من أرض
المغرب وليس في آطام الارض أشد صوتا ولا أسود دخانا ولا أكثر تلهبا من الأطمة التي
في أعمال المهراج وبعدها أطمة وادي برهوت وهي نحو بلاد سبأ وحضرموت من بلاد
الشحر وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس
سفلا يرمي الى قعرها وحواليها والجمر الذي يظهر منها حجارة وقد احمرت مما قد أحالها من
سواد حرارة النار وقد أتينا على علة تكون عيون النيران في الارض وما سبب موادها في
كتابنا أخبار الزمان وفي هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها
نوع من البزاة البيض أسرع اجابة وأقلها معاشرة الا أن في هذا النوع من البزاة شيأ من
الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها
الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضواري وأنواع الجوارح
من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازي اذا كان الى البياض في اللون
فانه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما وأجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى
جميع البزاة على السمو في الجو وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية في الهواء لان فيها من حرف
الحرارة وجراءة القلب ما ليس في غيرها من جميع أنواع البزاة وان اختلاف ألوانها
لاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج في أرمينية وأرض الخزر
وجرجان وما والاها من بلاد الترك وقد حكي عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك
المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة ارضنا اذا أسقطت أنفس فراخها من
الوعاء الى الفضاء بعث في الجو الى الهواء البارد الكثيف فازات دواب تسكن هذا الافق فتغذيها
في أوكارها من تلك الدواب أطرأها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأ وسكن وعن
بلنياس انه قال واجب اذا كان لهذين الاستقصين يعني الارض والماء خلق وساكن أن

يكون

يكون للاستقصين يعني الهواء والنار خلق وساكن ووجدت في بعض أخبار هارون الرشيد
أن الرشيد خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل وعلى يده باز أبيض فاضطرب على يده
فارسله فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق شيأ فهوى به يشبه
الحية والسمكة وله ريش كأجنحة السمك فأمر الرشيد فوضع في طست فلما عاد من قنصه
أحضر العلماء فسألهم هل تعلمون للهواء ساكنا فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن
جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان أقربها منا دواب
بيض في الهواء تفرخ فيه يرفعها الهواء الغليظ ويربيها حتى تنشأ في هيئة الحيات والسمك
لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بزاة بيض تكون بارمينية فأخرج الطست اليهم
فأراهم الدابة وأجاز مقاتلا يومئذ وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بمصر
وغيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجوخيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق وأنها
ربما تقع على الحيوان فتقتله وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت كنشر
ثوب جديد وربما يقول من لا علم له وغيره من النسوان هذا صوت ساحرة تطير ذات أجنحة
من قصب وللناس كلام كثير فيما ذكروا ستدلالهم على هذا انما هو ما يحدث في استقص
الماء من الحيوان وانه يجب على هذه القصة ان يحدث ذلك بين الاستقصين الآخرين
وهما الارض والماء (قال المسعودي) وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة وأغربت
في الوصف وأطنبت في المدح فقال خاقان ملك الترك البازي شجاع مريد وقال كسرى
انوشروان البازي رفيق يحسن الاشارة لا يؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازي
ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة حسبك من البازي نزعه
في المطالب والرزق في السمو اذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته
وأجب لسرعته ألا ترى الى الفهود لا تزداد في غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار
وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية البازي لقصر جناحيه
ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ولا ترى الجوارح الا من
قصر القوادم الا ترى الدراج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت
غاياتها وقال أرسطاطاليس البازي طير عاري الجناب وما يفوته في كسوره يزيد في أجنحته
ورجليه وهو أضعف الطير جسما وأقواها قلبا واشجعها وذلك لفضله على سائر الطير في الجزء
الذي فيه من الحرارة التي ليست في شئ منها ويوجد ناصدا وربما منسوجة بالعصب لا لحم عليها
وقال بالينوس مؤيد المذهب اليه أرسطاطاليس ان البازي لا يتخذ وكرا الا في شجرة لفاء
مشتبكة بالشوك مختلفة الغصون بين شجر عدى طلبا للكن ودفعا لألم الحر والبرد فاذا
أراد ان يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مضرة ولا ثلج اشفاقا على نفسه
وفراخه من البرد وذكر الأدهم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور
ابن كندة وهو ابن كندة وانه وقف يوما بقانص وقد نصب حبالة للعصافير فانقض
أكدر على عصفور منها قد علق فعلقه الأكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الأجدل
فحمل العصفور وقد علق فعجل الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به في كسر البيت

فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر واذا رمى اليه طعاما أكله واذا رأى لحما نهض
الى يد صاحبه ثم دعى فأجاب فطعم على اليد وكانوا اتباهون بحمله اذ رأى يوما حمامة فطار
اليها من يد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها فبينما الملك يسير يوما اذ نفعت
أرنب فطار الصقر اليها فأخذها فطلب بها الطير فقتلها واتخذها العرب بعد ثم
استفاضت فى أيدى الناس فأما الشواهين فان أرسطاس الحكيم ذكر فى كتاب كان وجه
به الى المهدى حمل اليه من أرض الروم أهداه اليه الملك أن ملكا من ملوك الروم يقال له
سنان نظر يوما الى شاهين يهوى منحدرا على طير الماء فيضربه ثم يسمو مرتفعا فى الهواء
حتى فعل ذلك مرارا فقال هذا طير ضار وله قوة انحدار على الطير فى الماء انه لضار وبدلنا
سرعة انحداره وارتفاعه فى جو السماء على أنه طير أبى ألوف فلما رأى الى حسن تكراره
أعجبه فكان أول من اتخذ الشواهين وقد ذكر سعيد بن عفر عن هشام بن خديج قال خرج
قسطنطين ملك عورية متصيدا بالبزاة حتى انتهى الى خليج ينطش الجارى الى بحر الروم
فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد فنظر الى شاهين يتكفأ على طير الماء فأعجبه ما رأى
من سرعته وضراوته ولم يدر الحيلة فى صيده فأمر أن يصطاد له فضراه وكان قسطنطين
أول من لعب بالشواهين ونظر ذلك المرج طويل البساط مفروشا بالوان الزهر فقال هذا
موضع حصين من نهر وبحر وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة
القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الملوك الروم قسطنطين بن هلانى
هذا وما كان من خبره وهو المظهر لدين النصرانية فهذا وجه ما ذكر من السبب الداعى
لبناء القسطنطينية وقد ذكر ابن عمر عن أبى زيد الفهرى أنه كان من رتبة ملوك الاندلس
الازارقة أنه اذا ركب الملك منهم صارت الشواهين فى الهواء مظلة لعسكره محيمة على
مركبه تنحدر عليه مرة وترتفع أخرى معلمة لذلك فلا تزال على ما وصفنا فى حال مسيره حتى
ينزل فتقع حوله الى ان ركب يوما ملك منهم وصارت الشواهين معه على ما وصفنا فاستثارت
طائرا فانقض عليه شاهين فاخذه فاعجب بذلك الملك وضراها على الصيد فكان أول من
تصيد بها المغرب وبلاد الاندلس (قال المسعودى) وكذلك ذكر جماعة من أهل العلم بهذا
الشان أنه كان اول من لعب بالعقبان أهل المغرب فلما نظر الروم الى شدة شرها وافراط
سلاحها قال حكماؤهم هذه التى لا يقوم خيرها بشرها وذكر أن قيصر أهدى الى
كسرى عقابا وكتب اليه يعلمه انها تعمل أكثر من عمل الصقر الذى أعجبه صيده فأمر بها
كسرى فارسلت على ظبى عرض فدقته فاعجبه ما رأى منها فانصرف مسرورا فجوعها ليصيد
بها فوثبت على صبى له فقتلته فقال كسرى وترنا قيصر فى أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى
أهدى الى قيصر نمرا وكتب أنه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش وكتب ما صنعت
العقاب فأعجب قيصر حسن النمر وطابق صفته بوصف من الفهد وغفل عنه فافترس بعض
قيانه فقال صادنا كسرى فان كنا قد صدناه فلا بأس هذا وقد تغلغل بنا الكلام عند ذكرنا
لبحر جرجان وجزائره الى الكلام فى أنواع الجوارح وأشكالها عند ذكرنا الملوك اليونانين
فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن يلى السور من الامم وجبل الفتح وقد قلنا أن

شر الملوك ممن جاورها من الامم مملكة حيزان وملكهم رجل مسلم يزعم أنه من العرب من
قحطان و يعرف بسلفان فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وليس فى مملكته
مسلم غيره وولده وأهله وأرى أن هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع وبين مملكة حيزان
و بين الباب والابواب أناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية
فى آجام هنالك وغياض وأودية وأنهار كبار من قرى قد سكنوها وقطنوا ذلك الصقع منذ
الوقت الذى افتتحت فيه تلك الديار ممن طرأ من وادى العرب اليها فهم مجاورون لمملكة
حيزان الا انهم ممتنعون بتلك الاشجار والانهار وهم على نحو ثلاثة أميال من مدينة
الباب والابواب وأهل الباب يحذرونهم وأهل مملكة حيزان مما يلى جبل الفتح والسور
لهم ملك يقال له مدرمان مسلم ويعرف بلده بالكرخ وهم أصحاب الاعمدة وكل ملك
يلى هذه المملكة يدعى مدرمان ثم يلى مملكة مدرمان مملكة يقال لها عميق وأهلها أناس
نصارى لا ينقادون الى ملك ولهم رؤساء وهم مهادنون لمملكة اللان ثم يليهم مما يلى السور
والجبل مملكة يقال لها ذركران وتفسير ذلك عمال الزرد لان أكثرهم يعمل الزرد
واللبب واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد وهم ذو ديانات مختلفة مسلمون ويهود
ونصارى و بلدهم بلد خشن قد امتنعوا بالخشونة على من جاورهم من الامم ثم يلى هؤلاء
مملكة السرير وملكها يدعى فيلان شاه يدين بدين النصرانية وقد ذكرنا فيما سلف من هذا
الكتاب انه من ولد بهرام جور وسمى صاحب السرير لان يزدجرد وهو الآخر من ملوك
ساسان حين ولى منهزما قدم سرير الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام ليسير
بها الى هذه المملكة فيحرزها هنالك الى وقت موافاته ومضى يزدجرد الى خراسان فقتل هنالك
وذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه على ما ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا فقطن ذلك
الرجل فى هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك فى عقبه فسمى صاحب السرير ودار مملكته
تعرف بحمرج وله اثنا عشر ألف قرية يستعبد منهم من شاء وله بلد خشن منيع لخشونته
وهو شعب من جبل الفتح وهو يغير على الخزر مستظهرا عليهم لانهم فى سهل وهو فى جبل ثم
تلى هذه المملكة مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم
وكذلك فيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها
معص وتفسير ذلك الديانة وله قصور ومنتزهات فى غير هذه المدينة ينتقل فى السكنى اليها
وبينه و بين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت وقد تزوج كل واحد منهما بأخت الآخر
وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانية وكانوا
قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية
وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان أنفذهم اليهم ملك الروم
و بين ملك اللان وجبل الفتح قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان
بنى هذه القلعة ملك فى قديم الزمان من الفرس الاوائل يقال له اسفنديار بن كشتاسب بن
بهراسب ورتب فى هذه القلعة رجالا يمنعون اللان عن الوصول الى جبل الفتح ولا طريق
لهم الا على هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل الى فتحها

منها ممتنع ذاهب في الهواء وبين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء في
وسط تلك الصحراء دارة مقورة كأنما قد خطت ببيكار وشكل دائرتها خسفة مجوفة في حجر
صلد مخسف كما تدور الدائرة استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلا قطع قديم يهوي
سفلا كحائط مبني من سفل الى علو يكون قعره على نحو ميلين طريق لا سبيل الى الوصول
الى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة وبالنهار يرى فيها قرى
وعمائر وأنهار تجري من تلك القرى وناس وبهائم الا انهم يرون لطاف الاجسام لبعد قعر
الموضع لا يدرى من أي الامم هم ولا سبيل لهم الى الصعود من جهة من الجهات ولا سبيل لمن
فوق الى النزول اليهم بوجه من الوجوه ووراء تلك الجبال الاربعة على ساحل البحر خسفة
أخرى قريبة القعر فيها آجام وغياض فيها نوع من القرود منتصبة القامات مستديرة
الوجوه الاغلب عليها صور الناس واشكالهم الا انهم ذوو شعور وربما وقع في النادر القرد
منهم اذا احتيل في اصطياده فيكون في نهاية الفهم والدراية الا انه لا لسان له فيعبر
بالنطق ويفهم كلما يخاطب به بالاشارة وربما حمل الواحد منهم الى ملوك الامم من هنالك فتعلمه
القيام على رؤسها بالمذاب على موائدها ويلقي الملك له من طعامه فان أكله أكل الملك
منه وان اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه وكذلك الاكثر من ملوك السند والهند في القردة
وقد ذكرنا في هذا الكتاب خبر وفد الصين حين وفدوا على المهدي وما ذكروا له من
القرد في منافع ملوكهم به عند الطعام وذكرنا خبر القرود باليمن واللوح الحديد الذي كتبه
سليمان بن داود عهدا للقرود بالسير وما كان من أمرهم مع عامل معاوية وما كتب به
في أمرهم ووصف القرد العظيم الذي كان في رقبته اللوح الحديد وليس في قرود العالم أفطن
من هذا النوع ولا أخبث وذلك ان القردة تكون في بقاع الارض الحارة فمنها بأرض النوبة
وأعلى بلاد الاحابش مما يلي أعالي مصب النيل القرود المعروفة بالنوبية وهي صغيرة القد
صغيرة الوجوه ذات سواد غير حالك كأنه نوبي وهو الذي يكون مع القرادين ويصعد على
رمح فيصير على أعلاه ومنها ما يكون في ناحية الشام في آجام وغياض نحو أرض الصقالبة
وغيرها ممن هنالك من الامم كنحو ما وصفنا من هذا النوع من القرود وقرب شكله من
صورة الانسان ومنها بالخلجانات بلاد الواصح وبحر الصين في مملكة المهراج ملك الجزائر وقد
قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن ملكه يوازي ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا وملك
الصين وهذه القرود مشهورة في الصقع معروفة بالكثرة في هذه الخلجانات وهي ذات صور
تامة وقد كان حمل الى المقتدر منها وجاءت في سلاسل عظام وكان في القرود ذوو لحى وسبال
كبار مع أنواع من الهدايا من عجائب البحر حمل ذلك أحمد بن أبي هلال أمير عمان يومئذ
وهذه القرود أمرها مشتهر عند البحريين من أهل سيراف وعمان ممن يختلف الى بلاد كلة
والزابج وكيف تأتي بالحيلة لصيد التماسيح من جوف الماء على أن الجاحظ قد ذكر أن
التماسيح لا تكون الا بنيل مصر ونهر مهران السند وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب
عن ابطال ذلك وأخبرنا عن مواضع التماسيح فاما اليمن فلا تناكر بين من دخله في أن القرود
منه في مواضع كثيرة لا يحصرها عدد اكثرها في وادي نخلة وهي بين بلاد الجند

وبلاد زبيد التي أميرها في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ابراهيم بن زياد
صاحب الحرملي وبين هذا الوادي وبين زبيد يوم وبين الجند يوم أو أكثر من ذلك وهذا
الوادي كثير العمائر ومصاب المياه اليه كثيرة وشجر الموز فيه كثير والقرود فيه كثيرة
وهو بين جبلين والقرود قطيعان لكل قطيع منها يسوقه هدر والهدر الذكر العظيم
كالفحل العظيم المقدم فيها وقد تلد القردة في بطن واحد عدة من القرود نحو العشرة
والاثني عشر كما تلد الخنزيرة خنانيص كثيرة وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة
ولدها ويحمل الذكر باقيهن ولهن مجالس يجتمع فيها خلق منهن فيسمع لهن حديث
ومخاطبات وهمهمة والاناث متميزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى
أشخاصهن بين تلك الجبال والاشجار الموز وذلك بالليل لم يشك أنهم أناس لكثرتهن بالليل
والنهار وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا
للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرود الرباح ولهم جمم للذكور والاناث قد
سرحت سود كاسود ما يكون من الشعر واذا طلبوا يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس
ويتشبهون في سائر أعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء وقلعة
كهلان ما يكون في برار وجبال هنالك كأنها السحب في تلك البراري والجبال لكثرتها
وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن في هذا الوقت محتجب عن
الناس الا خواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين
ألف مرتزقة يقبضون الرزق في كل شهر ويدعى وقت القبض البركة فيجتمعون هنالك
ويتحذرون ويحذرون من تلك المخاليف والمخاليف القلاع وقد كانت لهذا الرجل حروب
باليمن مع القرامطة وصاحب المذيخرة وهو علي بن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد
كان لعلي باليمن شأن عظيم حين قتل وتوطأت اليمن بهذا الرجل وباليمن للقرود مواضع كثيرة
وكذلك في سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على علة تكونها في بعض
البقاع دون بعض من الارض واخبار النسناس في كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار
عن العرابد وهو نوع كالحيات يكون ببلاد هجر اليمامة فما زعموا واحدها عربد وقد كان
المتوكل في بدء خلافته سأل جبير بن اسحاق أن يتأتى له في حمل اشخاص من النسناس
والعربد فلم يسلم منهم الى سر من رأى الا اثنان من النسناس ولم تتأت له الحيلة في حمل
العربد من اليمامة وذلك ان العربد هذا اذا خرج عن اليمامة وصار الى موضع منها
معروف المسافة عدم من الوعاء الذي حل فيه وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات
والعقارب وسائر الهوام كمنفعة أهل سجستان بالقنافذ وذلك كان في عهد سجستان القديم
لا يقتل قنفذ ببلدهم لانه بلد كثير الرمال بناه ذو القرنين في مطافه وحوله جبال كثيرة من
الرمل قد سكرت بالخشب والقصب والبلد كثير الافاعي والحيات جدا فلولا كثرة القنافذ
لتلف من هنالك من الناس وكذلك أهل مصر في صعيدها وغيره لهم دويبة يقال لها
العرانس أكبر من الجرذ وأصغر من ابن عرس حمراء بيضاء البطن لولا هذه الدويبة لغلب
على أهل مصر الثعابين وهي نوع من الحيات عظيمة فينطوي الثعبان على الدويبة وتلتف

بها فترمي عليه الريح فيتقطع الثعبان من ريحها هذه خاصية هذه الدابة وفي الشرق أنواع
من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته وجماده وكذلك في الغرب واليمن وهو الجنوب
والجربي وهو الشمال وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الاربع ففي ذكرها في هذا الباب
خروج عن الغرض الذي يممنا نحوه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا من الامم المحيطة
بالباب والابواب والسور وجبل الفتح وبلاد الخزر واللان فنقول انه يلي بلاد الخزر فيما بينهم
وبين المغرب أمم ترك ترجع الى أب واحد وبدء أنسابهم حضر وبدو ذوو منعة وبأس شديد
لكل أمة منها ملك مسافة مملكته أيام متصلة ممالكهم بعضها ببحر نيطش وتتصل غاراتها
بمدينة رومية وما يلي بلاد الاندلس مستظهرة على سائر ما هناك من الامم وبينهم وبين
ملك الخزر مهادنة وكذلك مع صاحب اللان وديارهم تتصل ببلاد الخزر فالجيل الواحد منهم
يقال له بجني ثم تليها أمة ثانية يقال لها بجغرد ثم تليها أمة يقال لها بجناك وهي أشد هذه
الامم الاربعة بأسا ثم تليها امة ثانية يقال لها نوكرده وملوكهم بدو وكان لهم حروب مع
الروم بعد العشرين والثلاثمائة أو فيها وقد كان للروم في تخوم أرضهم فيما يلي من ذكرنا من
هذه الاجناس الاربعة مدينة عظيمة يونانية يقال لها ولندر فيها خلق من الناس ومنعة
بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الامم ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى
ارض الروم لمنع الجبال والبحر اياهم ومن في هذه المدينة وكان بين هؤلاء الاجناس
حروب بخلاف وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض أردبيل كان نازلا على أرض
بعضهم فاستضافه ناس من الجيل الآخر فاختلفت الكلمة وأغار من في ولندر من الروم
على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا كثيرا من الذرية وساقوا كثيرا من الاموال ونمي ذلك
اليهم وهم مشاغيل في حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد القوم
جميعا نحو مدينة ولندر فساروا اليها في نحو ستين الف فارس وذلك على غير احتفال منهم
ولا تجمع ولو كان ذلك لكانوا في نحو مائة الف فارس فلما نمي خبرهم الى أرمنوس ملك
الروم في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة سير اليهم اثني عشر الف فارس من
المتنصرة على الخيول بالرماح في زي العرب وأضاف اليهم خمسين الفا من الروم فوصلوا
الى مدينة ولندر في ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت
من اهل ولندر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم هذا المدد ولما صح عند
الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من
تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفي هؤلاء
الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم
وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى
ملة الاسلام وانهم ان دخلوا في أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض الاسلام فأبوا
ذلك وتواقف الفريقان في ذلك الوقت فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا
في الكثرة أضعاف الترك وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة فقال لهم ملك
بجناك قلدوني التدبير في غداة غد فأنعموا له بذلك فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس

كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك فى جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت
الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت فى قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة
واتصل الرمى واتصلت الكراديس كارحا والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس
تعمل عليها فى الف الف وذلك ان من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدئ
فيرمى فى جناح ميسرة الروم ويمر بميمنتهم فيرمى وينتهى الى القلب وما يخرج من كراديسهم من
جناح الميسرة يرمى فى جناح ميمنة الروم وينتهى الى الميسرة فيرمى وينتهى الى القلب فيرمى
فيكون ملتقى الكراديس فى القلب دائرا على ما وصفنا فلما نظرت المتنصرة والروم الى
ما لحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمى عليهم حملوا على القوم مشوشين فى مصافهم
فصادفوا صفوف الترك ثابتة فأخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا
فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعقبهم الترك بعد الرشق بالحملة على صفوفهم غير متشوفين
ما كانوا عليه من التعبية وركضت الكراديس من اليمين والشمال وأخذ القوم السيف
واسود الافق وكثر صياح الخيل فقتل من الروم والمتنصرة نحو من ستين الفا حتى كان يصعد
الى سور المدينة على جثثهم فافتتحت المدينة وأقام السيف يعمل فيها أياما وسبى أهلها
وخرج عنها الترك بعد ثلاث يؤمون القسطنطينية ثم توسطوا العمائر والمروج والضياع
قتلا وأسرا وسبيا حتى نزلوا على سور القسطنطينية فأقاموا عليها نحوا من أربعين يوما يبيعون
المرأة والصبى منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير وبذلوا السيف فلم يبقوا على أحد
منهم وربما قتلوا النساء والولدان وشنوا الغارات فى تلك الديار فاتصلت غاراتهم بأرض
الصقالبة وورومية ثم اتصلت غاراتهم الى نحو بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات
من ذكرنا من الترك متصلة الى ارض القسطنطينية وما ذكرنا من الممالك الى هذه الغاية
فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والسور والباب والابواب اذ كنا قد ذكرنا جملا من أخبار
الامم القاطنة فى هذا الصقع فمن ذلك أن أمة تلى بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى
دين النصرانية ولها ملك فى هذا الوقت يقال له الطبيعى ومملكة هذا الطبيعى موضع
يعرف بمسجد ذى القرنين وكانت الابخاز والخزرية تؤدى الجزية الى صاحب ثغر تفليس
منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون فى أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحاق بن
اسماعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم منقادون الى
طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمره من هنالك من الامم حتى بعث المتوكل بعثا فنزل على نهر
تفليس وأقام عليها محاربا حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحاق بن اسماعيل لان اسحاق بن
اسماعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يطول ذكرها وهى مشهورة فى أهل ذلك
الصقع وغيرهم ممن عنى بأخبار العالم وأراه رجلا من قريش من بنى أمية أو مولى لاحقا
فانخرقت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم
من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الاكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول
من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر
وأهله اذو وقوة وبأس شديد وان كان ما ذكرنا من الممالك محيطا بهم ثم تلى مملكة خزران

قوله خزران هى تفليس
كما فى أبى الفداء

مملكة

مملكة يقال لها الصنمصية نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ثم تلي مملكة هؤلاء الصنمصية
بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنارية وملكهم يقال له
كرسكوس وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وينقادون الى دين النصرانية وهؤلاء
الصنارية يزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد بن مضر وانهم فخذ من عقيل سكنوا
هنالك في قديم الزمان وهم هنالك مستظهرون على كثير من الامم ورأيت ببلاد مأرب من
أرض اليمن أناسا من عقيل محالفة لمذحج لا فرق بينهم وبين أحلافهم لاستقامة كلمتهم فيهم خيل
كثيرة ومنعة وليس في اليمن كلها أحد من نزار بن معد غير هذا الفخذ من عقيل الا ماذكر من
ولد أنمار بن نزار بن معد ودخولهم في اليمن حسب ما ورد به الخبر وهو ما كان من خبر جرير بن
عبد الله البجلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من خبر بجيلة والصنارية يزعمون أنهم
افترقوا في قديم الزمان وهم ممن سمينا من عقيل ببلاد مأرب في خبر طويل ثم تلي مملكة
الصنارية مملكة سكين وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغير ذلك ويقال لملكهم
في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا آزر بن نبيه بن مهاجر ثم تليهم مملكة قبله وما حوت المدينة منها
مسلمون وما حولها من العمائر والضياع نصارى ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا
هذا عنبسة الاعور وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدعار ثم تلي هذه المملكة مملكة
الموقان وهي التي قدمنا ذكرها وانها متغلبة عليها وانها مضافة الى مملكة شروان شاه وليس
هذا البلد المعروف بالموقانية هو الذي على ساحل بحر الخزر وقد كان محمد بن يزيد المعروف
بشروان شاه في هذا الوقت ملك الاران هو ومن سلف من آبائه وكان ملك شروان شاه علي
بن الهيثم فلما هلك علي تغلب محمد بن شروان شاه على حسب ماذكرنا أيضا بعد ان قتل عمومة له
واحتوى على ماذكرنا من الممالك وله قلعة لا يذكر في قلاع العالم أحسن منها في جبل
الفتح يقال انها في الموضع المعروف بالسقط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التي بناها
بلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل ببلاد برذعة فقد
أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا وأما نهر الكر فيبتدئ من بلاد
خزران من مملكة جرجير ويمر ببلاد الخان حتى يأتي ثغر تفليس ويشق في وسطه ويجري
في بلاد السياوردية حتى ينتهي على ثمانية أميال من برذعة ويجري الى ورداخ ثم يصب فيه من
ماء الصنارة نهر الرس ويظهر من أقاصي بلاد الروم من نحو مدينة طرابزندة حتى يجيء الى
الكر وقد صار فيه نهر الرس فيصب في بحر الخزر ويجري الرس بين بلاد الدبر وهي بلاد بابك
الخرمي من أرض أذربيجان وجبل أبي موسى من بلاد الاران ويمر ببلاد ورثان وينتهي الى
حيث وصفنا وقد أتينا على وصف هذه الانهار ايضا ونهر اسبيذرود وجريانه في ارض
الديلم نحو قلعة سلام وهو ابن سوار بعض ملوك الديلم ويمر هذا النهر من الديلم الى الجيل
ويصب فيه نهر آخر في بلاد الديلم يقال له شاهان رود فينتهي مصب الجميع الى بحر الجيل
وهو بحر الديلم والخزر وغيرهم على ماذكرنا وعلى هذا النهر كثير من دور الاعاجم ومن هنالك
من ملوكهم في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة منهم أحوم داوان صاحب
مدينة الري وطبرستان وغيرهما من الجيل فلنذكر الآن ملوك السريانيين وهم أول

من بعد فى كتب الزيجات والنجوم والتواريخ القديمة من ملوك العالم ثم ملوك الموصل ونينوى ثم ملوك بابل وهم الذين عمروا الارض وشقوا الانهار وغرسوا الاشجار وطحنوا الثمار ومهدوا الوعر وسهلوا الطريق ثم نتبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالجدان الى أفريدون ثم الاسكان الى دارا بن دارا وهم السكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم اليونانيين ثم الروم ونذكر من يتلوهم من ملوك العرب والامم والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم)

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفى النبط فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة لولد ماش بن نبيط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوسان وكان أول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغيا فى الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولده يقال له برندس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك سماسير بن أول سبع سنين ثم ملك بعده أهربيون عشر سنين فخط الخطط وكور الكور وجد فى أمره واتقان ملكه وعمارة أرضه فلما استقامت له الاحوال وانتظم له الملك بلغ بعض ملوك الهند ما عليه ملوك السريانيين من القوة وشدة العمارة وأنهم يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند غالبا على ما حوله من ممالك الهند وانقادت الى سلطانه ودخلت فى أحكامه وقيل ان ملكه كان مما يلى السند والهند فسار نحو بلاد بسط وعرين ونعيرو بلاد الداور وعلى النهر المعروف بنهر ميد وهو نهر سجستان ينتهى جريانه على أربع فراسخ منها وهذا النهر عليه أهل سجستان وضياعهم ونخلهم وجبالهم ومنتزهاتهم وهذا النهر يعرف بنهر بسط وتجرى فيه السفن من هنالك الى سجستان فيها الاقوات وغير ذلك ومن بسط الى سجستان نحو من مائة فرسخ وبلاد سجستان هى بلاد الرياح والرمال وهو البلد الموصوف بان الريح به تدير الارحية وتسقى الماء من الآبار وتسقى الجنان وليس فى الدنيا بلد والله أعلم أكثر منه استعمالا للرياح وقد تنوزع فى مبدا هذا النهر المعروف بنهر ميد فمن الناس من رأى ان مبدأه من مبدأ نهر الكنك وهو نهر الهند ويمر بكثير من جبال السند وهو نهر حاد الانصباب والجريان عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتغرقها زهدا فى هذا العالم ورغبة فى النقلة عنه وذلك انهم يقصدون موضعا فى أعالى هذا النهر المعروف بالكنك وهنالك جبال عالية وأشجار عادية ورجال جلوس وحدايد وسيوف منصوبة على تلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون فى تزهيدهم فى هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالى تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحدايد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويصيرون الى هذا النهر أجزاء وما ذكرنا فموصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهنالك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره والغرائب مما به فيظهر من

الارض

الارض أغصان مشتبكة من أحسن مايكون من الشجر والورق فتستقيم في الجو كأبعد
مايكون من طوال النخل ثم ينحني جميع ذلك منعكسا فيعود في الارض مندسا ويهوى
في قعرها سفلا على المقدار الذي ارتفع به في الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان
بادئة على حسب ماوصفنا في الاول فتذهب الصعداء ثم تنقطر منعكسة ولا فرق بين المقدار
الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين مايغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت
الثرى فلولا أن الهند قد وكلت بقطعه من يراعيه في أمره لامر يذكرونه ويخطر
في المستقبل يصفونه لطبق على تلك البلاد ولغشي تلك الارض ولهذا النوع من الشجر
أخبار يطول ذكرها يعرفها من طرأ الى تلك البلاد ورآها أونمى اليه خبرها والهند
تعذب أنفسها على ماوصفنا بأنواع العذاب من دون الامم وقد تيقنت أن مانالها من
النعيم في المستقبل مؤجلا لايكون بغير ماأسلفته من تعذيب انفسها في هذه الدار معجلا
ومنهم من يصير الى باب الملك يستأذن في احراقه نفسه فيدور في الاسواق وقد أججت له
النار العظيمة عليها من قد وكل بايقادها ثم يسير في الاسواق وقدامه الطبول والصنوج
وعلى بدنه أنواع من خرق الحرير قد خرقها على نفسه وحوله أهله وقرابته وعلى رأسه اكليل
من الريحان وقد قشر جلده عن رأسه وعليها الجمر وعليها الكبريت والسندروس
فيسير وهامته وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل والتنبول في
بلادهم ورق ينبت كأصغر مايكون من ورق الاترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع
الفوفل وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت
مضغه بدلا من الطيب ويكون عند الصنادلة للورم وغير ذلك فنهم من يسميه الفوفل وهذا
اذا مضغ على ماذكرنا بالورق والنورة شد اللثة وقوى عمود الاسنان وطيب النكهة
وأزال الرطوبة المؤذية وشهى الطعام وبعث على الباه وحمر الاسنان حتى تكون كأحمر
مايكون من حب الرمان وأحدث في النفس طربا وأريحية وقوى البدن وأثار من النكهة
روائح طيبة والهند خواصها وعوامها تستقبح من أسنانه بيض وتجتنب من لايمضغ
ماوصفنا فاذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار في الاسواق انتهى الى تلك النار وهو غير
مكترث ولا متغير في مشيته ولا متهيب في خطوته ففيهم من اذا أشرف على النار وقد صارت
جمرا كالتل العظيم يتناول خنجرا ويدعى الجرى عندهم فيضعه في لبته ولقد حضرت
بلاد صيمور من بلاد الهند من اللارمن مملكة البلهرا وذلك في سنة أربع وثلثمائة والملك
يومئذ على صيمور المعروف بجاج وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين
بياسرة وسيرافيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الامصار ممن قد تأهل وقطن في
تلك البلاد وفيهم خلق من وجوه التجار مثل موسى واسحاق الصيداوري وعلى الهيرمة
يومئذ أبو سعيد معروف بن زكريا وتفسير الهيرمة يراد به رآسة المسلمين يتولاها رجل منهم
عظيم من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة اليه ومعنى قولنا البياسرة يراد به من
ولدوا من المسلمين بأرض الهند يدعون بهذا الاسم واحدهم بيسر وجمعهم بياسرة فرأيت
بعض فتيانهم وقد طاف على ماوصفنا في أسواقهم فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على

وفؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها
بالخنجر فدفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه فى النار واذا مات
الملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البلاجرية
واحدهم بلاجرى وتفسير ذلك المصادق لمن يموت فيموت بموته ويحيا بحياته وللهند أخبار
عجيبة تجزع من سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التى تألم عند ذكرها الابدان
ويصفر من ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان
فلنرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد سجستان وقصده مملكة السريانيين
ونعدل عما اخذنا فيه من أخبار الهند فنقول كان هذا الملك من ملوك الهند يقال له زنبيل
وكل ملك يلى هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل الى هذا الوقت وهو سنة
اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة
فقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما فيه فسار اليه بعض
ملوك العرب فأتى عليه وملك العراق ورد ملك السريانيين فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له
(سيرا) وكان ولد المقتول فكان ملكه الى أن هلك ثمان سنين ثم ملك بعده (أهريون)
وكان ملكه اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له (هوريا) فزاد فى العمارة وأحسن فى
الرعاية وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (مارث)
واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده
(أزور) و(خلنجاس) ويقال انهما كانا أخوين فأحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ويقال
ان أحد هذين الملكين كان جالسا ذات يوم اذ نظر فى أعلى قصره الى طائر قد أفرخ هنالك
واذا هو يضرب بجناحه ويصيح فتأمل الملك ذلك فنظر الى حية تنساب الى الوكر صاعدة لاكل
فراخ الطائر فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها وسلمت فراخ الطائر فجاء الطائر بعد
هنيهة يصفق بجناحه فى منقاره حبة وفى مخالبه حبتان وجاء الى الملك وألقى ما كان
فى منقاره ومخالبه والملك يرمقه فوقع الحب بين يدى الملك فتأمله وقال ما ألقى هذا الطائر
ما ألقى الا انه أراد بلاشك مكافأتنا على فعلنا به فاخذ الحب وجعل يتأمله فلم يعرف مثله
فى اقليمه فقال جليس من جلسائه حكيم وقد نظر الى حيرة الملك فى الحب أيها الملك ينبغى
أن نودع النبات أرحام الارض فانها تخرج كنه ما فيه فنقف على الغاية منه وأداء ما فى
مخزونه ومكنونه فدعا بالاكرة وأمرهم بزرع الحب ومراعاته وما يكون منه فزرع فنبت
وأقبل يلتف بالشجر ثم حصرم وأعنب وهم يرمقونه والملك يراعيه الى أن انتهى فى البلوغ
وهم لا يقدمون على ذوقه خوفا أن يكون متلفا فأمر الملك بعصر مائه وأن يودع فى أوانى
وافراد حب منه وتركه على حالته فلما صار فى الآنية عصيرا هدر وقذف بالزبد وفاحت له
روائح عبقة فقال الملك على بشيخ فأتى به فلدله من ذلك فى اناء فرآه لونا عجيبا ومنظرا
كاملا ولونا ياقوتيا أحمر وشعاعا نيرا ثم سقوا الشيخ فاشرب ثلاثا حتى مال وأرخى من ما زره
الفضول وحرك رأسه ووقع برجليه على الارض فطرب ورفع عقيرته يتغنى فقال الملك هذا
شراب يذهب بالعقل وأخاف أن يكون قاتلا ألا ترى الى الشيخ كيف عاد فى حال الصبى

وسلطان الدم وقوة الشباب ثم أمر الملك به فزيد فسكر الشيخ فنام فقال الملك هلك
ثم ان الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب وقال لقد شربته فكشف عني الغموم
وأزال عن ساحتي الاحزان والهموم وما أراد الطائر الامكافأتكم بهذا الشراب الشريف
فقال الملك هذا أشرف شراب أهل الارض وذلك أنه رأى شيخا قد حسن وقوى حيله
وانبسط في نفسه وطرب في حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم وباد هضمه وجاءه النوم وصفا
لونه واعترته أريحية فأمر الملك أن يمنع العامة من ذلك وقال هذا شراب الملوك وأنا السبب
فيه فان كان فلا يشربه غيري فاستعمله الملك بقية أيامه ثم نما في أيدي الناس واستعملوه
وقد قيل ان نوحا أول من زرعها وقد ذكر الخبر حين سرقها ابليس منه حين خرج من السفينة
واستوى على الجودي في كتاب المبدا وغيره من الكتب

* (ذكر ملوك الموصل ونينوى ولمع من أخبارهم) *

نينوى هي مقابلة الموصل وبينهما دجلة وهي بين قردى ومازندى من كور الموصل ونينوى
في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لاهلها
والى أهلها أرسل يونس بن متى وآثار الصور فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها
وظاهر المدينة تل عليه مسجد وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه السلام ويأوي الى
هذا المسجد النساك والعباد والزهاد وكان أول ملك بنى هذه المدينة وسورها ملك عظيم
قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ويقال له سينوس بن يالوس فكانت مدة ملكه اثنتين
وخمسين سنة وكان بالموصل رجل آخر محاربا لهذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع
ويقال ان ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ثم ملك أهل نينوى
عليهم بعده امرأة يقال لها سميرن فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل
وملكها من شاطئ دجلة الى بلاد أرمينية ومن بلاد اذربيجان الى حد الجزيرة والجودي
وجبل النيل الى بلاد الزوزان وغيرها من أرمينية وكان أهل نينوى ممن سمينا نبيطا
وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وانما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم والمثالة
واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسيس) ويقال انه كان ابنها وكان ملكه نحوا من أربعين سنة
ورجعت اليه الارمن وقد كانت الحروب بينهم سجالا في ملكه ثم غلبوا على أهل نينوى
فكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى
وكان يؤدي الضريبة الى ملك أرمينية ولهؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على
جميعها في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط

* (ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم) *

ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث ومن ذوي العناية بأخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم
أول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وأن الفرس الاولى انما أخذت الملك من
هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أولهم (نمرود) الجبار وكان ملكه نحوا من
ستين سنة وهو الذي احتفر أنهارا بالعراق آخذة من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى
بطريق من طرق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد لا خفاء لخبره وشهرته وسنذكر

فيما يرد من هذا الكتاب كثيرا من أخبار العراق عند ذكرنا الملوك الفرس الاولى
والثانية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض فى هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك
العالم والتنبيه على ماسلف من كتبنا وملك بعده (أندلس) نحوا من سبعين سنة وكان
عظيم البطش متجبرا فى الارض وكانت فى أيامه حروب ثم ملك بعده (هرمنوس) نحوا
من مائة سنة باغيا فى الارض على أهلها ثم ملك بعده (سوسمرس) نحوا من تسعين سنة
ثم ملك بعده (كورش) نحوا من خمسين سنة ثم ملك بعده (أغر) نحوا من عشرين سنة
ثم ملك بعده (شبرم) نحوا من أربعين سنة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده (فرسميس)
نحوا من سبعين سنة ثم ملك بعده (اينوس) نحوا من ثلاثين سنة ثم ملك بعده
(ايلاوس) خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (الحلوس) نحوا من أربعين سنة ثم ملك
بعده (اومونوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (بعتكاوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك
بعده (سفروس) نحو أربعين سنة وقد قيل دون ذلك وهلك ثم ملك بعده (مازنوس)
نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (رسطالبن) أربعين سنة ثم ملك بعده (أميرطوس) نحو
خمسين سنة ثم ملك بعده (ألعداس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (اطيرنوس) نحو ستين
سنه ثم ملك بعده (ساوشاش) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (فارنوس) نحو خمسين
سنة وقيل خمسة وأربعين سنة ثم ملك بعده (سوسادريوس) نحو أربعين سنة فغزاهم
ملك من ملوك فارس من عقب دارى ثم ملك بعده (سمروق) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده
(ثطايوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (طاطاوس) نحو أربعين سنة ثم ملك بعده
(أقروس) نحو اربعين سنة ثم ملك بعده (لارسيس) نحو خمسين سنة وقيل خمسا وأربعين
سنة ثم ملك بعده (افريطوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (مروطاوس) نحو
عشرين سنة ثم ملك بعده (افريفريس) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده (منطوروس)
نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (قولاميا) نحو ستين سنة ثم ملك بعده (سعلس) خمسا
وثلاثين سنه وقيل خمسين سنة وكانت له حروب مع ملك من ملوك الصابئة كذلك ذكر فى
كتاب التاريخ القديم ثم ملك بعده (سيوجد) نحو ثلاثين سنين ثم ملك بعده (مردوح)
أربعين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (سنحاريب) ثلاثين سنة وهو الذى اتى بيت
المقدس ثم ملك بعده (سوسا) ثلاثين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (بخت نصر)
الجبار خمسا وأربعين سنة ثم ملك بعده (قرمودوح) نحو سنة ثم ملك بعده (نبطسغر)
نحو ستين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (مسنون) نحو ثمان سنين وقيل عشرا
ثم ملك بعده (معوسا) سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (دارنوس) احدى
وثلاثين سنة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك بعده (كسرجوس) عشرين سنة ثم ملك بعده
(فجشمت) احدى واربعين سنة ثم ملك بعده (أحرست) ثلاث سنين وقيل سنتين
وشهرين ثم ملك بعده (شعيا) سنة وقيل تسعة أشهر ثم ملك بعده (أريوس) عشرين
سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (أطحست) تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده
(دار التبع) خمس عشرة سنة وقيل عشر سنين (قال المسعودى) فهؤلاء الملوك

الذين أتينا على ذكرهم وأسمائهم ومدة ملكهم وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب
التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا
الانهار وغرسوا الاشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الارضين واستخرجوا المعادن من الحديد
والرصاص والنحاس وغير ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل
والمكائد ونصبوا قوانين للحرب بالقلب والميمنة والميسرة والاجنحة وجعلوا ذلك مثالا
لاعضاء جسد الانسان ورتبوا الكل جزءا نوعا من الامة لا يوازيها غيرها فجعلوا أعلام القلب
على صورة الفيل وما عظم من أجناس الحيوان وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة
السباع على حسب عظمها واختلافها في أنواعها وجعلوا في الاجنحة صور ما لطف من
السباع كالنمر والذئب وجعلوا صور أعلام الكمناء على صور الحيات والعقبان وما خفي
فعله من هوام الارض وجعلوا ألوان كل نوع منها من السواد والبياض والصفرة
والخضرة ولون السماء وقد ذكر قوم أن الالوان ثمانية على حسب الموضع المستحق لها
ومنعوا أن تكون الحمرة تشرب شيأ من ذلك الا ما لطف من أجزائها داخلا في جملة
الاكثر من أشباه الحيوان من تلك الاعلام وزعموا ان قضية القياس توجب أن
تكون سائر أعلام الحرب حمراء اذ كانت أليق وأشكل بلون الدم وأكثر ملاءمة اذ كان
لونها واحدا لكن منع من ذلك استعمالها في حال الزينة والطرب وأوقات السرور
واستعمال النساء والصبيان لها وفرح النفوس بها وأوجب ترك ذلك وأن حسن
البصر مشاكل للون الحمرة اذ كان من شأنه انه اذا أدركها انبسط نوره في ادراكها واذا
وقع البصر على اللون الاسود اجتمع نوره ولم ينبسط في ادراكه انبساطه في الحمرة وأن النسبة
الواقعة بين بصر الناظر وبين لون الحمرة الاشتراك والمباينة بالضدية بين نور البصر ولون
السواد وتكلم هؤلاء القوم في مراتب الالوان من الحمرة والسواد والبياض وغيرها
ومراتب الانوار وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نورية حسن البصر
وبين لون الحمرة والبياض والضد المباين بين السواد وبين نور البصر دون سائر الالوان
من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض وتغلغل القوم في هذه المعاني الى ما علا من الاجسام
السماوية من النيرين والخنسة واختلافها في ألوانها الى غير ذلك من الاشخاص العلوية
وقد أتينا على ما قالوه من ذلك فيما سلف من كتبنا وأتينا على سير هؤلاء الملوك وأخبارهم
واختلافهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس
الى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الامم وانه كان يرؤس بعضهم غيره من ملوك
الفرس ممن كان مقيما ببلخ والاشهر ما قدمنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار
النبط وأنسابهم

(ذكر ملوك الفرس الاولى وجمل من أخبارهم)

الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته أنفسها من
حفظ أنسابها ينقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير أن (أول ملوكهم كيومرث)
ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم انه ابن آدم والاكبر من ولده ومنهم من زعم وهم الاقلون عددا

أنه أصل النسل وينبوع الذرء وقد ذهبت طائفة منهم الى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن
ارم بن سام بن نوح لان أميم أول من حل بفارس من ولد نوح وكان كيومرث ينزل بفارس
والفرس لاتعرف طوفان نوح والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم
سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا في مسكن واحد والله أعلم بذلك وكان كيومرث
أكبر أهل عصره والمتقدم فيهم وكان أول ملك نصب في الارض فيما يزعمون وكان السبب
الذى دعا أهل ذلك العصر الى اقامة ملك ونصب رئيس أنهم رأوا أكثر الناس قد جبلوا على
التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ورأوا ان الشرير منهم لا يصلحه الا الرهبة ثم تأملوا
أحوال الخليقة وتصرف شأن الجسم وصورة الانسان الحساس الدراك فرأوا الجسم في
بنيته وكونه قد رتب بحواس تؤدى الى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما يورده
اليه من أخلاقها في مداركها وهو معنى في القلب فرأوا اصلاح الجسم بتدبيره وأنه متى فسد
تدبيره فسد سائره ولم تظهر أفعاله المتقنة المحكمة فلما رأوا هذا العالم الصغير الذى هو جسد
الانسان المرئى لا تستقيم اموره ولا تنتظم أحواله الا باستقامة الرئيس الذى قدمنا ذكره
علموا أن الناس لا يستقيمون الا بملك ينصفهم ويوجب العدل عليهم وينفذ الاحكام على
ما يوجبه العقل بينهم فساروا الى كيومرث بن آدم وعرفوه حاجتهم الى ملك وقيم وقالوا
أنت أفضلنا وأشرفنا وأكبرنا وبقية أبينا وليس في العصر من يوازيك فرد أمرنا اليك وكن
القائم فينا فانا تحت سمعك وطاعتك والقائلون بما تراه فأجابهم الى مادعوه اليه واستوثق
منهم بأكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه فلما وضع التاج على
رأسه وكان اول من ركب التاج على رأسه من أهل الارض قال ان النعم لا تدوم الا بالشكر
وانا نحمد الله ونشكره على نعمه ونرغب اليه في مزيده ونسأله المعونة على ما دفعنا اليه
وحسن الهداية الى العدل الذى به يجتمع الشمل ويصفو العيش فثقوا بالعدل منا وأنصفونا
من أنفسكم يورودكم الى أفضل ما في هممكم والسلام فلم يزل كيومرث قائما بالامر حسن
السيرة في الناس والحال آمنة والامة ساكنة الى أن مات ولهم في وضع التاج على الرأس
أسرار يذكرونها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب
الاوسط وذكروا أن كيومرث أول من أمر بالسكوت عند الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها
فيصلح البدن بما يرد اليه من الغذاء وتسكن النفس عند ذلك فتدبر كل عضو من الاعضاء
تدبيرا يؤدى الى ما فيه صلاحه من أخذ صفو الطعام فيكون الذى يرد الى الكبد وغيره
من الاعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها فان الانسان متى شغل عن طعامه
بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التقدير الى حيث انصباب الهمة
ووقوع الاشتراك فأضر ذلك بالانفس الحيوانية والقوى الانسانية واذا كان ذلك أدى
الى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئى وفي ذلك ترك للحكمة وخروج عن الصواب
ولهم في هذا الباب سر لطيف من أسرار السبب الذى بين النفس والجسم ليس هذا موضعه
وقد أتينا على ذكره في الكتاب المترجم بسر الحياة وفي كتاب الزلف عند ذكرنا
النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والمخيلة والنزاعية وما قال الناس في ذلك

ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم (وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا) فمن الناس
من رأى أن عمره ألف سنة وقيل دون ذلك وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه
مبدأ النسل وانه نبت من نبات الارض وهو الريباس هو وزوجته وهما شانة ومشانة وغير
ذلك مما يفحش ايراده وما كان من خبره مع ابليس وقتله اياه وكان ينزل اصطخر فارس وكانت مدة
ملكه أربعين سنة وقيل أقل من ذلك (ثم ملك بعده هوشنج) بن فروال بن سيامك بن ميشا
بن كيومرث الملك وكان هوشنج ينزل الهند وكان ملكه أربعين سنة وقيل أكثر من
ذلك وقد تنوزع فيه فمنهم من رأى انه أخ لكيومرث بن آدم ومنهم من رأى أنه ولد الملك
الماضي (ثم ملك بعده طهمورث) بن أنوجهان بن استحد بن هوشنج وكان ينزل نيسابور
وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له (أبوداسف) أحدث مذاهب الصابئة وقال ان معالي
الشرف الكامل والبلاغ الشامل ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع وان الكواكب
هي المدبرات والواردات والصادرات وهي التي بمرورها في أفلاكها وقطعها مسافاتها
واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة يتم ما يكون في العالم من الآثار من امتداد الاعمار
وقصرها وتركب البسائط وانبساط المركبات وتتميم الصور وظهور المياه وغيضها وفي النجوم
السيارة في افلاكها التدبير الاكبر وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والايجاز
واحتذى به جماعة من ذوي الضعف في الآراء فيقال ان هذا الرجل أول من أظهر آراء
الصابئة من الحرانيين والكيماريين وهذا النوع من الصابئة مباينون للحرانيين في نحلتهم
وديارهم في بلاد واسط والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام فكان ملك
طهمورث الى أن هلك ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده اخوه جمشيد) بن انوجهان
وكان ينزل بفارس وقيل أنه كان في زمانه طوفان وذهب كثير من الناس الى أن النيروز
في أيامه أحدث وفي ملكه سمي على حسب ما نورده فيما يرد من هذا الكتاب كذلك
ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر المعروف بكسرى وكان هذا الرجل ممن اشتهر بعلم فارس
وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى وكان ملك جمشيد الى أن هلك ستمائة سنة وقيل
تسعمائة سنة وستة أشهر وأحدث في الارض أنواعا من الصناعات والابنية وادعى الالهية
(ثم ملك بعده بيوراسب) بن اروادسب بن رستوان بن نياداس بن طاج بن فروال بن ساهر فرس
بن كيومرث وهو الذي قد عرب اسمه جميعا فسماه قوم من العرب الضحاك وسماه قوم
بهراسب وليس هو كذلك وانما اسمه على ما وصفنا بيوراسب وقتل جمشيد الملك وقد تنوزع
فيه أمن الفرس كان أم من العرب فزعمت الفرس أنه منها وانه كان ساحرا وأنه ملك الاقاليم
السبعة وأن ملكه كان ألف سنة وبقي في الارض وللفرس فيه خطب طويل وأنه مقيد
مغلل في جبل دباوند بين الري وطبرستان وقد ذكرته شعراء العرب ممن تقدم وتأخر وقد افتخر
ابو نواس به وزعم أنه من اليمن لان أبا نواس مولى لسعد العشيرة من اليمن فقال

وكان منا الضحاك تعبده الجامل والوحش في مساربها

(ثم ملك بعده افريدون) بن أثفيان بن جمشيد المالك لاقاليم الارض فأخذ بيوراسب فقيده
في جبل دباوند على حسب ما ذكرنا وقد ذكر كثير من الفرس وممن عني باخبارهم مثل

عمر كسرى وغيره أن افريدون جعل هذا اليوم الذى قيد فيه الضحاك عيدا وسماه
المهرجان على حسب ما نورده بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وما قيل فى ذلك وكانت دار
مملكة افريدون بابل وهذا الاقليم يسمى باسم قرية من قراة يقال لها بابل على شاطئ نهر من
أنهار الفرات بأرض العراق على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ونهر النرس قرية
بالعراق واليها تضاف الثياب النرسية وفى هذه القرية جب يعرف بجب دانيال النبى
عليه السلام تقصده النصارى واليهود فى أوقات من السنة فى أعيادهم واذا أشرف
الانسان على هذه القرية تبين فيها آثارا عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت كالروابى
وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران فى القرآن على
حسب ما قص الله تعالى من تسمية هذه القرية ببابل وكان ملك افريدون خمسمائة سنة
وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال فى ذلك بعض الشعراء ممن
سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام بذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسمنا ملكنا فى دهرنا * قسمة اللحم على ظهر وضم
وجعلنا الشام والروم الى * مغرب الشمس الى الغطرى سلم
وأطوج جعل الترك له * فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنا عنوة * فارس الملك وفزنا بالنعم

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وأن بلاد بابل اضيفت الى ولد افريدون وهو ايراج
وقتله اخواه فى حياة أفريدون وهلك فلم يخلص له الملك فيعد فى الملوك وسنذكر فيما يرد من
هذا الكتاب كيفية اضافة هذا الاقليم الى ايراج واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منها
فقالوا ايران شهر والشهر الملك (ثم ملك بعد افريدون منوجهر) بن ايران بن افريدون على
حسب ما ذكرنا من التنازع فى نسبه والحاقه بايران بن افريدون وكان ملكه عشرين سنة
وكان ينزل ببابل وقد قيل انه فى زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام
وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلا اباه وهما أطوج وسلم وقد آتينا على ذكر حروبهم
فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد منوجهر سهم بن ابان) بن أثقبان بن يود بن منوجهر فنزل بابل
وملك ستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد
آتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان (ثم ملك بعده فراسياب) بن أطوج بن ياسر بن
رامى بن آرس بن بورك بن ساساب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرود بن أطوج بن
أفريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب
والتصنيفات فى التاريخ وغيره فزعم انه تركى وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد
اثنى عشر سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنى عشرة سنة خلت من
ملكه ظهر عليه زو بن بهاست بن كجهور بن عداست بن رايبج بن راع بن ماسر بن يود بن
منوجهر الملك فهزمه وقتل اصحابه بعد حروب كثيرة وعمر ما خربه فراسياب وقد تنوزع
فى المقدار الذى ملك فيه فقيل ثلاث سنين وقيل اكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس
كلام طويل فى قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب

والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم بن دستان هذا كله مشروح فى
الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية
وخبر اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وقتل رستم بن دستان وما كان من قتل بهمن بن
اسفنديار لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى وأخبارها وهذا الكتاب تعظمه الفرس
لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف
من كتبنا وقد قيل ان أول من نزل من الملوك بلخ وانتقل عن العراق كيكاووس وقد كان
سار نحو اليمن بعد ان كان له بالعراق تمرد على الله وبنيان بناه لحرب السماء وكان ملك
اليمن الذى سار اليه كيكاووس فى ذلك الوقت شمر بن فريقس فخرج اليه شمر فأسره وحبسه
فى أضيق محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه فى خفية من أبيها والى
من معه من أصحابه ومكث فى محبسه أربع سنين حتى أسر رستم بن دستان من بلاد سجستان
سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستنقذ كيكاووس ورده الى ملكه
وسعدى معه فاعتلت عليه وأغرته بولده سياوخش حتى كان من أمره مع فراسياب التركى
واستئمانه اليه وتزوجه بابنته حتى جاءت منه بكيخسرو ما كان من قتل فراسياب
بسياوخش بن كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى وأخذه بطائلة سياوخش فقتل
من قتله من وجوه الترك وعند الفرس على ما فى كتاب السكيكين ان كيخسرو كان قبله على
الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم ممن هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك فى
لهراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعى نهر بلخ وهو
جيحون بلغتهم كالف وكذلك يسميه كثير من أعاجم خراسان فى هذا الوقت بهذا
الاسم فلم يزالوا كذلك الى أن (صار الملك الى جماى ابنة بهمن) بن اسفنديار بن كشتاسب بن
بهراسب فانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن (ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن
كيكاووس الملك الى لهراسب) بن قنوج بن كيمس بن كيناسس بن كيناسه بن كيقباذ
الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة لرعيته وشملهم عدله ولسنين خلت من ملكه نال بنى
اسرائيل منه محن وشتتهم فى البلاد وكانت له معهم أقاصيص يطول ذكرها وذكر
فى بعض الروايات من أخبار الفرس انه بنى بلخ الحسناء لما فيها من المياه والشجر والمروج
وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقد ذكر خبر مقتله مع الترك وما كان منهم فى حصاره
وقد أخذ بثاره بعد قتله فى كتب قدماء الفرس وقد ذكر كثير ممن عنى بأخبار الفرس أن
البخت نصر مرزبان العراق والمغرب كان من قبل هذا الملك وهو الذى وطئ الشأم وفتح
بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل وكان من امره بالشأم والمغرب ما قد اشتهر والعامة
تسميه البخت ناصر وأكثر الاخباريين والقصاص يغالون فى أخباره ويبالغون فى وصفه
والمنجمون فى زيجاتهم وأهل التواريخ فى كتبهم يجعلونه ملكا وانما كان مرزبان
على ما وصفنا للملوك ممن ذكرنا وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملكة وصاحب
ناحية وواليها وقد كان حمل سبايا بنى اسرائيل الى المشرق وتزوج منهن امرأة يقال لها
دينارد فكانت سبب رد بنى اسرائيل الى بيت المقدس وقيل ان دينارد أولدها لهراسب بن

كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان حناى من نسل بنى اسرائيل من امّها وقيل
ان لهراسب قد كان أنفذ سنجاريب وكان خليفته على العراق الى حرب بنى اسرائيل فلم
يصنع شيأ فعقب بعده بالبخت نصر وقيل فى البخت نصر غير ماذكرنا مما سنورده بعد هذا
الموضع فى ذكر ملوك بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن لهراسب وقد أرّخ بطليموس
صاحب كتاب المجسطى تاريخ كتابه من عهد بخت نصر مرزبان المغرب وأرّخ بابون
صاحب كتاب القانون فى النجوم من مملكة الاسكندر بن فليبش المقدونى (ثم ملك بعده
زرادشت) بن استيمان وقيل انه زرادست بن بورسمت بن قيدارست بن اربكردشت بن
هجنددست بن حجيس بن ماميرين أرحدس بن هزران بن استيمان بن داندست بن هايرم بن
آرح بن دوسر بن منوجهر الملك وكان من أهل اذربيجان والاشهر من نسبه انه زرادشت
بن استيمان وهو نبى المجوس الذى آتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام
الناس واسمه عند المجوس نسياه وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول
وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات والكليات هى
الاشياء العامة والجزئيات هى الاشياء الخاصة مثل زيد يموت يوم كذا ويمرض
فلان فى وقت كذا ويولد لفلان فى وقت كذا واشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب يدور
على ستين حرفا من أحرف المعجم وليس فى سائر اللغات أكثر حروفا من هذا ولهم
خطب طويل قد آتينا على ذكره فى كتابينا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وأتى زرادست
بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن ايراد مثلها ولا يدركون كنه مرادها وسنذكر بعد هذا
الموضع من هذا الكتاب ما أتى به زرادشت وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير
وكتب هذا الكتاب فى اثنى عشر الف مجلد بالذهب فيه وعد ووعيد وأمر ونهى وغير ذلك
من الشرائع والعبادات فلم تزل الملوك تعمل بما فى هذا الكتاب الى عهد الاسكندر
وما كان من قتله لدارا بن دارا فأحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد
الطوائف الى أردشير بن بابك فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها اسناد فالفرس
فى هذا الوقت لا يقرأون غيرها من الكتاب الاول نسياه ثم عمل زرادشت تفسيرا
عند عجزهم عن فهمه وسموا التفسير زيدا ثم عمل للتفسير تفسيرا وسماه بازيد ثم عمل علماؤهم
بعد وفاة زرادشت تفسيرا لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرنا وسموا هذا التفسير بارده
فالمجوس الى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم المنزل فصار علماؤهم وموابذتهم
يأخذون كثيرا ممن يحفظ أسباعا من هذا الكتاب وارباعا واثلاثا فيبتدئ كل واحد
بما حفظ من جزءه فيتلوه ويبتدئ الثانى منهم فيتلو جزأ آخر والثالث كذلك الى أن يأتى
الجميع على قراءة سائر الكتاب لعجز الواحد منهم عن حفظه على الكمال وقد كانوا يقولون
ان رجلا بسجستان بعد الثلاثمائة مستظهر بحفظ هذا الكتاب على الكمال وكان ملك
كشتاسب الى أن قبض ثم هلك عشرين ومائة سنة وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمسة
وثلاثين سنة وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة ولما هلك زرادشت (ولى مكانه جاماس
العالم) وكان من أهل أذربيجان وهذا أول موبذ قام فيهم بعد زرادشت نصبه لهم

كشتاسب الملك ثم ملك بعده بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وكان له حروب
كثيرة مع رستم صاحب سجستان الى أن قتل رستم ووالده دستان وقيل ان أم بهمن
كانت من بني اسرائيل من ولد طالوت الملك وانه هو الذي بعث بالجيش نصر مرزبان
العراق الى بني اسرائيل فكان من أمرهم ما وصفنا وكان ملك بهمن الى أن هلك مائة
واثنتي عشرة سنة وقيل انه في ملكه ردّ بقايا بني اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم
ببابل الى أن رجعوا الى بيت المقدس سبعين سنة وذلك في أيام كورس الفارسي الملك
على العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ ببلخ وقد قيل ان أم كورس كانت من بني اسرائيل
وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاثا وعشرين سنة وفي وجه آخر
من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لا من قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك بهمن وان
كورس من ملوك الفرس الاولى وليس هذا عاما في كتب التواريخ القديمة ودانيال
الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذي استخرج العلم وما يحدث
في الازمان الى أن تنقضي الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين
والشهور من الحوادث ودلائل ذلك في الافلاك ولما رجعت بنوا اسرائيل الى بيت
المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خبئت فيها من الارض على ما قدمنا
(ثم ملكت خماي) بنت بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب وكانت تعرف
بامها شهرزاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت حسنة
السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك
(ثم ملك بعدها أخ لها يقال له دارا) بن بهمن بن اسفنديار وكان ملكه اثنتي عشرة سنة
وكان ينزل ببابل (ثم ملك دارا) بن دارا ابن بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب
والفرس تسمي دارا هذا باللغة الاولى من لغاتهم دارا بنوس وهو الذي قتله الاسكندر بن
فيلبش المقدوني وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر ان منوجهر حين انهزم من
حرب فراسياب التركي سار الى جبل طبرستان فتحصن به ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب
فراسياب التركي وقد وطئ العراق وغلب على الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك
صار بعد منوجهر الى آخرين) وقيل بل كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على
عمارة الارض وما خربه فراسياب احدهما (بهماست) بن كيجهر بن دوزدف بن هوست بن
دابدسك بن دوس بن منوجهر والآخر (كرساسب) بن ثمار بن طهماسب بن آسك بن آرنس
بن آدخ بن دوس بن منوجهر وكان كرساسب محاربا لفراسياب ومنازلا له والآخر
وهو بهماست لازم بالعراق يعمر ما خرّبه فراسياب من الارض واحتفر النهرين
المعروفين بالزابين الصغير والكبير على حسب ما قدمنا من ذكرهما في هذا الكتاب
الخارجين من بلد أرمينية الصابين في دجلة الاكبر بين الموصل والحديثة والآخر ببلاد
الصين وسماه باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماه بالزاب وجعل على هذا النهر بالعراق
ثلاث طساسيج من الضياع والعمائر وأسماها الزوابي وما ذكرنا فهو باق الى هذه الغاية وان
ملكهما كانت ثلاث سنين وان كيخسرو بن سياخوش بن كيكاوس بن كيفية بن كيقباد

لما قتل جده ببلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن شسيك بن تبت بن
ديشهر بن ترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من الناس من ولد اسث بن ريب بن
أطوج بن افريدون وقد قدمنا وجها من الرواية في نسبه فيما سلف من هذا الكتاب صار
كيخسرو في البلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد الصين فبنى هنالك مدينة عظيمة وسماها
كنكدر وقد نزلها خاقان من ملوك الصين كثيرو لهم اغوى وغيرها من مدنهم وقد قيل ان
كنكدر هي اغوى بعينها وقد قيل ان كيكاووس بنى مدينة قنمير المقدم ذكرها بارض
السندوان سياخوش بنى في حياة ابيه كيكاووس مدينة القندهار من ارض السند
المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودي) ولمن ذكرنا من هؤلاء الملوك
أخبار وسير قد أتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب جوامع نبني
بها على ما سلف من مبسوطها وما نذكره من الوجوه فللاختلاف الروايات وتباين الناس
في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود
من أنفسنا وذكرنا سائر ما قالوه فيما وصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانة

(ذكر ملوك الطوائف)

وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف
أمن الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب فحكى جماعة من الاخباريين ممن عني بأخبار
الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فيلبس دارا بن دارا تغلب كل رئيس ناحية على ناحيته
وكاتبهم الاسكندر فيهم فرس ونبط وعرب وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم
وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك
واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشغانيين وهم ملوك الجبال من بلاد
الدينور ونهاوند وهمذان وماسبذان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى
بالاسم الاعم اشغان فقيل لسائر ملوك الطوائف الاشغانيون اضافة لهم الى ملك هذا الصقع
لانقيادهم اليه وقد حكى محمد بن هشام الكلبي عن أبيه وغيره من علماء العرب انهم قالوا
أول ملوك الدنيا الكينان وهم من سمينا من ملوك من سلف من الفرس الاولى الى
دارا بن دارا ثم الاردوان وهم ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف وكانوا بأرض
العراق مما يلي قصر ابن هبيرة وسقي الفرات والجامعين وسوراو أحمد آباد والنرس الى
جبلا وتل فاحر والطفوف وسائر ذلك الصقع وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد
وربيعة بن نزار وانمار بن نزار والنضرية من بني نضر من اليمن وغيرهم من قحطان لهم ملوك
وقد نصبت كل طائفة لها ملكا لعدم ملك يجمع كلمتهم وذلك ان الاسكندر أشار عليه معلمه
وهو أرسطاطاليس في بعض رسائله اليه بذلك وكاتب الاسكندر ملك كل ناحية وملكه على
ناحيته وتوجه وحباه فاستبد كل واحد منهم بناحية فصار ملكه من بعده في عقبه ممانعا
عما في يده وطالبا للازدياد من غيره وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عني
باخبار الماضين ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر
الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب على ملوك الطوائف وقتل اردوان الملك بالعراق

ووضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم بعد منه ملك اردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف وتمهدت له البلاد واستقامت دعائم الملك فمن ملوك الطوائف من قتله أردشير بن بابك ومنهم من قاده الى مملكه وأجاب دعوته وملوك الطوائف بين الفرس الاولى ممن سميناو بين الفرس الثانية وهي الساسانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وخطبهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور واحتفروه من الانهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم أن أول من ملك من ملوك الطوائف (أسك) بن أسك ابن أردوان بن أشغان بن أغر الجبار بن ساوس بن كيكاوس الملك عشرين سنة ثم ملك بعد أسك (سابور) بن أسك ستين سنة وفي احدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بايليا ثم ملك (حود) بن ابراهيم بن ادرار بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك احدى وعشرين سنة وقيل انه في أيامه سار نطوس بن اشغانوس ملك رومية الى ايليا وذلك بعد ارتفاع المسيح باربعين سنة فقتل وأسر وسبي وخرب ثم ملك بعد نيرو بن سابور (ابنه جودر) بن نيرو تسع عشرة سنة ثم ملك بعده اخوه (هرمز) بن نيرو عشرين سنة ثم ملك (ارادوان) بن مرداوان اربعين سنة ثم ملك بعده (كسرى) ابن ايلاووس بن كسرى اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (ايلاووس) بن ارداوان بن ايلاووس ثلاث عشرة سنة (قال المسعودي) فهذا وجه آخر غير ما قدمنا وقد قيل في تاريخ سني ملوك الطوائف غير ما وصفنا وان مدتهم كانت أقل مما وصفنا والاول اشهر وأصح في مقدار ما ملكوا من السنين مع تباين التواريخ وتضادها فيها غير أن الذي حكيناه هو ما أخذناه عن علماء الفرس وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم لان الفرس تدين بما وصفنا قولا وعملا وغيرهم من الناس يقول ذلك ولا ينقاد اليه عملا لتباين أهل الشرائع وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الغرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق

(ذكر أنساب فارس وما قاله الناس في ذلك)

تنازع الناس في الفرس وأنسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ناسور بن سام بن نوح وكذلك النبط ولد نبيط بن ناسور بن سام بن نوح وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه عن أبيه وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد لاوذ بن ارفخشد بن سام بن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي

> وبنا سمى الفوارس فرسا * نامنا مناجب الفرسان
>
> وكهول طواهم الركض والكر * كمثل الكرات يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنته وهي دعوى ولاصحاب التواريخ في هذا خبر

طويل وذكر آخرون انهم من ولد بوان بن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذى ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة فى العالم بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان فدار الراهب * فثم تلقى راحة النوائب

ومنهم من رأى أن الفرس من ولد ايران بن أفريدون وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب أخبار ولد أفريدون حين قسم الارض بينهم وما قاله الشاعر فى ذلك من قوله

ولايران جعلنا عنوة * فارس الروم وفزنا بالنعم

فأضيف الفرس الى ذلك وايران تسميه الفرس ايراج اذا عرفوا اسمه ولا تناكر بين الفرس جميعا فى أنهما من ولد ايراج جميعا وأيراج هو ايران بن أفريدون هذا هو المستفيض بينهم والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر أجناس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد عيلام ولا خلاف بين الفرس فى ان الجميع منهم من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر وكيومرث هو قبل ايراج بن أفريدون وايراج بن أفريدون وهو الذى ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى أن الفرس الثانية وهم الساسانية دون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى ان منوجهر هو ابن مسحر بن افريس بن ويرك وويرك هو اسحاق بن ابراهيم الخليل وسار مسحر الى ارض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده فملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لما هم عليه من الشجاعة والفروسية وورثت الفرس الاولى كدثور الامم الماضية والعرب العادية (قال المسعودى) واكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا ويعمل عليه فى بدء النسب وينقاد اليه كثير من الفرس ولا ينكرونه وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد وافتخرت على اليمن من قحطان بالفرس وانهم من ولد اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال فى ذلك اسحاق بن سويد العدوى عدى قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسودد * اتى فخرنا أعلى عليها وأسودا

ملكناهم بدءا باسحاق عمنا * وصاروا لنا رغما على الدهر أعبدا

فان كان منهم تبع وابن تبع * فاملاكهم كانوا الاملاكايدا

ويجمعنا والغر ابناء سارة * أب لا يبالى بعده من تفردا

هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم * وهم منحوهم بعد ذلك سوددا

وفى ذلك أيضا يقول جرير بن الخطفى التميمى يفخر على قحطان بان الفرس والروم من أولاد اسحاق والانبياء من ولد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها

وأبناء اسحاق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موتى لابسين السنورا

اذا افتخروا عدوا الصهيد منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا

وكان كتاب الله فيهم ونوره * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا

ومنهم سليمان النبى الذى دعا * فاعطى بنيانا وملكا مقتدرا

ابونا ابو اسحاق يجمع بيننا * أب كان مهديا وملكا معمرا
وموسى وعيسى والذى خر ساجدا * وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حكمة * وكان ابو يعقوب نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر أبناء فارس * أب لا يبالى بعده من تأخرا
ابونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وفى ذلك يقول بشار بن برد

نمتنى الكرام بنو فارس * قريش وقومى قريش العجم

وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنه من ولد اسحاق وأن اسحاق هو المسمى وترك على حسب ماقدمنا قبل من كلمة له

ابونا وترك وبه أحتجى * اذا فخر المفاخر بالولاده
ابونا وترك عبد رسول * له شرف الرسالة والزهاده
فمن مثلى اذا افتخرت قرون * وبيتى مثل واسطة القلاده

ومن الفرس من يزعم أن وترك هو ابن أبريك وابن أبريك بن سبع نسوة تولدن من غير ذكر الى أن يلحقن نسبهن بايراج بن أفريدون وهذا مما يدفعه العقل ويأباه الحس ويخرج عن العادة وتنبو عنه المشاهدة الا ما خص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدى آياته ودلائله الخارجة عن العادة وعما ذكرنا من المشاهدات وللفرس ههنا منازعات فى نسب منوجهر واضطراب فى كيفية الحاقه بافريدون وفى وطء افريدون لبنت ايراج ووطئه بنت البنت الى السبع منهن وقد كان بين ملك منوجهر بن منشجر بن افريرس بن وترك على ماذكرنا وبين ملك أفريدون مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك لتخرب كان باقليم بابل وعدم ذى همة تنقاد اليه المملكة ويستقيم له الملك وتجتمع عليه الكلمة وانتقل الملك من ولد أفريدون الى ولد اسحاق فان كان ماذكرناه هو المعول عليه من قول هذه الطائفة يجب على ما يوجبه الحساب أن من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد اسحاق الفا وتسعمائة واثنين وعشرين سنة كذلك وجدت فى كتب تواريخ هذه الطائفة بأرض فارس وبلاد كرمان (قال المسعودى) وقد افتخر بعض ابناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده اسحاق بن ابراهيم الخليل على ولد اسماعيل بان الذبيح كان اسحاق دون اسماعيل فقال من كلمة له

قل لبنى هاجر مابت لكم * ما هذه الكبرياء والعظمه
ألم تكن فى القديم أمكم * لامنا سارة الجمال أمه
والملك فينا والانبياء لنا * ان تنكروا ذاك توجدوا ظلمه
اسحاق كان الذبيح قد اجمع الناس عليه الا ادعاء لمه
حتى اذا ما محمد أظهر الدين وجلى بنوره الظلمه
قلتم قريش الاحساب مفخرة * أصل لنا ان كنتم بنو فمه
اما بنو يعرب فليسوا كمن * اسكنه الله آمنا حرمه

ولاكابناء فارس وخيم * فى الارض مثل الاسود فى الاجمه

وهى قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله بن المعتز وكان قابل هذه القصيدة فى عصره وعمر الى أن مضت الثلاثمائة يناقضه فى أبيات منها فى ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا * من ذا الشقى الذى أباح دمه
حاش لاسحاق أن يكون لكم * أبا وان كنتم بنوه فمه
قولا لكلب يرى ابطشته * قد قعد الليث للفراس فمه

والفرس لا تنقاد الى القول بأن الملك يكون فيها لاحد غير ولد أفريدون فى عصر من الاعصار فيما سلف وخلف الى أن زال عنهم الملك الا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التغصب بغير حق وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما له ولجدها ابراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه وحفظا لانسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشير بن بابك وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذى يرجعون اليه كرجوع ملوك المروانية الى مروان بن الحكم وخلفاء العباسيين الى العباس بن عبد المطلب ولم يل الفرس الثانية أحد الا من ولد أردشير بن بابك هذا فكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسماعيل فقيل انما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

ومازلنا نحج البيت قدما * ونلقى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى * أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر * لاسماعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا وسيوفا وذهبا كثيرا فقذفه فى زمزم وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير ان ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما كان من فعل عبد المطلب بهذه الاسياف وغيرها مما أودع فى زمزم وللناس فى الانساب تنازع فى بدئها وتشعبها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفى ذو المعرفة بالاشراف عليها عن كثير من مبسوطها

* (ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وأخبارهم) *

كان أول من تسب اليه ملوكهم على حسب ما قدمنا فى الباب الذى قبل هذا أردشير بن بابك شاد بن ساسان بن بهافريد بن دارا بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب ولا خلاف بينهم فى أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل اردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذى خصنا

بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من عرف فضل ما آتاه ونشكره شكر الدارى بما منحه واصطفاه الا وانا ساعون فى اقامة منازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة ورد ما انخرم فى سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فانى أعم بالعدل القوى والضعيف والدنىء والشريف وأجعل العدل سنة محمودة وشريعة مقصودة وستردون فى سيرتنا الى ما تحمدون ثناء عليه وتصدق أفعالنا أقوالنا ان شاء الله تعالى والسلام (قال المسعودى) وأردشير بن بابك المتقدم فى ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى أن ذلك من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة فكانت طبقات خاصته ثلاثا * الاولى الاساورة وأبناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة أذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم * وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكون والمقيمون بباب أردشير والمرازبة وهم الاصبهبذية ممن كانت مملكة الكون فى أيامه * والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير أنه لم يكن فى هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مأوف ولا مرمى بأبنة ولا ابن ذى صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا * وكان أردشير يقول ما شىء أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذى معرفة صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كما أن النفس تصلح على مخالطة الشريف الاريب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها ويثنيها عن محمود شريف أخلاقها وكما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيى به النفوس وتتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن فحملته ألمت به النفس وأضر بأخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يجد ذو المعرفة فى نفسه عند معاشرة السفلة الوضعاء شهرا فساد عقله دهرا * وكان أردشير يقول يجب على الملك أن يكون فائض العدل فان العدل جماع الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتخرمه وان أول مخايل الادبار فى الملك ذهاب العدل منه وانه متى خفقت رايات الجور فى ديار قوم كافحتها عقبان العدل فردتها على العقب وليس أحد ممن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الاخلاق وفضائل الآداب وظرائف الملح وغرائب التحف من النديم حتى انه ليحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر اليها فى حال لا يحسن أن يجاوزها غيرها والى أن يجتمع له مع قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يأتيه من خلائقه ويعلم من معانى لحظه واشاراته ما يعينه على شهوته ولا يكون نديما حتى يكون له جمال ومروءة فأما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه فى انبساطه الى الجميل ووقاره فى مجلسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف

ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة * ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أرواح فأولها
الوزراء ثم الموبذان وهو القائم بامور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ومعناها
القوام بأمور الدين فى سائر المملكة والقضاة المنصوبون للاحكام وجعل الاصبهبذين
أربعة الاول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشأم فهؤلاء
الاربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل
واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الاربعة
ورتب أردشير الطبقات الاربعة من أصحاب التدبير ومن اليهم ازمة الملك وحضور المشورة
فى ايراد الامور واصدارها ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة
بالموسيقى فلم يزل على ذلك من طرأ بعده من ملوك آل ساسان الى بهرام جور فانه قرر
مراتب الاشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنساك والزهاد وطبقات العلماء
بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها وغير طبقات المغنين فرفع من كان بالطبقة الوسطى
الى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة الى الوسطى وغير المراتب على حسب اعجابه بالمطرب له منهم
وأفسد ما رتبه أردشير بن بابك فى طبقات الملهين فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك
حتى ورد كسرى انوشروان فرد مراتب المغنين الى ما كانت عليه فى عهد أردشير بن بابك *
وقد كانت ملوك الاعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء وكان بين الملك
وبين أول الطبقات عشرون ذراعا لان الستارة التى على الملك تكون منه على عشرة
أذرع ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من أبناء
الاساورة يقال له خرم باش فاذا غاب هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الاساورة وذوى
التحصيل وسمى بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن رتب فى هذه المرتبة ووقف هذا الموقف
وتفسير ذلك كن فرحا مسرورا وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقريه
أمر رجلا أن يرتفع على أرفع مكان فى دار الملك فيرفع عقيرته ويغرد بصوت رفيع يسمعه
كل من حضر فيقول يا لسان احفظ رأسك فانك تجالس فى هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان
ذلك فعلهم فى يوم جلوس الملك للهوه وطربه فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة أصواتهم غير
مشيرة بشئ من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن انت يا فلان كذا وكذا
واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى * وقد كانت
الاوائل من بنى أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بنى العباس * وكور أردشير
ابن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد فى أيدى الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة
وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى
طاعته زهد فى الدنيا وتبين عوارها وما هى عليه من الغرور والعناء وقلة المكث وسرعة
النقلة منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها غرارة ضرارة خاتلة زائلة
بائدة ما اعذوذب منها جانب لامرئ وحلا الا تمرمنها عليه جانب ورأى أن من بنى قبله
المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عديدا
قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فآثر التفرد عن المملكة والترك لها والعاق

بيوت النيران والانفراد بعبادة الرحمن والانس بالوحدة (فنصب ابنه سابور) لملكه
وتوجه بتاجه وذلك أنه رآه أرجح ولده حلما وأكملهم علما وأشدهم باسا وأجزلهم مراسا
فعاش بعد ذلك في حال تزهده وخلوه بربه وكونه في بيوت النيران سنة وقيل شهرا وقيل أكثر
مما ذكرنا * واقام أردشير اثنتي عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف * فمنهم من يكاتبه فينقاد
الى ملكه رهبة من صولته ومنهم من يمتنع عليه فيسير الى داره ويأتي عليه وكان آخر من
قتل منهم ملكا للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابا بن برنيا صاحب قصر ابن هبيرة ثم
أردوان الملك وفي هذا اليوم سمي شاهنشاه وهو ملك الملوك * وأم ساسان الاكبر من
سبايا بني اسرائيل وهي بنت سامان * ولاردشير بن بابك أخبار في بدء ملكه مع زاهد من
زهادهم وأبناء ملوكهم يقال له تيس وكان افلاطوني المذهب على رأي سقراط
وافلاطون أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان
وفي الكتاب الاوسط مع ذكر سيره وفتوحه وما كان من أمره * ولاردشير بن بابك كتاب يعرف
بكتاب الكارنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره في الارض وسيره * وكان مما حفظ من
وصية أردشير لابنه سابور عند نصبه اياه للملك أن قال له يا بني ان الدين والملك اخوان
ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك والملك حارسه ومالم يكن له أس فمهدوم
ومالم يكن له حارس فضائع * وكان مما حفظ من مكاتباته أعني أردشير الى خواص من أنواع
رعيته وعماله من أردشير بن بهمن ملك الملوك الى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة والفقهاء
الذين هم عماد الدين والاساورة الذين هم حماة الحرب والى الحراث الذين هم عمرة البلاد سلام
عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا اتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن
كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحبوا
الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى ترووا غدا في المعاد وتزوجوا في
الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا الى الدنيا فانها لا تدوم لاحد ولا تهتموا لها
فلم يكن الا ما شاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها * وكتب أردشير الى
بعض عماله بلغني أنك تؤثر اللين على الغلظة والمودة على الهيبة والجبن على الجراءة فليشتد
أولك وليلن آخرك ولا تخلين قلبا من هيبة ولا تعطلنه من مودة ولا يعد عليك ما أقول فانهما
يتجاوران (ثم ملك بعد أردشير ابنه سابور) وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وكانت له حروب
مع كثير من ملوك العالم وبنى كورا ومصر مدنا نسبت اليه كما نسب من الكور والمدن الى
آبائه والعرب تلقبه سابور الجنود * وفي أيامه ظهر ماني وقال بالاثنين فرجع سابور عن
المجوسية الى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة ثم عاد بعد ذلك الى دين المجوسية
ولحق ماني بأرض الهند لاسباب أوجبت ذلك قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا *
وكتب ملك الروم الى سابور بن أردشير أما بعد فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت
يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسلك فيه طريقتك وأركب منها جددك
فكتب اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم أخلف وعدا ولا
وعيدا قط وحاربت للغنى لا للهوى واجتلبت قلوب الناس ثقة بلا كره وخوفا بلا مقت

وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول * ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا استكتبت رجلا فأسن رزقه وشد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان ثقل وطأته على أهل العدوان وفي اطلاقه بالتدبير ما أخافه عواقب الامور ثم قفه من أمره على ماله قدمته لمثله اماما وتحفظه كلاما فان وقع أمره بما رسمت فأوله عرضك وأوجب زيارته عليك وان حاص عن امرك علقته جنتك وأطلقت بالعقوبة عليه يدك والسلام * وعهد سابور الى ولده هرمز ومن تلاه بالملك بعده فقال اجعلوا اعلوا أخلاقكم كعلو أخطاركم وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعد سابور ابنه هرمز) بن سابور الملقب بالبطل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رام هرمز من كور الاهواز * وكتب الى بعض عماله لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الارجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الاعند تجلي فرصتها وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر جوائحها وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهريق عليه تدبير الاموال في حقها (ثم ملك بعده بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد ذكرنا أن بهرام أتاه ماني بن فديك تلميذ ماردون فعرض عليه مذاهب الثنوية فقتله وقتل الرؤساء من أصحابه * وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة الذي اليه اضيف الزنادقة وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن اسبيمان على حسب ما قدمنا من نسبه فيما سلف من هذا الكتاب بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الاولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحا سماه البازند على حسب ما قدمنا وكان الزند بالتأويل غير المقدم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيأ بخلاف المنزل الذي هو البستاه وعدل الى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندي فأضافوه الى التأويل وانه منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا زنديق وعربوه والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم (ثم ملك بعده بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك وأقبل في أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة لا يفكر في ملكه ولا ينظر في أمور رعيته وأقطع الضياع لخواصه ومن لاذ به من خدمه وحاشيته فخربت الضياع وخلت من عمارها وسكنوا الضياع المعمورة فقلت العمارة الا ما أقطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج بعماية الوزراء خواص الملك وكان تدبير الملك مفوضا الى وزرائه فخربت البلاد وقلت العمارة وقل ما في بيوت الاموال فضعف القوي من الجنود وهلك الضعيف منهم فلما كان في بعض الايام ركب الملك الى بعض متنزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة قمراء فدعا بالموبذان لامر خطر بباله فلحق به وسايره وأقبل على محادثته مستخبرا له عن سير أسلافه فتوسطوا في مسيرهم خرابات كانت من أمهات الضياع

قد خربت فى مملكته ولا انيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك
الخرابات فقال الملك للموبذان أترى أحدا من الناس أعطى فهم منطق هذا الطير المصوّت
فى هذا الليل الهادى فقال له الموبذان انا أيها الملك ممن قد خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه
الملك عما قال فاعلمه أن قوله صحيح فقال له فما يقول هذا الطائر وما الذى يقول الآخر
قال الموبذان هذا بوم ذكر يخاطب بومة ويقول لها أمتعينى من نفسك حتى يخرج منا
أولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فأجابته
البومة ان الذى دعوتنى اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والآجل الا انى
أشترط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ما دعوتنى اليه فقال لها الذكر وما تلك
الخصال قالت أولها ان أنا اجبتك نفسى وصرت الى ما اليه دعوتنى تضمن لى أن تعطينى من
خرابات امهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب فى أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك
فما الذى قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد جده
أعطيتك مما يخرب من الضياع الف قرية فما تصنعين بها قالت فى اجتماعها ظهور النسل وكثرة
الولد فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر
أردتيه وأيسر أمر طالبتيه منى وقدمت لك الوعد وأنا ملى بذلك فهات ما بعد ذلك فلما سمع
الملك هذا الكلام من الموبذان عمل فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل
من ساعته وترجل للناس وخلا بالموبذان فقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه
على ما أغفله من امور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ما هذا الذى خاطبتنى به فقد
حركت منى ما كان ساكنا وبعثتنى على علم ما كنت عنه غائبا قال الموبذان فصادفت من
الملك السعيد جده وقت سعد للعباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموقظا على لسان الطائر
عند طلب الملك منى جواب ما سأل ثم قال له الملك أيها الناصح اكشف لى عن هذا الغرض
الذى اليه رميت والمعنى الذى له قصدت ما المراد منه والى ماذا يؤول قال الموبذان ايها
الملك السعيد جده ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت
أمره ونهيه ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال
ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين
الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك قال الملك أما ما وصفت فحق فأبن لى عما تقصد
وأوضح لى فى البيان قال الموبذان نعم ايها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من أربابها
وعمارها وهم أرباب الخراج ومن يؤخذ منهم الاموال فاقطعتها الحاشية والخدم وأهل
البطالة وغيرهم فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها واستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر
فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقى
من أرباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم ورحلوا عن ديارهم وآووا الى
ما تعزز من الضياع بأربابه فسكنوه فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت
الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد
التى بها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام فى موضعه ذلك

ثلاثاً وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضرت الجرائد فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردت الى أربابها وأجروا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامر بنفسه في كل وقت من الزمان وينظر في أمر خواصه وعوامه فحسنت ايامه وانتظم ملكه حتى كانت تدعى أيامه أعياداً لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام) بن الملك بن بهرام اربع سنين واربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسي بن بهرام) على ما ذكرنا من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز) ابن نرسي بن بهرام على ما ذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر كسرى أن كل من ذكرنا من ملوك ساسان الى هذا الملك وهو هرمز بن نرسي كانوا ينزلون جنديسابور من بلاد خوزستان وقد كان يعقوب ابن الليث الصفار سكن جنديسابور متشبها بمن مضى من ملوك ساسان الى أن مات بها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار المعتمد حين سكناه أياها ووفاته فيها (ثم ملك بعد هرمز بن نرسي ابنه سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وخلفه والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بأمر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحارث بن الاغر الايادي فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد اساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعرا ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو

سلام في الصحيفة من لقيط * على من في الجزيرة من اياد
بان الليث يأتيكم دلاقا * فلا يحبسكم شول النقاد
أتاكم منهم سبعون الفا * يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستأتيكم فهذا * اوان هلاككم كهلاك عاد

فلم يعبأوا بكتابه وسرايا تكر نحو العراق وتغير على السواد فلما تجهز القوم نحوهم أعاد اليهم كتابا يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا لهم وأنهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا أوله

يا دار عبلة من تذكارها الجزعا * هيجت لي الهم والاحزان والوجعا
ابلغ ايادا وخلل في سراتهم * أني أرى الرأي ان لم أعص قد نصعا
الا تخافون قوما لا أبا لكم * مشوا اليكم كأمثال الدبى سرعا
لو ان جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

فأوقع بهم فعمهم القتل فما أفلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم وخلع بعد ذلك أكتاف العرب فسمي بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من بالعراق

من تميم ليثبوا بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه فبلغ ذلك عليا رضوان الله عليه فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل

ان خبا يرى الصلاح فسادا * أو يرى الغي في الامور رشادا

لقريب من الهلاك كما أهـ * ـلك سابور بالسواد ايادا

وقد كان سابور في مسيره في البلاد أتى على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنو تميم فأمعن في قتلهم وفرت بنو تميم وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر وله يومئذ ثلثمائة سنة وكان يعلق في عمود البيت في قفة قد اتخذت له فأرادوا حمله فابى عليهم الا أن يتركوه في ديارهم وقال أنا هالك اليوم أو غدا وماذا بقي لي من فسحة العمر ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب فخلوا عنه وتركوه على ما كان عليه فصبحت خيل سابور الديار فنظروا الى اهلها وقد ارتحلوا ونظروا الى قفة معلقة في شجرة وسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها وهمهمة الرجال فأقبل يصيح بصوت ضعيف فاخذوه وجاؤا به الى سابور فلما وضع بين يديه نظر الى دلائل الهرم ومرور الايام عليه ظاهرة فقال له سابور من أنت أيها الشيخ الفاني قال انا عمرو بن تميم بن مر وقد بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس منك لاسرافك في القتل وشدة عقوبتك اياهم وآثرت الفناء على يديك ليبقى من مضى من قومي ولعل الله ملك السموات والارض يجري على يديك فرجهم ويصرفك عما انت بسبيله من قتلهم وأنا سائلك عن امر ان أنت أذنت لي فيه فقال له سابور قل يسمع منك فقال له عمرو ما الذي يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب فقال سابور أقتلهم لما ارتكبوا من أخذ بلادي وأهل مملكتي فقال عمرو فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم فلما بلغت بقوا على ما كانوا عليه من الفساد هيبة قال سابور أقتلهم لانا ملوك الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستدال علينا وتكون لهم الغلبة على ملكنا فقال عمرو وهذا امر تتحققه أو تظنه قال بل أتحققه لا بد يكون ذلك قال له عمرو فان كنت تعلم ذلك فلم تسيء الى العرب والله لئن تبق على العرب جميعا وتحسن اليهم ليكافئونك عند ادالة الدولة لهم على قومك باحسانك وان انت طالت بك المدة كافؤك عند مصير الملك اليهم فيبقون عليك وعلى قومك ان كان الامر حقا كما تقول فهو احزم في الرأي وأنفع في العاقبة وان كان باطلا فلم تستعجل الاثم وتسفك دماء رعيتك فقال سابور الامر صحيح وهو كائن لكم والرأي ما قلت ولقد صدقت في القول ونصحت في الخطاب فنادى منادي سابور بأمان الناس ورفع السيف والكف عن قتلهم ويقال ان عمرا بقي في هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة وقيل أقل من ذلك والله اعلم وسار سابور نحو بلاد الشام فافتتح المدن وقتل خلائق من الروم ثم طالبته نفسه بالدخول الى ارض الروم مستنكرا ليعرف أخبارهم وسيرهم فتنكر وسار الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل في جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر امر مصورا أتى عسكر سابور فصوره له فلما جاء قيصر بالصورة امر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأتاه من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل على المائدة فعجب من اتفاق

الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فأخبره فأمر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور استحققت العقوبة لامر كان مني قدعاني ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فأقر فجعله في جلد بقرة وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق وافتتح المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر عيد لهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبيحتها فأغفل الموكلون أمر سابور وأخذ الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس فخاطبهم أن يحل بعضهم بعضا وشجعهم وأمرهم أن يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هنالك ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص وأتى المدينة وهم يتحارسون على سورها فخاطبهم فعرفوه ورفعوه بالحبال ففتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم ففرقهم حول مواضع من الجيش والروم غارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب النواقيس فأتوه بقيصر أسيرا فاستحياه وأبقى عليه وضم اليه من افلت من القتل من رجاله فغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل فيها ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وعمر ما أخرب في أخبار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر في بعض الاخبار ان سابور ربق قيصر وقطع أعصاب عقبيه أو رقبها وان الروم تربق دوابها ولا تلبس الخفاف المعقبة وفي ذلك يقول الحارث بن جندة المعروف بالهرمزان شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا * وهم ربقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أباقابوس عصبا * وهم أخذوا البسيطة من اياد

وفي فعل سابور وتغريره بنفسه في دخوله الى أرض عدوه متجسسا يقول بعض المتقدمين من شعراء أبناء فارس

وكان سابور صفوا في أرومته * أحيد عنها فأضحى غير مختار
اذ كان بالروم جاسوسا يجول به * حوم المنية من ذي كيد مكار
فاستأسروه وكانت كبوة عجبا * وزلة سبقت من غير عثار
فاصبح الملك الرومي معترضا * ارض العراق على هول وأخطار
فراطن الفرس بالابواب فافترقوا * كما تسارب أسد الغاب في الغار
فجذ بالسيف امر الروم فانتحروا * لله درك من طلاب أوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا * من النخيل وما محوا بمنشار

وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرهما من بلاد الروم ونقل خلقا من اهلها وأسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرهما من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين ومكث الى هذه الغاية وقد كان من قبله من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الاولى يسكن بطيسبون وذلك بغربي المدائن من ارض العراق فسكن

سابور فى الجانب الشرقى من المدائن وبنى هنالك الايوان المعروف بايوان كسرى الى هذه الغاية وقد كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الايوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الايوان فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر هذا الذى بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه الى السماء فامر الرشيد بعض الاستاذين من الخدم أن يضرب به مائة عصا وقال لمن حضره ان الملك نسبة والملوك به اخوة وان الغيرة بعثتنى عليه وعلى أدبه لصيانة الملك وما يلحق الملوك للملوك (وذكر) عن الرشيد بعد القبض على البرامكة انه بعث الى يحيى بن خالد بن برمك وهو فى اعتقاله يشاوره فى هدم الايوان فبعث اليه لا تفعل فقال الرشيد لمن حضره فى نفسه المجوسية والحنو عليها والمنع من ازالة آثارها فشرع فى هدمه ثم نظر فاذا يلزمه فى هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة فامسك عن ذلك وكتب الى يحيى يعلمه ذلك فاجابه بان ينفق فى هدمه ما بلغ من الاموال ويحرص على فعله فعجب الرشيد من تنافى كلامه فى أوله وآخره فبعث اليه يسأله عن ذلك فقال نعم اما ما اشرت به فى الاول فانى أردت بقاء الذكر لامة الاسلام وبعد الصيت وأن يكون من يرد فى الاعصار وينظر من الامم فى الازمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول ان امة قهرت امة هذا بنيانها فازالت رسومها واحتوت على ملكها لامة عظيمة شديدة منيعة واما جوابى الثانى فاخبرت انه قد شرع فى هدمه ثم عجز عنه فاردت نفى العجز عن أمة الاسلام لئلا يقول من وصفت ممن يرد فى الاعصار ان هذه الامة عجزت عن هدم ما بنته فارس فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه قال قاتله الله تعالى فما سمعته قال شيأ قط الا صدق فيه واعرض عن هدمه وسابور هو الذى بنى نيسابور وبلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (ثم ملك بعده اخوه ازدشير بن هرمز) وكان ملكه الى أن خلع أربعين سنة (ثم ملك بعده سابور) بن سابور خمس سنين وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فيقول فيه شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور اصبحت * قباب اياد حولها الخيل والنعم

ويقال ان هذا الشعر قاله نفر قد لحقوا بارض الروم حين اوقع بهم سابور ذو الاكتاف على ما ذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضافوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشنت الغارات فى ملك سابور بن سابور فقال شاعر اياد فى ذلك ما وصفنا وهم داخلون فى جملة ربيعة وقيل غير ذلك والله أعلم بالصحيح منه (ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان ملكه عشرين سنة وقيل احدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) ابن سابور المعروف بالاثيم وكان ملكه الى ان هلك احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنين وعشرين سنة غير شهرين (ثم ملك بعده) بهرام بن يزدجرد فكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة وملك وهو ابن عشرين سنة وغاص هو وفرسه فى حومة حماة فى بعض ايام صيده فجزعت عليه فارس لما عمها من عدله وشملها من احسانه ورأفته برعيته واستقامة الامور فى ايامه وقد كان خرج فى ايامه خاقان ملك الترك الى الصغد وشن الغارات فى بلاده وقيل انه اتى الى بلاد الرى وان بهرام كتب اجناده وتنكب الطريق فى اليسير من جريدة اصحابه حتى اتى على خاقان فى جنوده وسار نحو

العراق برأسه فهابته ملوك الارض وهادنه قيصر وحمل اليه الاموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل الى ارض الهند متنكرا ولاخبارهم متعرفا واتصل بشبرمة ملك من ملوك الهند فأبلى بين يديه فى حرب من حروبه وامكنه من عدوه فزوجه ابنته على انه بعض اساورة فارس وكان نشوءه مع العرب بالحيرة وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخبار وله اخبار فى اخذه الملك بعد ابيه وتناوله التاج والراية وقد وضعا بين يديه واخبار غير ذلك وسيطول ذكرها ولاية علة سمى بهرام جور وما احدث من الرمى بالنشاب فى ايامه ومن النظم فى داخل القوس وخارجها وقد اتينا على جميع ذلك فى كتابنا اخبار الزمان والكتاب الاوسط وما قالت الفرس والترك فى بنية القوس وانها مركبة على الطبائع الاربع كطبائع الانسان وما ذهبوا اليه من انواع الرمى وكيفيته ومما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم ظفره بخاقان وقتله له

أقول له لما فضضت جموعه * كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فانى حامى ملك فارس كلها * وما خير ملك لا يكون له حام

وقوله ايضا

لقد علم الانام بكل ارض * بانهمو قد اضحوا لى عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم * عزيزهم المسود والمسودا
فتلك اسودهم تتقى حذارى * وترهب من مخافتى الورودا
وكنت اذا تشاوس ملك ارض * عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطينى المقادة او أوافى * به يشكو السلاسل والقيودا

وله اشعار كثيرة بالعربية والفارسية اعرضنا عن ذكرها فى هذا الموضع طلبا للايجاز (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة واربعة اشهر وثمانية عشر يوما وقد كان بنى حائطا باللبن والطين بناحية الباب والابواب على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى ذكرنا الباب والابواب وجبل الفتح واحضر يزدجرد بن بهرام رجلا من حكماء عصره كان فى اقاصى مملكته آخذا من اخلاقهم ومقتبس الرأى منهم يسوس به رعيته فقال له يزدجرد وقد مثل بين يديه أيها الحكيم الفاضل ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم من الظالم قال فما صلاح امر الملك فقال وزراؤه واعوانه فانهم ان صلحوا اصلح وان فسدوا فسد قال له يزدجرد ان الناس قد اكثروا فى اسباب الفتن فصف لى ما الذى يشبها وينشيها وما الذى يسكنها ويدفنها قال يشبها ضغائن يجشها جرأة عامة ولدها استخفاف بخاصة واكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامل معسر وغفلة ملتذ ويقظة محروم والذى يسكنها اخذ العدة لما يخاف قبل حلوله وايثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم فى الغضب والرضى (ثم ملك بعده هرمز) بن يزدجرد فنازعه اخوه فيروز فقتله وولى الملك وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز الى ان هلك على يدى ملك الهياطلة باخسران بمرو الروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة

والهياطلة

واليها ملك هم الصغد وهم بين بخارى وسمرقند (ثم ملك بلاس) بن فيروز الملك وكان ملكه اربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفي ايامه ظهر مردق الزنديق واليه تضاف المردقة وله اخبار مع قباذ وما احدثه في العامة من النواميس والحيل الى ان قتله انوشروان في ملكه وكان ملك قباذ الى ان هلك ثلاثا واربعين سنة (ثم ملك بعده ولده انوشروان) بن قباذ ابن فيروز ثمانيا واربعين سنة وقيل سبعا واربعين سنة وثمانية اشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه واجلس أخ له يقال له جاماسب نحوا من سنتين لامر كان من مردق واصحابه فظافر انوشروان بزرجمهر بن سرخو حتى اعيد قباذ الى ملكه في خبر طويل ولما ملك انوشروان وقتل مردق واتبعه بثمانين الفا من اصحابه وذلك بين حازر والنهروان من ارض العراق فسمي من ذلك اليوم انوشروان وتفسير ذلك جديد الملوك وجمع اهل مملكته على دين المجوسية ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل وسار نحو الباب والابواب وجبل الفتح لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده فبنى السور على ازقاق البقر المنفوخة بالصخر والحديد والرصاص فكلما ارتفع البناء نزلت تلك الازقاق الى ان استقرت في قرار البحر وقد ارتفع السور على الماء وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين الى تلك الازقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الماء في قرار البحر وهو باق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا الموضع من السور في البحر القيد مانعا للمراكب في البحر ان وردت من بعض الاعداء ثم مد السور في البحر ما بين جبل القبق والبحر وجعل فيه الابواب مما يلي الكفار ثم مد السور على جبل الفتح على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا اخبار جبل الفتح والباب وكان لانوشروان خبر مع ملوك الخزر الى ان تأتى له هذا البناء وقيل انه بنى ذلك بالرهبة واذعان من هنالك من الامم وانصرف انوشروان الى العراق ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك وكان فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا والطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه فقال كان يحتاج هذا الصحن ان يكون مربعا فقيل له ان عجوزا لها منزل من جانب الاعوجاج منه وان الملك ارادها على بيعه وارغبها فأبت فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى فقال الرومي هذا الاعوجاج الآن احسن من الاستواء وسار انوشروان في بلاده ودار في مملكته فاحكم البنيان وشيد القلاع والحصون ورتب الرجال فعبر الى الشام فافتتح بها المدن وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وفامية وهي بين انطاكية وحمص وسار الى انطاكية وحاصرها وفيها اخت لقيصر فافتتحها وافتتح مدينة عظيمة كبيرة العمران عجيبة البنيان كانت في ساحل انطاكية رسومها بينة الى هذه الغاية وأثرها قائم تدعى سلوقية وأقبل يفتتح المدائن بالشام وارض الروم ويغنم الغنائم والجواهر والاموال وبذل السيف وبث عساكره وسراياه فهادنه قيصر وحمل اليه الخراج والجزية فقبل ذلك منه ونقل من الشام المرمر والرخام وانواع الفسيفسا والاحجار والفسيفسا هي شيء يطبخ من الزجاج والاحجار ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة

الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبنى مدينة نحو المدائن وسماها رومية وجعل بنيانها
وماداخل سورها بما ذكرنا من انواع الاحجار يحكى بذلك انطاكية وغيرها من المدن
فى الشام وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب وباب يعرف بما ذكرنا
وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة اخيه وهادنته ملوك السند والهند والشمال والجنوب
وسائر الممالك وحملت اليه الهدايا ووفدت اليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظم
مملكته ولما بلغهم من فعله بالممالك وقتله الملوك وانقياده الى العدل وكتب اليه ملك الصين
من يعبور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود
والكافور الذى توجد رائحته على فرسخين والذى تخدمه بنات الف ملك والذى فى مربطه
الف فيل ابيض الى اخيه كسرى انوشروان واهدى اليه فرسا من در منضد اعينا الفارس
والفرس من ياقوت احمر وقائم سيفه من نابت منضد بالجوهر وثوب حرير صينيا عبقريا فيه
صورة الملك جالسا فى ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم وبايديهم المذاب صورة
منسوجة بالذهب وارض الثوب لازورد فى سفط من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها
تتلالا جمالا وغير ماذكرنا من عجائب ما يحمل من ارض الصين وتهديه الملوك الى اكفائها
وكتب اليه ملك الهند من ملك الهند وعظيم اراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وابواب
الياقوت والدر الى اخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى انوشروان واهدى اليه
الف من من عود هندى يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه
الكتابة وجاما من الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوء درا وعشرة امنان كافور كالفستق واكبر
من ذلك وجارية طولها سبعة اشبار تضرب اشفار عينيها خدها وكأن بين اجفانها
لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها مقرونة
الحاجبين لها ظفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير واحسن من الوشى
وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون
بارض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه ارق
من الورق الصينى تتكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو فى عسكره محاربا
لبعض اعدائه كتاب ملك التبت من خاقان ملك تبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين
والهند الى اخيه المحمود فى السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة للاقاليم السبعة واهدى
اليه انواعا من العجائب التى تحمل من ارض تبت منها مائة جوشن تبتية ومائة قطعة
تجافيف ومائة ترس تبتية واربعة آلاف من من المسك فى نوافج غزلانه وقد كان
انوشروان سار الى ماوراء نهر بلخ وانتهى الى جيلان وقتل اخشوان ملك الهياطلة بجده
فيروز وملك مملكته فاضافها الى ملكه وقد كان نقل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة
والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندى وهو الخضاب الذى يلمع سواده فيما يظهر
من اصول الشعر سنة كاملة بصبغة سودا ولا ينصل منه شئ (ويحكى) ان هشام بن عبد
الملك بن مروان كان يختضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها
أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها لهنه طعامه من اكله من حله * وعاد على ذوى

الحاجة من نصله * ما اكلته وانت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك
وكان له خواتيم اربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج
نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصه ياقوت كحلى نقشه التأنى وخاتم للبريد فصه ياقوت احمر
كالنار نقشه الرجا ووضع انوشروان على العراق وضائع الخراج فألزم كل جريب
من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما والارز نصفا وثلثا ولكل اربع نخلات
فارسية درهما وكل ست نخلات دقل درهما وكل ست اصول زيتون درهما والكرم ثمانية
دراهم والرطب سبعة دراهم فهذه سبعة انواع من الغلات وترك ما عداها اذ كانت
اقضم الناس والبهائم وكان انوشروان يدعى كسرى الخير وقد ذكرته الشعراء فى اشعارها
ففى ذلك يقول عدى بن زيد العبادى من كلمة

اين كسرى خير الملوك انوشر * وان ام اين قبله سابور
لم يهبه ريب المنون فولى * الملك عنه فبابه مهجور
حين ولوا كأنهم ورق جف * تذرى به الصبا والدبور

وجلس انوشروان يوما للحكماء ليأخذ من آدابهم فقال لهم وقد اخذوا مراتبهم فى مجلسه
دلونى على حكمة فيها منفعة الخاصة نفسى وعامة رعيتى فتكلم كل واحد بما حضره من
الرأى وانوشروان مطرق يتفكر فى اقاويلهم فانتهى القول الى بزرجمهر بن البختكان فقال
ايها الملك أنا جامع لك ذلك فى اثنى عشرة كلمة فقال هات فقال اولهن تقوى الله فى الشهوة
والرغبة والرهبة والغضب فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق
فى القول والعمل والوفاء بالعدات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء
فيما يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف واهل الثغور والقواد والكتاب
والخول بقدر منازلهم والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبة عادلة
ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسىء على اساءته والسادسة تعهد اهل السجون بالعرض
لهم بالايام تستوثق منهم بالمسىء وتطلق البرى والسابعة تعهد سبيل الناس واسواقهم
واسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية فى الجرائم واقامة الحدود والتاسعة
اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد
ما يصلحهم والحادية عشر اذكاء العيون فى الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ أهبته قبل هجومه
والثانية عشر تفقد الوزرا والخول والاستبدال بذى الغش والعجز عنهم فامر انوشروان
أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جوامع انواع السياسات الملوكية
وكان مما حفظ من كلام انوشروان وحكمته انه سئل ما اعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند
الاحتياج اليها فقال معروف اودعته الاحرار وعلم تورثه الاعقاب وقيل لانوشروان
من اطول الناس عمرا فقال من كثر علمه فتأدب به من بعده او معروف يشرف به عقبه
وانوشروان الذى يقول الانعام لقاح والشكر ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا
وهو الذى يقول لا تعدن الحرصاء فى الامناء ولا الكذابين فى الاحرار وقال انوشروان
يوما لبزرجمهر من يصلح من ولدى للملك فأظهر ترشحه والايماء اليه فقال لا اعرف ذلك ولكنى

اصف لك من يصلح للملك أسماهم للمعالى وأطلبهم للادب واجزعهم من العامة وأرأفهم
بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك
(قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتاب الزلف الخصال التى يستحق بها الملك من وجدت
فيه وما ذكرنا عن حكماء الفرس وأسلافها فى ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كافلاطون
وما ذكره فى كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر انه قال
رأيت من انوشروان خصلتين متباينتين لم ار مثلهما منه جلس يوما للناس فدخل رجل
من خاصة أهله فحياه وزيره فامر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التى رسمت له
وازدياده فيها عن مرتبة غيره فى المجلس ثم رأيته يوما ونحن عنده فى سر من تدبير شئ من
المملكة وخدمه خلف فرشه وسرير ملكه يتحدثون فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا عن بعض
ما كنا فيه فقلت له وأخبرته بتفاوت ما بين الحالتين فقال لى لا تعجل فنحن ملوك على رعيتنا
وخدمنا ملوك على ارواحنا ينالون منا فى خلوتنا ما لا حيلة لنا معه فى التحرز منهم وكان
انوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل
والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزرا ورأس الكل تفقد الملك امور
نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود
وعدل الملك اخصب من عدل الزمان وكان يقول ايام السرور كلمح البصر وأيام الحزن تكاد
تكون شهورا (قال المسعودى) ولانوشروان سير حسان قد اتينا على ذكرها فيما سلف من
كتبنا وما كان منه فى مسيره فى سائر اسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة فى
الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن انوشروان بن قباذ وامه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل
بل ملك من ملوك الخزر مما يلى الباب والابواب فكان ملكه اثنتى عشرة سنة وكان متحاملا
على خواص الناس مائلا الى عوامهم مقويا لهم مؤثرا للروبصية وتوابع العوام مقربا
لهم بخواص الناس وقيل انه قتل فى مدة ملكه من خواص فارس ثلاثة عشر الف رجل
مذكور ولاثنتى عشرة سنة من ملكه تخرم عليه الملك وتداعت أركانه وزحفت اليه
الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد كان ازال احكام الموبذان فخربت بذلك السنة المحمودة
والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة بن شب عظيم
من ملوك الترك فى اربعمائة الف فنزل نحو بلاد هراة وبلاد غيس وبوشنج من ارض خراسان
وسار اليه من اطراف أرضه طراخنة من الخزر فى جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك
الصقع بخيل أوقفت وملوك تهادنت وتواهبت ما كان بينها من الدماء مما يلى جبل القبج
وسار بطريق لقيصر فى ثمانين الفا مما يلى الجزيرة وسار مما يلى اليمن جيش عظيم للعرب من
قحطان ومعد وعليهم العباس المعروف بالاحول وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز أمره
وأحضر الموبذ وذوى الرأى منهم من بعد احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم
موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم والاقبال على شابة بن شب فانتدب لحربه بهرام جور
ابن مرزبان الرى وكان بهرام هذا من ولد جرجين بن ميلاد من نسل انوش المعروف بالران
فصار فى اثنى عشر الفا وشابة فى أربعمائة الف فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من

ترغيب

ترغيب وترهيب وحيل في الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه
وأمواله وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمودة بن شابة ولده تحصن في بعض القلاع من
بهرام فنزل عليه بهرام فنزل برمودة على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام حملا من الغنائم
وما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان في خزائن افراسياب
من الاموال والجواهر التي كان أخذها من سياوخش وما كان بايدي الترك من تركات
هوحاسف ملك الترك مما أخذه من خزائن بستانسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك
الترك السالفة فلما انتهى ما وصفنا من الاموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام
حسده وزير هرمز ازتحبيس وقد نظر الى اعجاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال
أعظم هذه زلته وعرض لهرمز بخيانة بهرام واستبداده باكثر الجواهر والاموال والغنائم
وأغراه به فعصاه بهرام ثم احتال بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا
من التجار فأنفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت في أيديهم وعمل بها هرمز فلم يشك
ان ابنه ابرويز ضربها طالبا للملك فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ولم يعلم أن الحيلة
في ذلك من بهرام فهرب ابرويز من ابيه لتغيره عليه ولحق ببلاد اذربيجان وارمينية والران
والبيلقان وحبس هرمز خالي ابرويز بسطام وبندويه فأعملا الحيلة في محبسهما وخرجا
فانضاف اليهما خلق من الجيش فدخلا على هرمز فسملا عينيه وأعمياه فلما نمي ذلك الى ابرويز
سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لا ذنب له في ذلك وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه
هرمز وسلم الملك اليه ونمي ذلك الى بهرام جوبين فسار في عساكره يؤم الباب ودار الملك فخرج
اليه ابرويز فالتقيا على شاطئ النهروان والنهر بينهما فتواقفا وكان لهما خطب طويل من
تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها ابرويز لتخلف اصحابه عنه
وسلمهم الى بهرام فقام تحته فرسه المعروف بشبداد وهو المصور في الجبل وهو ببلاد
قرماسين من اعمال الدينور هو وابرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من أحد
عجائب العالم وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة في الصخر والفرس تذكر في أشعارها
وغيرها من العرب هذا الفرس المعروف بشبداد وقد كان ابرويز على شبداد في بعض الايام
فانقطع عنانه فدعا بصاحب سروجه ولجمه فاراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها
الملك ما بقي سير يحيد به ملك الانس وملك الخيل فاطلقه وأجازه ولما تلج هذا الفرس تحت
ابرويز وقصر طلب الى النعمان في المعركة أن يمن عليه بفرسه المعروف باليحموم فابى
عليه ونجا عليه بنفسه ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي الى ابرويز وقد خانته الرجال
وأشرف على الهلاك فاعطاه فرسه المعروف بالضبيب وقال له أيها الملك انج على فرسي فان
حياتك للناس خير من حياتي وأعطاه ابرويز فرسه شبداد فنجا عليه في جملة الناس ومضى
ابرويز الى ابيه ففي ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائي

أعطيت كسرى ما أراد ولم أكن * لاتركه في الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الضبيب وقد بدت * مسومة من خيل ترك وائلا

فكافأه ابرويز بعد ذلك وعرف له ما صنع ولما سار ابرويز من الهزيمة الى ابيه هرمز اشار عليه

ن يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت فى مثل هذه الحالة انجدت فى خطب
بجرى بينه وبين ابيه فمضى ابرويز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام ونفدويه وعبر
دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام ونظر فى مسيره ذلك اليوم الى خاليه وقد تأخراعنه
فاستراب بهما وبمن انضاف اليهما ممن كان معهم فسألهما عن السبب فقالا لسنا بآمنين
أن يدخل بهرام الى ابيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأسه وان كان أعمى ويصيرهو
الهرمزان وتفسير ذلك امير الآخر والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدمستق فيكتب بهرام
عن ابيك هرمز الى قيصران ابنى ابرويز وجماعة انضافوا اليه وثبوا بى وسملوا عينى فاحمله
الى فيحمنا قيصر عليه فيأتى علينا بهرام ولا بد لنا من الرجوع الى ابيك وقتله فناشدهما الله
أن لا يفعلا ذلك وأظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلهما فرجعا من فورهما ومن يسرع معهما
الى المدائن وقد صاروا على اسيال منها فدخلا على هرمز فخنقاه ولحقا بابرويز ولحقهم خيل
بهرام وكانت منهم حيلة فى بعض الديارات الى أن تخلصوا من تلك الخيل وسار ابرويز ففى
هرمز يقول ورقة بن نوفل

لم يغن هرمز من شئ خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والجن والانس تجرى بينها البرد

واسرع بهرام جور الى المدائن من النهروان حين بلغه قتل هرمز فاحتوى على الملك ولحق
ابرويز بالرها فنزلها وكاتب ملوك الروم وهو موريقس مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه
يسئله النصرة على عدوه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من أمواله والاحسان الى جنده وانه
يؤدى اليه ديات من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط وأهدى اليه هدايا كثيرة منها
مائة غلام من ابناء اراكنة الترك فى نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور فى آذانهم
اقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ ومائدة من العنبر فتحها ثلاثة اذرع على ثلاث قوائم من
الذهب مفصلة بانواع الجواهر احد الارجل ساعد وكف اسد والآخر ساق وعلى بظلفه
والثالث كف عقاب بمخلبه فى وسطها جام جزع يمانى فاخر فتحه شبر مملوءة حجارة ياقوت أحمر
وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أرفع مايكون فحمل اليه موريقس ملك
الروم الفى الف دينار ومائة الف فارس بعث بهم مع هديته والف ثوب من الديباج الخزائنى
المنسوج بالذهب الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة
والصقالبة والوشكنس وغيرهم من الاجناس المجاورة لملك الروم على رؤسهن اكاليل
الجوهر وزوجه بابنته مارية وحملها اليه مع أخيه سدوس واشترط ملك الروم على ابرويز
شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه انوشروان وترك التعرض
لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تتزوج الى سائر من جاورها من ملوك الامم
ولا تزوجها لانهم أحرار وانجاد وللفرس فى هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق
وتحمسها فكانوا يقفون بمزدلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن أحمس وقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم للانصار أنا رجل أحمسى ولما اجتمع لابرويز ما وصفنا سار الى بلاد
أذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر وانضاف اليه كثير من الجنود والامم

وبلغ

وبلغ بهرام جور ما قد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره فالتقى الجيشان جميعا فتوجهت على بهرام فانكشف فى نفر من أصحابه وانتهى الى اطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى ملكه هو ومن خف معه من أصحابه وأخته كردية وكانت فى الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول فى كثير من حروبه ومضى كسرى ابرويز الى دار مملكته وأمر بجنود موريقش بالاموال والمراكب والكساوى وكافأهم على ما كان منهم فى معونته وحمل اليه ألفى ألف دينار وقرن ذلك بهدايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ما وعده وخرج من كل ما أوجبه على نفسه واحتال ابرويز فى قتل بهرام فى أرض الترك فقتل هنالك غيلة وذكران رأسه حمل بعد أن احتيل عليه وأخرجه من الناووس الذى كان خاقان ملك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل تاجر فارسى فنصب على باب ابرويز فى رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها من أصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها أخبار فى الطريق مع ابن خاقان وكانبها ابرويز فى قتل خاله بسطام وكان مرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بابيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد فى اخبار بهرام جور وما كان من مكايده ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العنز الكبير كان قد احتملها من بين جواريها وعلا بها وقد خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز والغالب عليه والمدبر لامره حكيم من حكماء الفرس وهو بزرجمهر ابن البختكان فلما خلى من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل الى بعض الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ما أداك اليه عقلك أن صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه بزرجمهر أما اذا كان معى الجد وكنت أنتفع بثمرة عقلى فالآن اذ لا جد معى فقد انتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر وأغرى ابرويز ببزرجمهر فدعا به وأمر بكسر انفه وفمه فقال بزرجمهر فى لأهل لما هو شر من هذا فقال ابرويز ولم يا عدو الله المخالف فقال لانى كنت اصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك واقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه اسمع منى يا شر الملوك نفسا وأخبثهم فعلا واسوأهم عشرة لا تتسلى بالشك وترفع به اليقين الذى قد علمته منى بالتمسك بالشريعة من ذا الذى يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وأمر به فضربت عنقه ولبزرجمهر فى ايدى الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير فى الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف وربما بحيرا رنوس الوزير الثانى وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر فلما رأى بزرجمهر قتيلا أسف عليه وعلم انه لا ينجو فأغلظ لابرويز فى الكلام فأمر به فقتل وأغرق فى دجلة فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفالة وتدبير الملك استوحش من شريعة العدل وواضحة الحق فعدل الى الجور والعسف بخواص رعيته وعوامها وحملها على ما لم تكن تعهده وأوردهم الى ما لم يكونوا يعرفونه من الظلم ووثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فانوس فيمن اتبعه على موريقش ملك الروم حمو ابرويز ومنجده

فقتلوه وملكوا مورداس ونمى ذلك الى ابرويز فغضب لموته وسير الى الروم الجيوش وكانت له
فى ذلك اخبار يطول ذكرها وسير شهريار مرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل انطاكية
فكانت له مع الروم وابرويز اخبار ومكاتبات وحيل الى ان خرج ملك الروم الى حرب شهريار
وقدم خزائنه فى البحر فى الف مركب فألقتها الريح الى ساحل انطاكية فغنمها شهريار وحملها
الى ابرويز فسميت خزائن الريح ثم فسدت الحال بين ابرويز وشهريار ومايل شهريار ملك
الروم فسير شهريار بجيشه والعراق الى ان انتهى الى النهروان فاحتال ابرويز فى كتب كتبها
مع بعض اساقفة النصرانية ممن كان فى ذمته حتى ردّه الى القسطنطينية وافسد الحال
بينه وبين شهريار وغير ذلك مما قد أتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وفى ملك ابرويز كانت
حروب ذى قار وهو اليوم الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم هذا اول يوم انتصفت فيه
العرب من العجم ونصرت عليهم بى وكانت وقعة ذى قار لتمام أربعين من مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد ان بعث وقيل بعد ان هاجر وفى رواية أخرى انها كانت بعد
وقعة بدر باشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل
والهامرز صاحب كسرى ابرويز وقد أتينا على هذه الاخبار على الشرح والايضاح فى
الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن ايراده فى هذا الموضع وفى ايام ابرويز كانت حوادث تنذر
بالنبوة وتبشر بالرسالة وأنفذ ابرويز عبد المسيح بن بقيلة الغسانى الى سطيح الكاهن فاخبره
برؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وغير ذلك من اخبار فيض وادى السماوة وما كان
من بحيرة ساوة وكان لابرويز تسعة خواتم تدور فى أمر الملك منها خاتم فصه ياقوت أحمر
نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس ذكر يختم به الرسائل والسجلات
والخاتم الثانى فصه عقيق نقشه خراسان خره وحلقته ذهب يختم به التذكرات والخاتم
الثالث فصه جزع نقشه فارس وحلقته ذهب منقوش فيه الوحا يختم به اجوبة البريد
والخاتم الرابع فصه ياقوت مورّد نقشه بالمال ينال الفرح وحلقته ذهب يختم به البرايك
والكتب فى التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو
أحسن ما يكون من الحمرة واصفاها واشرفها نقشه خره وخرم أى بهجة وسعادة حافتاه
لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلى
والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد حبشى والخاتم
السابع نقشه ذباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب فصه بادزهر والخاتم الثامن فصه
جماهن نقشه رأس خنزير يختم به اعناق من يؤمر بقتله وما ينفذ من الكتب فى الدماء
والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الابزن وكان على مربطه
خمسون ألف دابة وسروج ذهب مكللة بالدر والجوهر على عدد مالركابه من الخيل وكان
على مربطه الف فيل منها اشهب اشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا
وفى النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر واكثر ما يوجد من
ارتفاع الفيلة من التسعة اذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ فى اثمان ما عظم من
الفيلة وارتفع من الارض وقد يكون من الوحشية فى أرض الزنج ما هو أعظم

سمكا مما وصفنا باذرع كثيرة على حسب ما تحمل من قرونها المسماة بالانياب ما وزن الناب
خمسون ومائة من الى المائتين والمن رطلان بالبغدادى وعلى قدر عظم الناب عظم جسد
الفيل وقد كان ابرويز خرج فى بعض الاعياد وقد صفت له الجيوش والعدد والسلاح
وفيما صف له ألف فيل وقد احدقت به خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما نظرت له
الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها وبسطها الخراطيمها حتى جذبت بالمحاجن وراطنها
الفيالون بالهندية فلما ابصر بذلك ابرويز تأسف على ما خص به الهند من فضيلة الفيلة وقال
ليت الفيل لم يكن هنديا وكان فارسيا انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها بقدر
ما ترون من معرفتها وادبها وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظم اجسامها ومعرفتها وحسن
طاعتها وقبولها الرياضات وفهمها المرادات وتمييزها بين الملك وغيره وان غيرها من
الدواب لا يفهم شيأ من ذلك ولا يفصل بين شيئين وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا
من الفصول فى اخبار الفيلة وما قالته الهند وغيرهم فى ذلك وتفضيلها على سائر الدواب
فكانت مدة ملك ابرويز الى ان خلع وسملت عيناه وقتل ثمانيا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده)
ولده قباذ المعروف بشيرويه القابض على أبيه والجانى عليه والقاتل له والفرس تسميه
المشؤم وفى ايامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم فهلك فيه مائتا ألف من
الناس فالمكثر يقول هلك نصف الناس والمقل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان
هلك سنة وستة أشهر وقيل أقل من ذلك ولكسرى ابرويز ولابنه شيرويه اخبار عجيبة
ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولى عهد
الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من انطاكية من بلاد الشام شهريار مرزبان المغرب
المقدم ذكره مع ابرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهريار) نحوا من
عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى ابرويز يقال لها
آزرمى دخت فقتلته (ثم ملك كسرى ابن قباد بن ابرويز) وقيل انه ابن لابرويز وكان بناحية
الترك فسار يريد دار الملك فقتل فى الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت
كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا (ثم ملك رجل) من أهل بيت الملك من ولد سابور
ابن يزدجرد الاثيم يقال له فيروز خشنس فكان ملكه شهرين (ثم ملكت ابنة لكسرى)
ابرويز يقال لها آزرمى دخت فكان ملكها سنة وأربعة أشهر (ثم ملك فرخ زاد خسرو) ابن
كسرى ابرويز وهو طفل فكان مدة ملكه شهرا وقيل اشهرا (ثم ملك يزدجرد بن شهريار)
ابن كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشروان قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن يزدجرد بن
سابور بن اردشير بن بابك بن ساسان وهو آخر ملوك الساسانية فكان ملكه الى ان قتل بمرو
من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان
رضى الله عنه وفى سنة احدى وثلاثين من الهجرة وقيل غير ذلك فى مقدار ملكه وخبر مقتله
(قال المسعودى) وذهب الاكثر من الناس ممن عنى باخبار الفرس وايامهم الى أن جميع
من ملك من آل ساسان بن اردشير بن بابك الى يزدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون
ملكا امرأتان وثمانية وعشرون رجلا ووجدت فى بعض التواريخ ان عدد ملوك الساسانية

اثنان وثلاثون ملكا وعدد الملوك الاول وهم الفرس الاول من كيومرت الى دارا بن دارا تسعة عشر ملكا منهم امرأة وهى جمانة بنت بهمن وافراسياب التركى وسبعة عشر رجلا وعدد ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم فى مقتل دارا بن دارا الى ان ظهر اردشير بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك الشعن والزان ومن أجلهم سمى سابور ملوك الطوائف الاشعان فجميع الملوك من كيومرت بن آدم وهو أول ملوك بنى آدم على ماذكرت الفرس الى يزدجرد بن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ماملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرت الى يزدجرد ثمانون ملكا ورأيت جماعة من الاخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة فى التواريخ وغيرها يذهبون الى ان سنى الفرس الى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة منها من كيومرت الى انتقال الملك الى منوشهر الف وتسعمائة واثنتان وعشرون سنة ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وملك الاسكندر خمس سنين ومن اسكندر الى ملك اردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير الى الهجرة أربعمائة سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك فى الموضع المستحق له من هذا الكتاب دون ذكر الهجرة وخلافة أبى بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بنى امية وبنى العباس لانا قد أفردنا لما ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء اخبار الامويين والعباسيين ترجمناه بذكر التاريخ الثانى وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة أجناس الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فالصنف الاول يقال له الداهان وهم الارباب كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرت الى افريدون هم كان من افريدون الى دارا بن دارا وهم الاشعان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ماذكرنا فى باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم الفرس الثانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه فى اخبار الفرس الذى رواه عن كسرى ان الفرس طبقات اربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرت الى كوستاسب والطبقة الثانية كان من كيقباد الى الاسكندر بن فيلبس وآخرهم دارا والطبقة الثالثة وهم الاشغانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع وهم الساسانية اولهم أردشير بن بابك ثم سابور ثم اردشير هرمز نرسى بن هرمز هرمز بن نرسى سابور بن هرمز اردشير بن هرمز سابور بن اردشير سابور بن سابور بهرام بن سابور يزدجرد بن بهرام بهرام بن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباد بن فيروز انوشروان بن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهريار بوران كسرى بن قباد فيروز خشنس آزرمى دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد وانما ذكرنا هؤلاء بعد ان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ فى اعدادهم واسمائهم فاوردنا ماقاله المتنازعون من الاخباريين وقد أتينا على اخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤسهم ورسائلهم وسائر ما كان

من الحوادث في اعصارهم وما كوروه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من احوالهم فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب جوامع من تاريخهم واعداد ملوكهم ولمع من بعض اخبارهم وكذلك ذكرنا في كتابنا في اخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وما حفر كل ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن وآراء الملوك واحكامها وكثير من قضاياها في خواصها وعوامها وانساب أصحاب خيل الملك ومن كان على خيل كل ملك منهم في الحروب وانساب حكمائهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك في اعصارهم وانساب المرازبة وذكر أولاد الطبقات الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب انسابهم وتفرق اعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التي شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون في أهل السواد الى وقتنا هذا واشرف السواد بعد هذه الابيات الثلاثة من السهارجة الذين شرفهم ابرج وجعلهم اشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد السهارجة هم الدهاقين وهم ولد وهكرت بن فردال بن بابك بن مرس بن كيومرث الملك وكان لوهكرت عشر بنين فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت اول من تدهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرنا وله خمس وثلاثون سنة وخلف من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسها ومرادوزبدوا كثر عقبه عرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ولا خلاف فيما ذكرنا عند ذوي الدراية كما وصفنا (قال المسعودي) فاذ قد ذكرنا جوامع من اخبار الفرس وطبقاتهم فلنذكر الآن ملوك اليونانيين ولمعا من اخبارهم وتنازع الناس في بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولي التوفيق برحمته ورضوانه

ذكر ملوك اليونانيين ولمع من اخبارهم وما قاله الناس في بدء انسابهم

(قال المسعودي) تنازع الناس في فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحاق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم من ولد اوراس بن ياوان بن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم قبيل متقدم في الزمان الاول وانما وهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب فلذلك غلط من غلط في النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت في لغتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم وطلاقة السنتهم والروم انقص في اللسان من اليونانيين واضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم (قال المسعودي) وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وانه من ولد عابر بن شالخ وان أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن

انضاف الى جملته حتى وافى اقاصى بلاد المغرب فأقام هنالك وانسل فى تلك الديار واستعجم لسانه ووازى من كان هنالك فى اللغة الاعجمية من الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا فى ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأى كثير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحاق الكندى يذهب فى نسب يونان الى ماذكرنا من أنه اخ لقحطان ويحتج لذلك باخبار نذكرها فى بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشى فى قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ماذكرنا آنفا فى صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف انى نظرت فلم أجد * على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا
اتقرن الحادا بدين محمد * لقد جئت شيأ يا اخا كندة اذا
وتخلط يونانا بقحطان ضلة * لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

ولما نشأ أولاد يونان وكبر خرج يسير فى الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثينا وهى المعروفة بمدينة الحكماء فى ديار المغرب فى صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى ان أدركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه جريبوس فقال له يا بنى انى قد وافيت الاجل وقربت من الحتم الواجب وانى راحل عنك ومفارقك ومفارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت احوالكم حسنة النظام بى وكنت كهفا فى الشدائد وعونا على المحن ومجنا فى الزمان فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التى عليها بنى العقل فان من ترك رأى اللب وثمرة العقل تورط فى المهالك ووقع فى مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده جريبوس على مكان أبيه وضم اليه أهله وولده ونما خبرهم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والتوكبرد وأجناس الامم من الصقالبة وغيرهم وكان أول ملوكهم من سماه بطليموس فى كتابه فيلبس وتفسيره محب الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلفوس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما انتشار البخت نصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما أن كان من أمر الاسكندر بن فيلبس وهو الملك الماضى الذى هو أول ملوك اليونانيين على ماذكره بطليموس ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه دارا بن ملك فارس وهو دارا بن دارا يطالبه بماجرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن لحق بهم من

ملوك المشرق فى الكتاب الاوسط ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبش بن
مصريم بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومى بن نويط بن نوفيل بن رومى بن ليطى بن
يونان بن يافث بن نوح ونسبه قوم انه من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم ومنهم من رأى
انه الاسكندر بن يونه بن سرحون بن رومى بن قرمط بن نوفيل بن رومى بن الاصفر بن
اليغز بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى انه ذو القرنين
ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فمنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين
لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى انه
من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه والقول الاول لابن عباس
فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى انه كان بذؤابتين من الذهب وهذا قول يعزى الى على بن
أبى طالب رضى الله عنه وقد قيل غير ذلك وانما ذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب
وقد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية
فأسكنها خلقا من اليمن وان ذا القرنين هو الاسكندر من اوائك العرب المخالفين بها والله
أعلم وسار الاسكندر بعد ان ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوج بابنة ملكها
دارا بن دارا بعد ان قتله ثم سار الى أرض السند والهند ووطئ ملوكها وحملت اليه الهدايا
والخراج وحاربه ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله
الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه
الهدايا والضرائب وسار فى مفاوز الترك يريد خراسان من بعد ان ذلل ملوكها ورتب الرجال
والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور
بخراسان كورا وبنى مدنا فى سائر أسفاره وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو
صاحب كتاب المنطق ومابعد الطبيعة وتلميذ افلاطون وافلاطون تلميذ سقراط وصرف
هؤلاء هممهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفيسة وغير ذلك من علوم الفلسفة
واتصالها بالالهيات وابانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها لمن استعجم
عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة شهرزور اشتدت
علته وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته
على عسكره بطليموس فلما مات الاسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء
اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الامم وكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم
ولا يصدر الامور الا عن رأيهم وجعل بعد ان مات فى تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد
ان طلى جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد
منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا وقام فوضع يده على التابوت فقال اصبح
آسر الاسراء اسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذى كان يخبأ الذهب فصار
الذهب يخبأه وقال الحكيم الثالث ما ازهد الناس فى هذا الجسد وأرغبهم فى هذا
التابوت وقال الحكيم الرابع من أعجب العجب ان القوى قد غلب والضعفاء لاهون
مغترون وقال الخامس ياذا الذى جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من

اجلك لتبلغ بعض املك هلا حققت من املك الامتناع عن فوت اجلك وقال السادس أيها
الساعى المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وفارقت ايامه مغنماه
لغيرك ووباله عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة ابلغ من وفاتك فمن
كان له عقل فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر وقال الثامن رب هائب لك كان يغتابك من
ورائك وهو اليوم بحضرتك لايخافك وقال التاسع رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت
وهو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم وقال العاشر أماتت هذه النفس لئلا تموت
وقد ماتت وقال الحادى عشر وكان صاحب خزانة كتب الحكمة قد كنت تامرنى ان
لا ابعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك وقال الثانى عشر هذا اليوم عظيم العبر أقبل من
شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال
الثالث عشر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك
كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى
كيف حالك فيما احتوى عليك منها وقال الخامس عشر أعجب لمن كانت هذه سبيله
كيف شرهت نفسه بجمع الحطام الهائد والهشيم البائد وقال السادس عشر أيها الجمع
الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح
والرشاد من الغى والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل
الغمام كيف انجلى وقال الثامن عشر وكان من حكماء الهند يا من كان غضبه الموت هلا
غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم أيها الجمع هذا الملك الماضى فليتعظ به الآن
هذا الباقى وقال العشرون هذا الذى دار كثيرا والآن يقر طويلا وقال الحادى
والعشرون ان الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الان كل ساكت وقال الثانى
والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون
مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن
ضيق المكان الذى أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان
من نساك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون فى أولها وقال
الخامس والعشرون وكان صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت
الموائد ولا أرى عميد المجلس وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله قد كنت
تامرنى بالجمع والادخار فالى من ادفع ذخائرك وقال السابع والعشرون وكان خازنا من
خزانه هذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضها قبل ان أوخذ بما لم آخذ منها وقال الثامن
والعشرون هذه الدنيا الطويلة العريضة طويت منها فى سبعة اشبار القول التاسع
والعشرون قول زوجته روشنك بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت أحسب ان غالب
دارا الملك يغلب وان كان هذا الكلام الذى سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شماتة
فقد خلف الكاس الذى تشرب به الجماعة القول الثلاثون ما يحكى عن أمه انها قالت
حين جاءها نعيه لئن فقدت من ابنى امره فما فقدت من قلبى ذكره وقبض الاسكندر وهو
ابن ست وثلاثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا وست سنين بعد قتله

ادارا بن دارا وتملكه على سائر ملوك الارض وملك وهو ابن احدى وعشرين سنة وذلك
بمقدونية وهى مصر وعهد الى ولى عهده بطلموس بن اذينة ان يحمل تابوته الى والدته
بالاسكندرية وأوصاه ان يكتب اليها اذا أتاها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادى فى مملكتها
ان لا يتخلف عنها أحد وأن لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات له خليل ليكون ذلك
مأتم الاسكندر بالسرور خلاف مأتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع التابوت
بين يديها نادت فى أهل مملكتها على ما به أمرها فلم يجب أحد دعوتها ولا بادر الى ندائها
فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتى فقالوا لها أنت منعتهم من ذلك قالت وكيف
قيل لها أمرت ان لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد
الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزانى
ولدى أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما اشبه اواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل فى تابوت من
المرمر وطلى بالاطلية الماسكة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها
من الملوك والامم لا يتركونه فى ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على احجار نضدت وصخور
نصبت من الرخام والمرمر قد رصفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية
من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة
وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من اخبار الاسكندرية وعجائبها ومصر
وأخبارها وبنيانها فى الموضع المستحق له من ذلك فى كتابنا ان شاء الله تعالى

ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند

(قال المسعودى) لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند
وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب ما ذكرناه من حمل الاموال والخراج اليه بلغه ان
فى اقاصى أرض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وانصاف للرعية وانه
قد أتى عليه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله
يقال له كند وكان قاهرا لنفسه مميتا لصفاته من الشهوة الغضبية وغيرها حاملا لها على
خلق كريم وأدب رائض فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا أتاك كتابى هذا فان كنت قائما
فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما
ورد عليه الكتاب اجاب الاسكندر بأحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه انه قد اجتمع له
قبله اشياء لا يجتمع عند غيره مثلها الا من صارت اليه عنه فمن ذلك ابنة له لم تطلع الشمس
على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته
واعتدال بنيته واتساعه فى علمه وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيأ من العوارض الا ما يطرأ
من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التى عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم
الحسى وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت فى هذا العالم عرضا للآفات والحتوف
والبلايا وقدح عندى اذا انا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شئ ولا يزيده
الوارد عليه الا دهاقا وأنا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر
الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندى ونجاة هذا الحكيم
من صولتى أحب الى من ان لا تكون عندى ويهلك فأنفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء

اليونانيين فى عدة من الرجال وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الى
ودعوا الرجل فى موضعه وان تبينتم أن الامر بخلاف ذلك وأنه أخبر عن الشئ على
خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الى فتضى القوم حتى انتهوا الى الملك
فتلقاهم بأحسن لقاء وأنزلهم أحسن منزل فلما كان فى اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا
للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا فى الاولى
صدقنا فيما بعدها مما ذكر فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها أقبل عليهم
مباحثا لهم فى أصول الفلسفة والكلام فى الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله
جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب فى المبادى الاول وتشاحوا القوم ونظروا
فى موضوعات العلماء وترتيبات الحكماء على غير مراء وتناهى بهم الحكماء الى غاية كان اليها
صدورهم من العلويات ثم أخرج الجارية فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف
واحد منهم على عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه ان يتعدى ببصره الى غيره وشغله تأمل ذلك
وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر
اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعى طبعه ثم أراهم
بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم
وشيعهم مسافة من أرضه فلما وردوا على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى
الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وأمر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته
الى الفيلسوف والى علم ما عنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة
وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندى ومن أحضره من فلاسفته
وحكمائه فأعجبه ذلك وتأمل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التى اليها كان اصدرهم
وأقبل ينظر الى مطاردة الهند فى عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة
قياسها على ما قدمنا من أوضاعها ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما أخبر عنه فخلا بنفسه
وأجال فكره فسنح له سانح من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم
يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تخبره بشئ
فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للامور المتقنة
المحكمة فى نفسه لامر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الى وأجال فكره وسبر المراد به
ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرز اطرافها فى السمن وأنفذها الى الاسكندر فأمر الاسكندر
بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الاجزاء وأمر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها
الفيلسوف وتأمل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبأن يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها
فصارت بجسمها صقيلا ترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن
عنها وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتأمل حسن صورته فيها دعا بطست فجعل
المرآة فيه وأمر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وأمر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر
الفيلسوف الى ذلك أمر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها فى الطست فوق
الماء فطفت فوقه وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر الاسكندر الى ذلك أمر بتراب ناعم

فاتت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال أنينه وظهر حنينه وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يا نفس ما الذي قذف بك في هذه السدفه وأصارك الى هذه الغمه ووصلك بهذه الظلمه أنسيت وأنت في النور تسرحين وفي العلوم تمرحين وتنظرين في الضياء الصادق وتتفسحين في العالم المشرق أنزلت الى عالم الظلم والمعانده والغشم والمفاسده تخطفك الخواطف وتنهزك العواصف قد حرمت علم الغيوب والكون في العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب ورفضت كل مطلوب أين مصادرك الطيبه وراحتك القويه حللت في الاجساد فقوي عليك الكون والفساد حللت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعي المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار في قرارات الاجسام لا تشاهدي الا غافلا ولا ترين الا جاهلا قد زهد في الخيرات ورغب عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال بأعلى صوته يا لله من نجوم سائره وأجسام زاهره من عالم شريف طلعت والى ما وضعت انك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنه وفي اكنافه قاطنه وقد أصبحت عنه ظاعنه ثم أقبل على الرسول وقال خذه ورده الى الملك يعني التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ما شاهد فتعجب الاسكندر من ذلك وعلم مرامي الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من النقلة عما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتامل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان اوحد زمانه ولست اشك ان هذا الشخص قد علم كل ما راسلته به وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس في وقته أحد يدانيه في حكمته ولا يلحقه في علمه وتامل الفيلسوف الاسكندر فأدار اصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة انفه واسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه فحياه بتحية الملوك فأشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك حين نظرت الي ورميت بطرفك نحوي أدرت اصبعك حول وجهك ووضعتها على ارنبة انفك قال تاملتك أيها الملك بنور بة عقلي وصفاء مزاجي فتبينت فكرتك في وتاملك لصورتي وأنها قلما تجتمع مع الحكمة فاذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه فأدرت اصبعي مصداقا لما سنح لك وأريتك مثالا شاهدا كما انه ليس في الوجه الا انف واحد وكذلك ليس في دار مملكة الهند غيري ولا يلحق أحد من الناس بي في حكمتي فقال له الاسكندر ما احسن ما تأتى لك ما ذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت فدع عنك هذا ما بالك حين انفذت اليك قدحا مملوءا سمنا غرزت فيه ابرا ورددته الي قال الفيلسوف علمت أيها الملك انك تقول ان قلبي قد امتلأ وعلمي قد انتهى كامتلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمي يستزيد في علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر في هذا الاناء قال

عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا
وللطبيب معه أخبار طريفة ومناظرات عجيبة فى اوائل المعرفة وصنعة الطب وترقية الى
مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وميلا الى
الاختصار فى هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذى تدعيه الهند فى صنعة الطب وغيرها
وقد كان للاسكندر فى أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته
الحكام مع تنائى ديارهم وبعد أوطانهم واختلاف لغاتهم وعجائب صورهم وتباينهم فى شيمهم
وأخلاقهم أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل وفنون من السير وما أحدث من الابنية
قد اتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا وغير ذلك مما عن وصفها أمسكنا وانما
ذكرنا اليسير من اخباره لئلا يعرى كتابنا من شئ منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته وبالله التوفيق

(ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر)

(ثم ملك بعد الاسكندر) الملك خليفته بطليوس وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه
أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالى للملك الاسكندر
حروب مع بنى اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار
ملوك العالم انه أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه ركب فى بعض الايام فى طربه الى
بعض متنزهاته فنظر الى باز يطير فرآه اذا علا صب واذا سفل خفق واذا أراد أن يستوى ذرق
فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأمله فأعجبه صفاء عينيه وصفرتها وكمال خلقه
فقال هذا طائر حسن له سلاح وينبغى أن تتزين به الملوك فى مجالسها فأمر أن يجمع منها
عدة لتكون فى مجلسه زينة فعرض لباز منها ايم وهو الحية الذكر فوثب عليه البازى فقتله
فقال الملك هذا ملك يغضب مما نغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب
عليه البازى فافلت الا حريصا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب
عليه فأكله فقال الملك هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع اكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك
الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وثنى من بعده من ملوك الروم بلعب
الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من
لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن
ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب
عند ذكرنا لجبل الفتح والابواب جملا من اخبارها وأخبار من لعب بها وقد كان من سلف
من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وأنشأها على منازلها
ودرجاتها وهى أربع اجناس وثلاثة عشر شكلا فاما الاجناس الاربعة فهى البازى
والشواهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال على طريق الخبر فى
الكتاب الاوسط على مراتبها من سائر أنواع الحيوان الجوارح ودلائلها وما قاله الناس فى
ذلك (ثم ملك بعد بطليوس) هيفلوس وكان رجلا جبارا وفى ايامه عملت الطلسمات
وظهرت عبادة التماثيل والاصنام لشبه دخلت عليهم وأنها وسائط بينهم وبين خالقهم
تقربهم اليه وتدنيهم منه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وقيل أربعين وقد قيل ان الذى

زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره فى دفع اغسطس ملك الروم عن ملك مصر
حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها ليعلمه بحكمتها وليتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء
اليونانيين ثم بعد ذها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها
وجنودها فطلبت الحية التى تكون بين الحجاز ومصر والشام وهى نوع من الحيات تراعى
الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من اعضائه قفزت اذرعا كثيرة كالريح
فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتى عليه ولا يعلم بها لجوده من فوره ويتوهم
الناس انه قدمات فجأة حتف انفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من
كور الاهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بحامر دوبة بين مدينة
دروق وبلاد الباسيان والعندم فى الماء وهى حيات شبريه وتدعى هنالك القبرية ذات
رأسين تكون فى الرمل وفى جوف تراب الارض فاذا أحست بالانسان أو غيره من الحيوان
وثبت من موضعها اذرع كثيرة فضربت باحدى رأسيها الى اى موضع من ذلك الحيوان
فتلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها الحس فبعثت قلبطره هذه الملكة فاحتيل لها حية
من هذه المقدم ذكرها التى توجد بأطراف الحجاز فلما ان كان اليوم الذى علمت أن
أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن احبت فناءها قبلها وأن لا يلحقها
العذاب بعدها فسمتها فى اناتها فخمدت من فورها ثم جلست قلبطره الملكة على سرير
ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين
والزهر والفاكهة والطيب وما يجمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا مبسوطة
فى مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من امورها وفرقت حشمها من حوالها
فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم
وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية
فخفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد جحرا ولا مذهبا تذهب فيه
لاتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والاصباغ فدخلت فى تلك الرياحين ودخل اغسطس
حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك فى انها تنطق فدنا منها
فتبين انها ميتة وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها يلمسه ويتبينه ويعجب خواص
من معه به ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت
عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب
من فعلها وقتلها لنفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين
الرياحين فقال فى ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا
يوما وهلك ولولا ان الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطره الملكة
لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى
هذه الغاية يذكرونه فى نوحهم ويرثون به ملوكهم وربما ذكروه فى اغانيهم وهو متعالم
معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم
وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما احدثوه من الآراء والنحل ومقائل فلاسفتهم

وغير ذلك من اسرارهم وعجيب اخبارهم والذي يعوّل عليه من عدد ملوكهم واتفق على
ذلك أهل المعرفة بأخبارهم ان جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة
قلبطره وان جميع عدد سني ملوكهم ومدة ايامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة
واحدة وكان كل ملك ملك على اليونانيين من بعد الاسكندر بن فيلبس يسمى بطليوس وهذا
الاسم الاعم الشامل لملكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر
وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشي وتسمية ملوك الزنج وهلمن وقد ذكرنا
جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الاعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا
وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك
ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الروم وما قاله الناس في أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم)

تنازع الناس في الروم ولاية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال سموا روما لاضافتهم الى
مدينة رومية واسمها روماس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما وكذلك الروم
في لغتهم لا يسمون انفسهم ولا يدعون أهل الثغور الارميس ومنهم من رأى ان هذا الاسم
اسم للاب وهو روم بن سماحلين بن هربان بن عقلا بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل
عليه السلام ومنهم من رأى انهم سموا باسم جدهم رومي بن لبطن بن يونان بن يافث بن
بريه بن سرحون بن رومية بن مربط بن نوفل بن روين بن الاصفر ابن اليغز بن العيص بن
اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقد ذكر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور
الاسلام ذلك الاشتهار ما وصفنا فيهم منهم عدي بن زيد العبادي حيث يقول

وبنو الاصفر الكرام ملوك * الروم لم يبق منهم مذكور

وقد كان العيص بن اسحق وهو عيصو تزوج من بنات الكنعانيين فأكثر اولاده منهم
وقد قيل ان العماليق وهم العرب البادية الذي كانوا بالشام من ولد اليغز بن عيصو وهذا
ما لا ينقاد اليه علماء العرب الا في الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم وهذه الانساب
كلها تتعلق بما في التوراة وغيرها من كتب العبرانيين (قال المسعودي) وغلبت الروم على
ملك اليونانيين لاخبار يطول ذكرها ويتعذر في هذا الكتاب شرحها وكان أول من ملك من
ملوك الروم فيها اساطوحاس وهو جانيوس الاصغر بن روم بن سماحلين فكان ملكه اثنتين
وعشرين سنة وقد قيل ان أول من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس بن افليوس
ثمان عشرة سنة وفي نسخة اخرى ان اول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين بوليس سبع
سنين ونصفا وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم باربعمائة سنة (ثم ملك) بعده اغسطس
ابن قيصر ستة وخمسين سنة وهذا الملك هو الاول من ملوك الروم واسمه قيصر وهو الثاني
من ملوكهم وتفسير قيصر أي شق عنه وذلك ان امه ماتت وهي حامل به فشق بطنها فكان
هذا الملك يفتخر في وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان
من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من امهم فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم
والله أعلم * وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية وأزال من بقي من ملوك

الاسكندرية

الاسكندرية ومقدونية وهي مصر وقد قدمنا ان كل ملك كان يلي مقدونية والاسكندرية
يسمى بطلميوس واحتوى هذا الملك أعني اغسطس على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية
ونقلها الى رومية وكانت له حروب كثيرة في الارض وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا
وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم مدنا وكورا كورا نسبت تلك المدن اليه منها قيسارية
وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم
عليه السلام بها وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمنا لاثنتين وأربعين سنة خلت من
ملك قيصر أغسطس هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع
وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة
القسيان انه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع سنين وكان
مولد يسوع الناصري بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية فمن هبوط آدم الى
مولد المسيح في تواريخ أصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة
سنة وخمسون سنة وأقام اغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة
ونصفا وكان مدة ملكه على الروم برومية وفي سائر اسفاره ستة وخمسين سنة على حسب
ما قدمنا من موته ولسع الحية اياه بمقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا
لفعل قلبطره بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب (ثم ملك الروم بعده) طيباريوس وكان
مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ولثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح عليه السلام
ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت فأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع
في الملك مائتي سنة وثمانية وتسعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم ولما انقضى
ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطارس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم
لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك
برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان في
أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسمية سمعان هو وبولص صلبا
منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما ممن أتى الى انطاكية وأخبر
الله عز وجل عنهما في سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية
برومية فجعلا في اجربة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس الى هذه
الغاية على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وا كثر من عنى بأخبار العالم
وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما قتلا برومية في ملك الخامس من ملوك الروم
وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار مار الى العراق فمات بمدينة برمي
والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن
الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هنالك في كنيسة الى
وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان
من الاثنى عشر الى بلاد الهند داعيا الى شريعة المسيح فمات هنالك وسار آخر الى آخر مدينة
بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم ارد مات ببلاد قوف

وجا البحار وكرخ حران فى تخوم العراق وموضعه مشهور ومات مارقس بالاسكندرية
من أرض مصر وقبره هنالك وهو احد التلامذ الاربعة الذين ألفوا الانجيل وقد كان
لمارقس مع أهل مصر خبر ظريف فى مقتله قد أتينا على السبب فى ذلك فى كتابنا الاوسط الذى
كتابنا هذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب انه
من جاءكم على صورتى فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدى اناس يتشبهون بى فبادروا الى قتلهم
ولا تقبلوا منهم ما يقولون ومضى وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم
فلما هموا بقتله قال لهم ويحكم أنا مارقس قالوا الا قد أخبرنا أبونا مارقس وعهد الينا بقتل
من يتشبه به قال فانى أنا مارقس قالوا الا سبيل الى تركك ولا بد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل
ذلك سئل فى بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان
كنت صادقا فيما أتيتنا به فاعرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه زرثيابه
وأتزر بمئزر صوف على ان يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن
لنا بعدك اذ كنت الاب وكان أمره بعد ذلك على ما وصفنا وتلامذ المسيح اثنان وسبعون
تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فأما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس
ويحيى ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا فى غير الاثنى عشر
ولا أدرى ما معناهم فى ذلك والاثنان اللذان من الاثنى عشر يحيى بن سبذاى ومارقس
صاحب الاسكندرية والثالث الذى ورد انطاكية وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو
الثالث المذكور فى القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس فى سائر رهبان النصرانية من
يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس اباح لهم ذلك (ثم ملك الروم) نيرون واستقام ملكه
ورغب على حسب ما قدمنا وعن دين النصرانية الى الروم فكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا
الملك منهم خلائق كثيرة وكان ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطس وأسبا سيانوس
مشتركين فى الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين
الملكين سارا الى الشام وكانت لهما مع بنى اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيها من بنى اسرائيل
ثلاثمائة ألف وخربا بيت المقدس وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره
وكانت عبادتهما للاصنام ووجدت فى بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من
ذلك اليوم الذى خربت فيه بيت المقدس ان يسبى كل يوم منهم سبى يفعل ذلك من أطاف
بلادهم من الامم فلا يوم من أيام العالم الا والسبى واقع بهم قل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم
بعدهما) ذونسطناس خمس عشرة سنة عابد التماثيل معظما لها ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا
التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك (ثم ملك بعده)
بينوتوس سنة (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين
خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادريانس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل
وخرب سائر ما بنى بنو اسرائيل بالشام (ثم ملك بعده) انطاوليس برومية ثلاثا وعشرين
سنة وبنى بيت المقدس وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده)
مرايس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة

سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثاني أربع سنين يعبد التماثيل وفي آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر مامياس وتفسير ماميا س العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عرديا س يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) بغريس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن في قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف (١) وقد اختلف الناس في أصحاب الكهف والرقيم فنهم من رأى ان اصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وزعموا ان الرقيم هو مارقم من أسماء اهل الكهف في لوح من حجر على باب تلك المغارة ومنهم من رأى ان اصحاب الرقيم غير أصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بأرض الروم (وقد حكى) أحمد بن الطيب عن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على اصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بحارى وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط قصة اصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر أصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبرنا عن السد الذي بناه ذو القرنين مانعا لياجوج وماجوج (قال المسعودي) وجدت في كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهيا كل المشيدة قد صوّر مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني المنجم وتكلم عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطيب الذي قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل قد أتينا على ماقيل في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط (ثم ملك حابس) ثلاث سنين (ثم ملك بعده) بدنوس نحوا من عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة (ثم ملك بعده) فورس نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له فارس نحوا من سنتين (ثم ملك بعده) فلطاليس عشر سنين (ثم ملك بعده) قسطنطين (قال المسعودي) والذي وجدت في الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية وهم الذين قدمنا ذكرهم في هذا الكتاب تسعة وأربعون ملكا وجميع عدد سني ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ماذكرنا من الخلاف في صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو ابن هلاني اربعمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة اشهر وسبعة أيام ونسخ كتب التواريخ في هذا المعنى مختلفة غير متفقة في أسماء ملوكهم ومدة ممالكهم واكثرها بالرومية فحكينا من ذلك ماتأتى وصفه ولهؤلاء الملوك أخبار وسير هي موجودة في كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها في كتابنا في أخبار الزمان وما شيدوا من البنيان وما كان لهم في هذا العالم من الاسفار وبالله التوفيق

(ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع من أخبارهم)

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطاليس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من
ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهى مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا
هذا وكان له فى بنائها خبر ظريف مع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان
وكان خروجه من رومية ودخوله فى دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من
ملكه خرجت امه هيلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت
الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت
لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع
والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما نورده عند ذكرنا الاخبار مصر من هذا الكتاب
وهى التى بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت
الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد دين النصرانية وكل
كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم فانما بنتها هذه الملكة هيلانى أم قسطنطين وقد جعل اسمها
مع الصليب فى كل كنيسة لها وليس فى الروم فى أحرفهم هاء وأحرف هيلانى خمسة أحرف
فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهى
خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة
اختصارا على ما ذكرناه هذه صورة الحرف الذى هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة
خلت من ملك قسطنطين بن هيلانى اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر اسقفا بمدينة نيقية بارض الروم
فأقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السندوسات
واحدها سندوس فالاول بنيقية على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على أريوس
وهذا اتفاق من سائر دين النصرانية من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم
الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا السندوس أيضا
والسندوس الثانى بالقسطنطينية على مقدنوس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة
وخمسون رجلا والسندوس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل والسندوس الرابع
بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا والسندوس الخامس بقسطنطينية وعددهم
مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس السادس كان فى ملك المدن وعددهم مائتان
وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع فى ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات
وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب فى دخول قسطنطين بن
هيلانى فى دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج فى بعض حروب برجان وغيرهم من
الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه فى بعض الايام فقتل من أصحابه
خلق كثير فخاف البوار فرأى فى النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب وأعلام على
رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ
هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها فى النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه
وولاه الدبر فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ودفعها فى عسكره وزحف الى

عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل
يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشام مجمع لهذا
المذهب وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس
فحشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فأتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين
النصرانية فهذا هو السندوس الاول وهو الاجتماع على ما ذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين
هلاني كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى ان هلك
احدى وثلاثين سنة وفي وجه آخر من التاريخ انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على
اخباره وحروبه وخروجه مرتادا الموضع القسطنطينية ووروده الى هذا الخليج الآخذ من
بحر مانطش ونيطش في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية
يأخذ من هذا البحر ويجري الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج
ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه في الموضع الذي يأخذ من بحر مانطش نحو
من عشرة أميال وهنالك عمائر ومدينة للروم تدعى سساه تمنع من يرد في هذا البحر من
مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية فيصير عرضه وهو موضع
العبور من الجانب الشرقي الى الموضع الغربي الذي فيه القسطنطينية نحوا من أربعة
أميال وعليه العمائر وينتهي في ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهنالك جبال وعين
ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر
القسطنطينية وأنه مراكب المسلمين في فم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق
وهنالك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي للمسلمين فيه مراكب
تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد
وأخبرني أبو عمير عدي بن حاتم بن عبد الباقي الازدي وهو شيخ الثغور الشامية قديما الى
وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لاقامة
الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلي بحر مانطش ونيطش وربما يتبين في الماء
الجاري مما يلي بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل في
بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة ساوقية مع
غلام ازارقة وقد كانوا دخلوا الى خليج القسطنطينية وساروا فيه مسافة بعيدة أنهم وجدوا
الماء في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر
والمدن فلما احسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومي وان في مدخله من بحر
الروم مدينة تقرب من فم الخليج والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما
يلي الشمال وفي الجانب الجنوبي البر وفيه باب الذهب مطلي على صفائح النحاس وأعلى
موضع في سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن اقصر موضع فيه
عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلي البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها
ثلاثين بابا ومنهم من زعم ان عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب
مرطب للابدان لكونه بين ما وصفنا لهذه البحار (قال المسعودي) ولم تزل الحكمة باقية

عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت اهم الاراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة اعنى الارثماطيقى وهو علم الاعداد والجومطريقى وهو علم المساحة والهندسة والاسترنوميا وهو علم النجوم والموسيقى وهو علم تأليف اللحون ولم تزل العلوم قائمة السوق مشرقة الاقطار قوية المعالم شديدة المقاوم سامية البناء الى ان تظاهرت ديانة النصرانية في الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا اسبلها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته وكان من شريف ماتركنه المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها تبتهج عند سماعه وتحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت عن المنطق ليست في قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها اسرت بها وعشقتها وطربت اليها ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملاهي والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهي من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا مناسبة النغم للاوتار وممازجة النفس والالحان وكيفية تولد الطرب وأنواع السرور وذهاب الغم وزوال الحزن وعلل ذلك الطبيعية والنفسية وما أحاط بذلك من جميع الوجوه في كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأتينا على ظريف اخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب في غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا لمعا من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح (ثم ملك الروم) بعد قسطنطين بن هلانى الملك المتنصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضي. وكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية (ثم ملك) ابن أخي قسطنطين الاول بوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو بوليانس المعروف بالحنفي وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه بليانس البرباط وغزا العراق في ملك سابور بن اردشير بن بابك فاتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق في جنود لا تحصى ولم يكن لسابور حيلة في دفعه ولقائه لمفاجأته اياه فانصرف سابور عن اللقا الى الحيلة في دفعه وكان من أمره ما وصفنا وكان ملكه الى ان هلك سنة وقيل أكثر من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس جزع من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له فرنياس وقيل انه كاتب الماضي فابى عليهم ان تملك الا ان يرجعوا الى دين النصرانية فاجابوه الى ذلك وضايق سابور القوم وأحاط بعساكرهم فكان لفرنياس مع سابور مراسلات ومهادنة

واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا للسابور وأخلف
عليه ما أتلف من أرضه بأموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيدها كل في دين
النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان
ملكه سنة (ثم ملك بعده) اوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك في بعض
حروبه وكان ملكه الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل ان في ايامه استيقظ أصحاب الكهف
من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة
وهذا الموضع من أرض الروم في الشمال وللناس ممن عني بعلم الفلك وازورار الشمس عن
كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى
في كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس
من أرض الروم (ثم ملك بعد اوانيس) عرامطناماس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان
اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم في روح القدس عندهم واحرقوا
مقدونيس بطريق القسطنطينية وهو السندوس الثاني (ثم ملك بعده) بدرسيس الاكبر
وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظم منها وبنى كنائس ولم يكن
من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد
كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدي في كتاب فتوح
الامصار أن بدأهم من أهل أصبهان وأنهم ناقلة من هنالك وهذا يوجب انهم من قبل ملوك
فارس الاولى وذكر عبد الله بن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير
والاخبار والاشهر من أمرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك الاندلس من الازارقة
واحدهم ازريق وقد تنوزع في دياناتهم فنهم من رأى انهم كانوا على دين المجوس ومنهم من
رأى انهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من
انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسيس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده)
اوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر
وذلك بمدينة افسس وجمع مائتي اسقف وهذا الاجتماع الثالث الذي قدمنا ذكره آنفا ولعن
فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان الحية التي وقعت على نسطورس
بطرك القسطنطينية صاحب الكرسي بالاسكندرية وما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا
المعروف بالراهب وما كان في بدريا زوجة الملك الى ان نفي نسطورس من القسطنطينية الى
انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم
اتبعوه وقالوا بقوله وانما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك وقد كانت المشارقة
بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصارى المشرق يابون هذه الاضافة الى
نسطورس ويكرهون ان يقال لهم نسطورية وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأي المشارقة
في الثالوث وهو الكلام في الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم
بالناسوت المحدث وكان ملك بدرسيس الى ان هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده)
مرقيانوس (ثم ملك الروم) بلخاريا زوجة مرقيانوس وكانت ملكة معه وفي ايامها كان خبر

المعاقبة من النصارى ووقوع الخلاف بينهم في الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر
اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية
والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب
من رأس العين واحدفات وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم
وكرسي اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة انطاكية وكذلك لهم كرسي بمصر ولا أعلم لهم غير
هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر بن اليون وكان ملكه
ست عشرة سنة وفي ايامه احرم مسعرة اليعقوبي بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة
ستمائة وستون اسقفا وفي تاريخ الروم ان عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية
وهذا الاجتماع هو السندوس الرابع عند الملكية واليعاقبة لا تعتد بهذا السندوس
ولهم خبر ظريف في قصة سواري البطرك وما كان من أمره وخبر تلميذه يعقوب البراذعي
ودعوته الى مذهب سواري واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعي هذا وبه
عرفت وكان من أهل انطاكية يعمل البراذع (ثم ملك بعد) اليون الاصغر ابنه ليون سنة على
دين الملكية (ثم ملك بعده) بيروهو من بلاد الارمينيان وكان يذهب الى رأي اليعقوبية وكان
ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه من دارا الملك فظفر بهم (ثم
ملك بعده) نسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة عمورية وأصاب كنوزا
ودفائن عظيمة وكان ملكه الى ان هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) يوسطيانوس تسع
سنين (ثم ملك بعده) سطايانس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبنى كنائس كثيرة وشيد دين
النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبنى كنيسة الرها وهي احدى عجائب العالم والهياكل
المذكورة وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى وذلك ان يسوع الناصري
حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى ان قرّ بكنيسة الرها
فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في هذه السنة وهي سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة اعطى هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسلمهم هذا المنديل
فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن أخيه فرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأي الملكية (ثم ملك
بعده) طباريس أربع سنين وأظهر في ملكه انواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب
والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) موريقس عشرين سنة ونصر كسرى
ابرويز على بهرام جور فقتل غيلة وبعث ابرويز غضبا له بجيوش الى الروم وكانت
لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قرماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك
هرقل) وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك فعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف
الفرس عن الشام وبنى الكنائس ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه
وسلم من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام

(قال المسعودي) وجدت في كتب التواريخ تنازعا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم

وفي عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم
من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان في ملك نوسطورس الاول وكان ملكه تسعا
وعشرين سنة (ثم ملك نوسطورس) وكان ملكه عشرين سنة (ثم ملك بعده) هرقل بن
منطوس وهو الذي في كتب الزيجات في النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفي تواريخ
ملوك الروم ممن سلف وخلف ان ملك الروم كان في وقت ظهور الاسلام وأيام أبي بكر وعمر
هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا في
اليسير منها وفي تواريخ أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم
قيصر بن مورق (ثم ملك بعده) قيصر بن قيصر وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه
(ثم ملك على الروم هرقل بن قيصر) وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو
الذي حارب أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبي عبيدة ابن الجراح وخالد بن الوليد
ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام وكان الملك على الروم
مورق بن هرقل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (ثم ملك) مورق بن مورق في خلافة
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام معوية بن أبي سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق
بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان المختلف بينهما يناق
الرومي غلام كان لمعوية وقد كان معوية هادن اباه مورق بن مورق حين سار الى حرب علي بن
أبي طالب رضي الله عنه وكان بشره بالملك وأعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعني
عثمان ثم يؤول الملك الى معوية وقد كان معوية يومئذ أميرا على الشام لعثمن في خبر طويل
قد أتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم توارثه ملوك الروم عن
اسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق في الآخر من أيام معوية وأيام يزيد بن معوية وأيام معوية
ابن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون)
ابن قلفط في أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده جيرون بن لاون في أيام الوليد بن عبد
الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان
من أمر مسلمة بن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم في البر والبحر فملكوا عليهم رجلا من غير أهل
بيت الملك من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم
مضطربا الى ان ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر
المنصور أخيه (ثم ملك بعده) اليون بن قسطنطين وذلك في أيام المهدي والهادي (ثم ملك
بعده) قسطنطين بن اليون وكانت أمه ارينى ملكة معه مشاركة له في الملك لصغر سنه في أيام
هارون الرشيد فمات قسطنطين بن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها
(ثم ملك) على الروم نقفور بن استبراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد
فاعطى القود من نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته فانصرف الرشيد
عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان
وجدها بالرقة وفي انقياد نقفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول
أبو العتاهية

امام الهدى اصبحت بالدين معنيا * وأصبحت تسقى كل مستمطر ريا
لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى * فأنت الذى تدعى رشيدا ومهديا
اذا ما سخطت الشئ كان مسخطا * وان ترض شيأ كان فى الناس مرضيا
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلى * فأوسعت شرقيا وأوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى * فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى * نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله ان صفى لهارون ملكه * وكان قضاء الله فى الخلق مقضيا
تحببت الدنيا لهارون بالرضى * وأصبح نقفور لهارون ذميا

فلما عوفى الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد هابه الناس ان يخبروه بغدر نقفور فقال

نقض الذى أعطاكه نقفور * فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية ان أتى * بالغدر عنه وافد وبشير
ورجت يمينك ان تعجل غزوة * تشفى النفوس نكالها مذكور
نقفور انك حين تغدر ان نأى * عنك الامام لجاهل مغرور
أظننت حين غدرت انك مفلت * هبلتك امك ما ظننت غرور
ان الامام على اقتسارك قادر * قربت ديارك ام نأت بك دور
ليس الامام وان غفلنا غافلا * عما يسوس بحزمه ويدير
ملك يجود الى الجهاد بنفسه * فعدوه أبدا به مقهور
يا من يريد رضى الاله بسعيه * والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش امامه * والنصح من نصاحه مشكور
نصح الامام على الانام فريضة * ولاهله كفارة وطهور

وهى طويلة فلما أنشده اياها قال الرشيد أوقد فعل وعلم ان الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك فى سنة تسعين ومائة واخبرنى أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى الازدى ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهل الثغور وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين وأبو اسحاق الفزارى صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال اى شئ تقول فى نزولنا على هذا الحصن فقال هذا أول حصن لقيت من حصون الروم وهو فى نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامره بالانصراف ودعا بأبى اسحاق الفزارى فقال له مثل ما قال لمخلد فقال يا أمير المؤمنين هذا حصن بنته الروم فى بحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالآهل فان أنت فتحته لم يكن فيه ما يغنم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك نقصا فى التدبير والرأى عندى ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك

قام العذر فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق كثير من المسلمين وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فاحضر أبا اسحاق الفزارى فقال يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين فما الرأى الآن عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه ورأيت ان يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا فى الملك ووهنا فى الدين واطماعا لغيره من الحصون فى الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأى يا أمير المؤمنين ان تأمر بالنداء فى الجيش ان أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن الى ان يفتحه الله عز وجل على المسلمين وتأمر بقطع الخشب وجمع الاحجار وبناء مدينة بازاء هذا الحصن الى ان يفتحه الله عز وجل ولا يكون هذا الخبر يموه الى احد من الجيش الاعلى المقام فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فأمر الرشيد من ساعته بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس فى البناء فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون فى الليل ويدلون أنفسهم بالحبال وفى خبر أبى عمر ابن عبد الباقى زيادات منها خبر الجارية التى سباها الرشيد من هذا الحصن وهى ابنة بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزاد فيها صاحب الرشيد فى المغنم وبالغ فيها حتى اشتراها له فبلغت من قلبه وبنى لها هرقلة والرافقة باسيال على طريق بالس حصنا سماه هرقلة يحاكى به حصن هرقلة ببلاد الروم فى خبر طويل قد أتينا على جمعه فى كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرنى أبو العيناء قال أخبرنى شبل الترجمان قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا مكتوبا عليه باليونانية فجعلت أترجمه والرشيد ينظر الى وأنا لا أعلم فكانت ترجمته بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم عاين الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من أجلك و بقية عمرك يأت الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا لنفسه موفرا لخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى ذلك اليوم زائدا على ألفى سنة وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من أهلها كأجمل الرجال قد خرج فى أكمل السلاح فنادى يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج الى منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتأسف ولام خدمه على تركهم ايقاظه فقيل له يا أمير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه و يطغيه ويجرئه ان يخرج فى غد فيطلب المبارزة و يعود لمثل قوله فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة القواد دعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمتطوعة بباب

المضرب فاذن لبعضهم وفي مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزاري فدخلوا فقالوا يا أمير
المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج
واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عظيمة وثلمة
لا تسد ونحن عامة لا يرتفع لاحد منا صيت فان رأى أمير المؤمنين ان يختار رجلا منا يخرج
اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وابراهيم صدقوا يا أمير المؤمنين فأومأوا الى رجل
منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه
قال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا
بفرسي أوثق ورمحي في يدي اشد ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح واستدناه
الرشيد واتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون من المتطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم
العلج وهو يعدهم واحدا واحدا انما كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا ولكن لا بأس
فنادوه ليس يخرج لك منا الا رجل واحد فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله العلج وقد أشرف
أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم فقال له الرومي أتصدقني عما أسألك عنه قال نعم
قال أنت ابن الجزري بالله قال اللهم نعم فكفؤ له قال بلى كفؤ ثم أخذا في شأنهما فتطاعنا حتى
طال الامر بينهما وكاد الفرسان ان يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش صاحبه ثم زميا
برمحيهما واخذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيوفهما وقد اشتدت الحرب عليهما
وتبلد جواداهما فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن انه قد بالغ فيها فيتقيها
الرومي وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر ويضربه الرومي فيغوص سيفه
لان ترس ابن الجزري كانت عانية وكان العلج يخاف ان يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل
واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة
لم يصبهم مثلها وعطعط المشركون من حصنهم وانما كانت حيلة من ابن الجزري فاتبعه
العلج وعلا عليه فلما تمكن منه ابن الجزري رماه بوهق فاختطفه من سرجه ثم عطف عليه
فما وصل الى الارض حتى فارقه رأسه وكبر المسلمون وانكسر المشركون وبادروا الباب
ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد ان يجعلوا في حجارة المجانيق النار فليس عند
القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقيل انهم نادوا
بالامان فامنوا وافتتاحها عنوة أشهر من قول من قال انها فتحت صلحا فقال في ذلك
الشاعر المكي

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا * حوائما ترتمي بالنفط والنار
كأن نيرانها من جنب قلعتهم * مصقلات على ارسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة
وصبت الاموال على ابن الجزري وقود وخلع عليه فلم يقبل شيأ من ذلك وسأل ان يعفى
ويترك على ما هو عليه ففي ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية

ألا نادت هرقلة بالخراب * من الملك الموفق للصواب
غدا هارون يرعد بالمنايا * ويبرق بالمذكرة العضاب

وزايات يحل النصر فيها * تمر كأنها مر السحاب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم * وأبشر بالغنيمة والاياب

وللرشيد مع يعفور هذا بعد ذلك أخبار كثيرة قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا الاوسط وما كان من خبره فى ارساله ليحيى بن الشخير حين أمره ان يتطارس على يعفور وما كان من يعفور واخباره لبطارقته ان الرشيد بعث بهذا امتحانا بما وما طالبه ابن الشخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن وما كان من انقياد يعفور بعد ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه عليه ان يحمل اليه أيمنا كان من ماعين العشيرة وهى عين اليديدون وهى فى نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه امسكنا طلبا للاختصار (ثم ملك بعد يعفور) استراق بن يعفور بن استراق فى أيام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك قسطنطين قاقط وكان ملك قسطنطين هذا فى خلافة المأمون (ثم ملك بعده) نطرنوفيل وذلك فى خلافة المعتصم وهو الذى فتح زبطرة وغزاه المعتصم بابنه ففتح عورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخاييل ابن نوفيل وذلك فى خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين (ثم كان بين الروم تنازع فى الملك فملكوا عليهم نوفيل بن ميخاييل بن نوفيل (ثم غلب على الملك نسيل الصقلبى ولم يكن من أهل بيت الملك وكان ملكه أيام المعتز والمهتدى وبعض خلافة المعتمد (ثم ملك بعده) ابنه اليون بن نسيل بقية أيام المعتمد وصدرا من أيام المعتضد (ثم هلك فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا أمره فخلعوه وملكوا عليهم أخاه لاوى بن اليون بن نسيل الصقلبى وكان ملكه بقية أيام المعتضد والمكتفى وصدرا من أيام المقتدر (ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فلك وغلب على مشاركته فى الملك أرميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبى بابنته وذلك فى بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضى والمتقى الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى خلافة أبى اسحاق المتقى ابن المقتدر وملوك الروم فى هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور أرميوس المتغلب ثم الثانى وهو قسطنطين بن لاوى بن اليون بن نسيل والملك الثالث ابن لأرميوس يخاطب بالملك اسمه اصطفانوس وجعل أرميوس ابنا له آخر صاحب الكرسى بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذى يأخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقربه الى الكنيسة وأمر الروم يدور فى وقتنا هذا على ماذكرنا من ملوكهم (قال المسعودى) فالى هذا الوقت انتهت اخبار ملوك الروم على حسب ماذكرنا والله أعلم مايكون من أمرهم فى المستقبل من الزمان فعدد سنى ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين بن هلانى وهو المظهر لدين النصرانية على ماذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذى أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وأربعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وارميوس اللذين هما ملكا الروم فى هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا فى هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلانى اثنان وأربعون ملكا فى مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب

جماعة ممن عنى بأخبار العالم الى أن من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ستة آلاف سنة ومائتين وتسعا وخمسين سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سنى العالم والانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار ملوكها وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب)

(قال المسعودى) ذكر الله جل ثناؤه مصر فى مواضع من كتابه فقال عز وجل وقال الذى اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمردة خضراء وثلاثة اشهر سبيكة حمراء* فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر فى شهر ابيب وهو تموز ومسرى وهو آب وتوت وهو ايلول يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب قد احاطت المياه بها من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا فى الزوارق وأما المسكة السوداء فان فى شهر بابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع الزراعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك وأما الزمردة الخضراء فان فى شهر طوبه وهو كانون الثانى وامشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار تلمع ويكثر عشبها ونباتها فتصير كالزمردة الخضراء* وأما السبيكة الحمراء فان فى شهر برمودة وهو نيسان وبشنس وهو أيار وبؤنة وهو حزيران يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمى كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على جميع ذلك فى الكتاب الاوسط* ووصف آخر مصر فقال نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها لمن سلب ومالها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب وحروبهم حرب وهى لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش ويطرح الى البحر الرومى فليس للمسلمين عليه من المدن الا المصيصة وكفربيا ومجراه بينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدأوهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومصبهما فيما سلف من هذا الكتاب وأنه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة وغيرها مما اشتهر من الانهار الكبار وقد قالت العرب فى النيل انه اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادتها من غيضه وغيضه من زياداتها قال البصرى

يغيض ان زادت له الانهار * فى الارض ذات العرض والمقدار

وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وتوالى الامطار

وركود

وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت
واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل
لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت به فحبسه فيفيض على وجه الارض وقد
ذكرنا التنازع فى النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار
الكبار والبحار والبحيرات الصغار فى أخبار الزمان فى الفن الثانى فأغنى ذلك عن اعادتها
فى هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون
أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون وقال عز وجل حاكيا عن
يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى
بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذى
بدء النيل منه وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء
والمحاق وقد روى عن زيد بن اسلم فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل قال هى مصر ان لم
يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شأنها عجيب * ونيلها تجرى به الجنوب

وهى مصر واسمها كاسمها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء
المصريين وقد قال عمرو بن معدى كرب

ما النيل أصبح واحدا بمدوده * وجرت له ريح الصبا فجرى لها
عودت كندة عادة محمودة * فاصبر لها اهلها ورجالها

(قال المسعودى) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤنة وهو حزيران وأبيب وهو
تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو أيلول الى انقضائه فاذا
انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو
ضار للبهائم لعدم المرعى والكلاء وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر
ذراعا وفى ذلك كفايتها ورى جميع أرضها واذا زاد على السبع عشرة وبلغ ثمان عشرة
ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه
الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث
وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا وقد كان النيل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا
وذلك سنة تسع وتسعين فى خلافة عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلغ اثنى عشر
ذراعا ثمان وعشرون اصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى ما فوق يصير الذراع أربعا وعشرين
اصبعا وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاث أذرع وفى نيل تلك السنة يكون الماء قليلا
والاذرع التى يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهى الذراع الثالثة عشر
والذراع الرابعة عشر فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعنى ثلاث عشرة وأربع عشرة
وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر كان الضرر شاملا لكل البلدان
الا أن يأذن الله عز وجل فى زيادة الماء واذا تم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان
فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصانا من خراج السلطان والترع التى

بغيضة مصر أربع امهات اسماؤها ترعة ذنب التمساح وترعة بلقينة وخليج سردوس وخليج
ذات الساحل وتفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من
توت وهو ايلول وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب
والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضى
من طوبة وأصفى مايكون النيل فى ذلك الوقت وأهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا
الوقت وفيه تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرايا البحيرة ولليلة الغطاس بمصر
شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبة وستة من
كانون الثانى ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى
داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب
الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر
النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى منهم فى الزوارق ومنهم فى الدور
الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون الحضور ويحضرون كل مايمكنهم اظهاره
من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف
والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم
فى النيل ويزعمون ان ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودى) وأما المقاييس
الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فانى سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون ان
يوسف النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه
وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بنى الفسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا
آخر بالصعيد أيضا ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجئ الاسلام ثم ورد الاسلام
وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا الى أن ولى عبد
العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التى تدعى جزيرة الصناعة وهى الجزيرة التى بين
الفسطاط والجيزة والمعبر عليها من الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو
بين الجانب الغربى من الفسطاط والجانب الشرقى وهذا المقياس الذى اتخذه اسامة بن
زيد التنوخى هو اكثرها استعمالا واتخذ ذلك فى أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو
المقياس الذى يعمل عليه فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالفسطاط
وقد كان من سلف يقيسون بالمقياس الذى بمنف ثم ترك استعماله وعمل على مقياس
الجزيرة المعمول فى أيام سليمان بن عبد الملك وفى هذه الجزيرة مقياس آخر لاحمد بن طولون
والعمل عليه عند كثرة الماء وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت أرض
مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبناء
قناطرها وتنقية خلجانها وكان بمصر سبع خلجانات فمنها خليج الاسكندرية وخليج سخا
وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج المنهى وكانت مصر
فيما يذكر أهل الخبرة اكثر البلاد جنانا وذلك ان جنانها كانت متصلة بحافتى النيل من أوله
الى آخره من حد أسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى

وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا وكان الذى ولى حفر خليج سردوس لفرعون عدو الله هامان فلما ابتدأ فى حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يجرى الخليج الى تحت قراهم ويعطوه على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى فرعون فلما وضعها بين يديه سأله عنها فاخبره بما فعل فقال انه ينبغى للسيد ان يعطف على عبيده و يفيض عليهم معروفه ولا يرغب فيما فى أيديهم ونحن أحق من فعل هذا بعبيده فاردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم ففعل ذلك هامان ورد على أهل كل قرية ما أخذ منهم فليس فى الخلجان التى بأرض مصر أكثر عطوفا وعزاقيل من خليج سردوس وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذى حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم وذلك ان الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه فى البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلى من أرض مصر وقد أخبر الله بذلك عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قال المسعودى) وقد تنازع أهل الملة فى تصرف المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف فى أوامرهم ونواهيهم ومنهم من رأى ان ذلك جائز على ما يوجبه أحوال الوقت والاصلح للعمال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وخلجانها من المرتفع والمطاطى ومطاطى المطاطى وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته ارضها بعد كونها اخربة ومصفاة لمياه الصعيد وهى جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها فقد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط فاغنى عن اعادته فى هذا الكتاب وكذلك فى تسمية الفيوم فيوما وان ذلك الف يوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط فى وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من اسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينقل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران الارض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا فى وجهه المسناة الا ان ذلك خفى على ساكنها الان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من اخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والامم التى تداولتها والملوك التى سكنتها من العرب وغيرها الا انا قد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من اخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من أمر الاسكندر فيها (قال المسعودى)

وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه فى سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالى بلاد مصر
من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته
والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل وانه
علامة بمصر وأرضها على برها وبحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر فى الارض
وتوسط الممالك وشاهد الامم من أنواع البيضان والسودان وانه ذو معرفة بهيئات الافلاك
والنجوم وأحكامها فبعث أحمد بن طولون برجل من قواده فى أصحابه فحمله فى النيل اليه
مكرما وكان قد انفرد عن الناس فى بنيان اتخذه وسكن فى أعلاه وقد رأى الرابع عشر من ولد
ولده فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون نظر الى رجل دلائل الهرم فيه بينة وشواهد ما أتى عليه
من الدهر ظاهرة والحواس سليمة والقضية قائمة والعقل صحيح يفهم عن مخاطبه ويحسن
البيان والجواب عن نفسه فاسكنه بعض مقاصيره ومهد له وحمل اليه لذيذ المآكل والمشارب
فأبى ان لا يتواطأ على شئ وان لا يتغذى الا بغذاء كان حمله معه من كعك وغيره وقال هذه
بنية قوامها عاترون من هذا الغذاء وهذا الملبس فان أنتم سمتموها النقلة عن هذه العادة
وتناول ما أوردتموه عليها من المآكل والمشارب والملابس كان ذلك سبب انحلال هذه
البنية وتفريق هذه الصورة فترك على ما كان عليه وما جرت به عادته وأحضر له أحمد بن
طولون من حضره من أهل الديار وصرف همته عليه واخلى نفسه له فى ليال وايام كثيرة يسمع
كلامه وايراداته وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط
فقال كانت ارضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وثراوة وكانت جنانا ونخلا
وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير
الناس بلدا أحسن من هذه الارض ولا أحسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر
كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة
وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤا
وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد
كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق
مسلوكة الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة
وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش فى البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين أرض
الروم وقد كان بين الاندلس فى الموضع الذى يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب
وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تمر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب من بلاد
الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صغار تجرى تحت
قناطرها وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم وقد عقد من كل جانب حجرا الى حجر طاق
وهو مبدأ بحر الروم الآخذ من أوقيانوس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه
ويعلو أرضا فارضا فى طول على ممر السنين يرى زيادته أهل كل زمان ويتبينه أهل كل عصر
ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التى
كانت بين الاندلس وبر طنجة وما وصفت فبين ظاهر عند أهل الاندلس وأهل فاس من

بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة وربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه
القنطرة وكان طولها نحو اثني عشر ميلا وعرض واسع وعمق بين فلما مضت لدقلطيانوس
من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى
اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من
القرى التي في قرارها غرق وأما التي كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسمود
وغير ذلك مما هي باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة
ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبونهم واحدا فوق واحد وهي الاكوام الثلاثة التي تسمى
أبو الكوم وكان استحكام غرق هذه الارض باجمعها وقد مضى لدقلطيانوس الملك مائتان
واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من ملوك الامم
كانت داره اليوم مع اركون من اركان البلينا وما اتصل بها من الارض خروق وخنادق
وخلجانات فتحت من النيل الى البحر يمنع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب
الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم
فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من
الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النارية فيها تغيرت الفضة
ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها ونار يتها فتحولت ذهبا وقد يطبخ الذهب الذي يؤتى
به من المعدن خالصا صفائح بالملح والزجاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع
هذا الامر الا من لا معرفة له بما وصفنا ولا قارب شيأ مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل
في أعاليه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو الارض التي الليل والنهار فيها
متساويان طول الدهر وهي تحت الموضع الذي تسميه المنجمون الفلك المستقيم وما ذكرت
فمعروف غير منكر وسئل عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات
وضع في حوض حجارة و يسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر
ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان
والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له
طريق في الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع وأكثر ولكل
هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام
المملسة وعلى أي شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أي شئ كانوا يحملون هذه الحجارة
العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على ان يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال
كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراقي كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى
أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة فقيل له ما بال
هذه الكتابة التي على الاهرام والبرابي لا تقرأ فقال دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا
قلمهم وتداول أرض مصر الامم فغلب على أهلها القلم الرومي كاشكال أحرف القبط والروم
باحرفهما على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الرومي والقبطي الاول فذهب عنهم كتابة
آبائهم فقيل له فمن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر بن حام

ابن نوح ومصر في انساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم في الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم في الجبل الشرقي من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يجلون ما عملوا بالرمل بعد النقر فمنها العمد والقواعد والرؤس التي تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التي بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت في جبل اسوان أخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل عن مدينة العقاب فقال هي غربي اهرام بوصير الجيزة وهي على خمسة أيام بلياليها للراكب الجد وقد عورت طريقها وعميت المسالك اليها والسمت الذي يؤدي نحوها وذكر ما فيها من عجائب البنيان والجواهر والاموال والعلة التي لها سميت مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غربي اخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة وذكر من شأن هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها وبين اخميم من أرض الصعيد مسيرة ستة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم يستعبد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسي عربيه وعنهم أخذ الرمي أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن وللنوبة اترج كاكبر ما يكون بأرض الاسلام وملوكهم تزعم انها من حمير وملكهم يستولي على مقرا ونوبة وعلوة ووراء علوة امة عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفي مملكة هذه الامة يفترق النيل فيتشعب منه خليج عظيم ثم يخضر الخليج من بعد انفصاله من النيل ويحدر الاكثر الى بلاد النوبة وهو لا يتغير فاذا كان في بعض الازمنة انفصل الاكثر من الماء في ذلك الخليج وابيض الاكثر واخضر الاقل فيشق ذلك الخليج أودية وخلجان واعماق مانوسة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك ساحل الزنج ومصبه في بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون فذكر كلاما طويلا في أمر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلوا الفيوم وكانوا البدء في عمارتها وعمارة أرضها وانما كان الماء يأتي الفيوم من المنهى ايام جرى النيل ولم يكن حجر اللاهون بني وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بني اللاهون على ما هو اليوم عليه ويقال ان يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم عليهم السلام بناه ايام العزيز ودبر من أمر الفيوم ما هو اليوم قائم بين من الخلج المرتفعة المطاطئة وهو خليج فوق خليج فوق خليج وهي القنطرة المعروفة بسقونه وأما العمود الذي في وسط الفيوم وهو غايص في الارض لا يدرك منتهاه منها وهو أحد عجائب الدنيا من نوع الشكل قد جهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى آخره في الارض حفرا فلم يتأت لهم ذلك وغلبهم الماء فعجزهم ورأس هذا العمود مساو لارض المنهى قال وأما حجر اللاهون فان من سطح الحجر الذي فيما بين الفرش الى ناحية اللاهون

واللاهون هى القرية بعينها ففيها من السطح الى القرية ستون ذراعا وربما قل الماء فى المنها
وظهر بعض الدرج وفى حائط الحجر فوّارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى
وفيما بين سطح الحجر الذى ما بين القبتين وبين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما
يدخل الماء الفيوم بدرب الحجر وجعلت الاسقالة وهى القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء
الحجر أيام سده فبالتقدير بناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء
حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذى يبقى على وجه الارض
لا يتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة اتقن وفى السعود نصب وقد ذكر كثير من أهل
بلدنا ان يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى والله أعلم ولم تزل ملوك الارض اذا غلبت
على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا الموضع فتأملته لما قد نمى اليها من اخباره
وسار فى الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من اقباط مصر ممن
يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية فأمر أحمد بن طولون فى بعض الايام وقد أحضر
مجلسه بعض أهل النظر أن يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية فسأله عن ذلك فقال
دليلى على صحتها وجودى اياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها
وتضادها لا نظر يقويها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها
ورأيت مع ذلك أمما كثيرة وملوكا عظيمة ذوى معرفة وحس قد انقادوا اليها وتدينوا بها
فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بها مع ما ذكرت من تناقضها فى العقل الا لدلائل شاهدوها
وآيات علموها ومعجزات عرفوها اوجبت انقيادهم اليها والتدين بها قال له السائل وما
التضاد الذى فيها قال وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد
ووصفهم الاقانيم والجوهر وهو الثالوث وهل الاقانيم فى أنفسها قادرة عالمة أم لا وفى اتحاد
ربهم القديم بالانسان المحدث وما جرى فى ولادته وقتله وصلبه وهل فى التشنيع أكثر وأفحش
من الصلب وبصق فى وجهه ووضع على رأسه الاكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب
وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنباه وطلب الماء فسقى الخل فى بطيخ الحنظل فامسكوا
عن مناظرته وانقطعوا عن مجادلته لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنه فقال
طبيب لابن طولون يهودى قد حضر المجلس أياذن لى الامير فى مخاطبته قال شأنك فاقبل
على القبطى مسائلا له فقال له القبطى وما أنت أيها الرجل وما نحلتك قال له يهودى فقال
له مجوسى اذا قال له كيف ذلك وهو يهودى قال لانهم يرون نكاح البنات فى بعض
الحالات اذ كان فى دينهم ان الاخ يتزوج بنت أخيه وعليهم ان يتزوجوا نساء اخوتهم
اذا ماتوا فاذا وافق اليهودى أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من ان يتزوجها وهذا
من أسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل فى المجوسية اشنع من هذا فانكر اليهودى ذلك
وجحد أن يكون فى دينه أو يعرفه أحد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد
الطبيب اليهودى قد تزوج امرأة أخيه وكانت بنته ثم أقبل القبطى على ابن طولون فقال
أيها الامير هؤلاء يزعمون وأشار الى اليهودى ان الله خلق آدم على صورته وعن نبى من
أنبيائهم سماه قال فى كتابه انه رآه فى قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال انى انا

النار المحرقة والحى الآخذة وأنا الذى آخذ الابناء بذنوب الآباء ثم فى توراتهم ان بنات لوط سقينه الخمر حتى سكر وزنى بهن وحملن منه وولدن وان موسى ردّ على الله الرسالة مرتين حتى اشتدّ غضب الله عليه وأن هارون صنع العجل الذى عبده بنو اسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا فى ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لا تنسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق فى قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الاول ان الرب الصغير ويسمونه ميططرون يقوم فى هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول ويلى اذا خربت بيتى وأيتمت بنىّ قامتى منكسة لا أرفعها حتى آتى بنىّ وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ومناقضات واسعة ولهذا القبطى مجالس كثيرة عن أحمد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة والرصانية والثنوية والصابئة والمجوس وعدة من متكلمى الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراده فى كتابنا فى اخبار الزمان وذكرنا جميع ذلك فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وكان هذا القبطى على ما نمى الينا من خبره وصح عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب وأقام عند ابن طولون نحو سنة فاجازه وأعطاه فأبى قبول شئ من ذلك فردّه الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما فى البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت فى شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وأنها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته والفرس الذى يكون فى نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفى ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والفلاة لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من الماء فى الليل فينتهى الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرعى فى حال رجوعه من الموضع الذى انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك شئ فى ممره كانه يحدد مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت ووردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما فى اجوافها فى مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرح له الترمس فى الموضع الذى يعرف خروجه منه مكاكى كثيرة مبددا منبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فيربو فى جوفه ويزداد فى انتفاخه فينشق جوفه فيموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذى يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره والذنب بخلاف ذلك والجبهة أوسع (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة من

الشرعيين

الشرعيين ان بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر وكان له أولاد أربعة مصر بن بيصر وقوف بن بيصر وساح وباح فنزل بموضع يقال له منف وبذلك يسمى الى وقتنا هذا وكان عددهم ثلاثين فسميت بهم كما سميت مدينة ثمانين من أرض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان وانما نسبت الى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح في السفينة وكان بيصر بن حام قد كبر سنه فاوصى الى الاكبر من ولده وهو مصر واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جملتهم وأخصبت البلاد فملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من أرض الصعيد طولا ومن ايلة وهي تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة ارباعا وعهد الى الاكبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون في النسب الى أبيهم قبط بن مصر وأضيفت المواضع الى ساكنيها وعرفت باسمائهم فمنها اشمون وقبط وصا واتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم في انسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح الى هذه الغاية ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده اشمون بن مصر (ثم ملك بعده) صا بن مصر وملك بعده اتريب بن مصر (ثم ملك بعده) ماليق بن دارس (ثم ملك بعده) حرايا بن ماليق (ثم ملك بعده) كالي بن حرايا وأقام في الملك نحوا من مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ له يقال له باليا ابن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس بن باليا نحوا من سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حوريا بنت لوطيس نحوا من ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة أخرى يقال لها ماموم وكثر ولد بيصر بن حام بارض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى ان هلك (ثم ملك بعده) الريان بن الوليد العملاقي وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقي (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقي (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى انه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشام ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر بن بيصر وكان يعرف بظلما وقد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين خرج في طلب بني اسرائيل حين أخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا في البحر يبسا ولما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من بقي بارض مصر من الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأي وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاد مصر حائطا يحيط بجميع البلاد وجعلت عليه

المحارس والاجراس والرجال متصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض وأثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادى فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل فى ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابى والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت ما يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنبات والحيوان من الحادية والبادية وجعلت ذلك فى أوقات حركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى فى البرابى من الابل وغيرها فيتعور ما فى ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ما ورد من جيوش الغرب وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها لزوم اقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص وأسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها أنواع الصور بما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له ووضعت من أجله على حسب قواهم فى الطباع التام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وأخبرنى غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبى الفيض ذى النون ابن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكان له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ عن اخبار هذه البرابى ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم انه رأى فى آخره كتابة وتبينها فى ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعل ما يريد

وكانت هذه الامة التى اتخذت هذه البرابى لهجة بالنظر فى احكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه احكام النجوم ان طوفانا سيكون فى الارض ولم يقطع بان ذلك الطوفان ما هو أنار تأتى على الارض فتحرق ما عليها أو ماء فيغرقها أو سيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها فاتخذت هذه البرابى واحدها بربى ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجرا

وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى من الطين
وانحرق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما بنى بالطين وبقى ما بنى
بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين ما هو بالطين وما هو بالحجر وهذا ما قيل والله
أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف
وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها وملك ينزل عليها فأباد اهلها ومصداق
ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى
كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم وما يوجد ببلاد
مصر وصعيدها من الناس المكبين بعضهم على بعض فى كهوف وغيران ونواويس
ومواضع كثيرة من الارض لا يدرى من أى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من
اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ
عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد فى تلك الروابى والجبال من حليهم والبرابى ببلاد
مصر بنيان قائم عجيب كالبربا المتخذة بأنصنا من صعيد مصر وهو أحد الموصوفين منها والبربا
التى ببلاد اخميم والبربا التى ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب
عليها أنواع من الكتابات بأقلام الامم السالفة والممالك الداثرة لا يدرى ما تلك الكتابة
ولا ما المراد بها وقد قال من عنى بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها فى الجو نحو من
أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعداء دق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم
ما ذكرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا
بنيناها فمن يدعى موازاتنا فى الملك وبلوغنا فى القدرة وانتهاءنا من السلطان فليهدمها وليزل
رسمها فان الهدم ايسر من البناء والتفريق أيسر من التأليف وقد ذكر ان بعض ملوك
الاسلام شرع فى هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيرها لا يفى بقلعها وهى من الحجر والرخام
والغرض فى كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها الا عن تفصيلها وبسطها وقد
أتينا على سائر ما شاهدناه حسا فى مطافات الارض والممالك وما نمى الينا خبره من الخواص
وأسرار الحيوان والنبات والجماد فى عجائب البلدان والآثار والبقاع فى كتابنا المترجم
بكتاب القضايا والتجارب ولا تمانع بين ذوى الفهم ان فى مواضع من الارض مدنا وقرى
لا يدخلها عقرب ولا حية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد
انطاكية اذا أخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق
على يده من ذلك شئ الى ان كسر عمود من الرخام فى بعض المواضع بها فاصيب فى أعلاه حق
من نحاس فى داخله بق مصور من نحاس نحو كف فما مضت أيام أو على الفور من ذلك حتى
صار البق فى وقتنا هذا يعم الاكثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد
رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شئ ويدنى منها حجر المغناطيس فيحدث
فيها حركة تباعد منه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله فى الحديد واذا غسل
بشئ من الخل أو ناله شئ من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وللمغناطيس
فى الحديد خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالحجر الماص للدم والله عز وجل قد استأثر بعلم الاشياء

وأظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر
بعلمها لم يظهرها لخلقه فلا تقف العقول على كنهها وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها معنى
هو غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر
الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلى عند الطبخ والسبك لذلك وكذلك لو جمع
بين ماء القلى وماء المرتك وهو المرداسنج خرج الحادث من مزاجهما كالزبد بياضا واذا
مزج ماء القلى بماء الزاج خرج من مزاجهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا فى النتاج بين الفرس
الانثى والحمار فيحدث بغلا ولو نتج دابة على اتان لخرج منها بغل افطس ذو خبث ودهاء يسمى
الكودن وقد ذكرنا النتاج الذى كان بصعيد مصر مما يلى الحبشة وما كان ينتج من الثيران
على الاتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التى ليست بحمير
ولا بقر كالبغل الذى ليس بدابة ولا حمار وقد ذكر بشاذ ضروب التوليدات فى أنواع الحيوان
والنبات من تطعيمهم الغروس والاشجار وما تولد من الطعوم فى المذاق فى كتابنا المترجم
بكتاب القضايا والتجارب فى أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الاشياء
ومعرفتها والطلسمات وعجائبها وهو باب كبير فى ذكر بعضه نيابة عن بعض والجزء منه
يوهمك الكل واليسير منه يدلك على الكثير ويمكن والله أعلم ان تكون هذه الخواص
والطلسمات والاشياء المحدثة فى العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة
والجاذبة والفاعلة فى الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب كانت دلالة لبعض الانبياء
فى الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبى دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتمييزه من
غيره ليؤدى عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلقه فى ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك
الشىء وبقيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا فى أيدى الناس وأصل ذلك الهى كما
وصفنا اذ كان ما ذكرنا مما كان غير واجب ولا ممتنع فى القدرة (قال المسعودى) فنرجع
الى ما كنا فيه من اخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز دركوش بن
ملوطس (ثم ملك بعده) نورس بن دركوش (ثم ملك بعده) لعس بن نورس نحوا من
خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسا بن نورس نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده)
ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكاكيل وكانت له حروب ومسير فى الارض
وهو فرعون الاعرج الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس (ثم ملك بعده) مرينوس
وكانت له حروب كثيرة بالمغرب (ثم ملك بعده) نقاس بن مرينوس ثمانين سنة (ثم ملك
بعده) قومس بن نقاس عشر سنين (ثم ملك بعده) كامل وكانت له حروب مع ملوك
المغرب وغزاه البخت ناصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب أرضه وقتل رجاله
وسار البخت ناصر نحو المغرب وقد أتينا على اخباره فى كتاب راحة الارواح لان هذا
الكتاب رسمناه باخبار وسير الملوك للارض واخبار مقاتلتهم دون ما ذكرنا فى كتابنا فى اخبار
الزمان ولما زال أمر البخت ناصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت
عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى ان ملك كسرى انوشروان فغلبت جيوشه على
الشام وسارت نحو مصر فملكوها وغلبوا على أهلها نحوا من عشر بن سنة وكانت بين الروم

وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشام لامر حدث فى دار مملكتهم نغلب الروم على مصر والشام وأشهروا النصرانية فشمل ذلك من بالشام ومصر الى ان أتى الله بالاسلام وكان من أمر المقوقس صاحب القبط مع النبى صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان الى ان افتتحها عمرو بن العاص ومن كان معه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهو قصبة مصر فى هذا الوقت وكان ملك مصر وهو المقوقس صاحب القبط ينزل اسكندرية فى بعض فصول السنة وفى بعضها مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة الفسطاط ولعمرو بن العاص فى فتح مصر اخبار وما كان بينه وبين المقوقس وفتحه لقصر الشمع وغير ذلك من اخبار مصر والاسكندرية وما كان من حروب المسلمين فى ذلك ودخول عمرو بن العاص الى مصر والاسكندرية فى الجاهلية وما كان من خبره مع الراهب والكرة الذهب التى كانوا يظهرونها للناس فى اعيادهم ووقوعها فى حجر عمرو بن العاص وذلك قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى اخبار الزمان والكتاب الاوسط (قال المسعودى) والذى اتفقت عليه أهل التواريخ مع تباين مافيها أن عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ومن ملوك بابل وهم العماليق الذين ظهروا اليها من بلاد الشام أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام وملكها ناس من الفرس من قبل الاكاسرة وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة وثلثمائة سنة (قال المسعودى) وسألت جماعة من اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبرونى عن معنى ذلك ولا تحصل لى فى لغتهم فيمكن والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة للملوك تلك الاعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهى الفارسية الاولى الى الفارسية الثانية وكاليونانية الى الرومية وتغير الحميرية وغير ذلك من اللغات ولمصر اخبار عجيبة من الدفائن وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن جميع اخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك بن مروان فاتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر الى قلع باب من الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة الوف من الدنانير لاجرة من يحفر من الرجال فى ذلك ويعمل فيه وكان هناك تل عظيم فاحتفروا حفيرة عظيمة فى الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك واوسع فى النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا فى حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق

عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه
ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع من الاحجار
والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص
من أنواع الصور والذهب وأجربة من الاحجار قد اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقيد ذلك
بأعمدة الذهب فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من
ذلك فاسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس تنتهي الى ما هنالك فلما
استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها
فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض
الدرج اهتز العمود وصفر الديك تصفيرا عجيبا سمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه
فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا ما وقع على بعض تلك
الدرج شيء أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفيرة وكان فيها من يحفر
ويعمل وينقل التراب وينصر ويحرك ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع
عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من
الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا
لهم (قال المسعودي) وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اغرى بحفر
الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر
وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من
بعض الاهرام المقدم ذكرها بان فيه مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فاذن
لهم في حفره وأباحهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى
ازج واقباء وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من انواع الخشب
قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ
وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد
ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا في أجوافها رمما بالية
وأجساما فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابي وغيرها من الآلات
من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في تمثال
الخشب وما بقي من الطلاء متروك في ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة
لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من الانواع
التي للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف
اسنانهم ومقادير اعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر
المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور عليها
أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل وزعم قوم من ذوي الدراية
منهم ان لذلك القلم من حين فقد من الارض اعني أرض مصر أربعة آلاف سنة وفيما
ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا بنصارى ولم يؤدهم الحفر الا الى ما ذكرنا

من

من هذه التماثيل وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة أخبار عجيبة فيما استخرج فى أيامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما أصيب فى هذه المطالب من القبور والخزائن وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب

ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد) أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت ان ابنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فأصابنى ما اعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تأخذ منك ما تعطى وتسترجع ما تولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقيه واقريطش وأقاصى بحر الروم مما يلى مصبه بحر أوقيانوس وحمل اليه أيضا من جزيرة رودس وهى جزيرة مقابلة للاسكندرية على ليلة منها فى البحر وهى أول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة دار صناعة الروم وبها تنشأ المراكب الحربية وفيها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبى وأمر الاسكندر الفعلة والصناع ان يدوروا بما رسم لهم من اساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان امام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا على ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر ان يجعل ذلك فى وقت يختاره ذى طالع سعيد فخفق الاسكندر برأسه واخذته سنة فى حال ارتقابه الوقت المحمود المأخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذى فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية وحيل حكمية فلما رأى الصناع

تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج
بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فعجب وقال
أردت أمرا وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها
وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما احكم بنيانها وثبت اساسها وجن الليل
عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين أصبح
هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل
البناء يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد
خرب البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى فأقبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة
يوقع في دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور
واصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض
خمس وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد أمسك
ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول الماء الى التابوت
وقد جعل فيها مواضع للحبال ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان معه من كتابه ممن له علم
باتقان التصوير ومبالغة فيه وأمر أن تسد عليهم الابواب وان يطلى بما ذكرنا من
الاطلية وأمر فأتي بمركبين عظيمين فأخرجا الى لجة البحر وعلق على التابوت من أسفله
مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلا اذ كان من شأنه لما
فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب في سفله وجعل التابوت الى المركبين وطول
حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك
الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا هم بشياطين على مثال الناس رؤسهم على مثال
رؤس السباع وفي أيدي بعضهم الفؤوس وفي أيدي بعض المناشير والمقامع يحاكون
بذلك صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء فأثبت الاسكندر ومن معه تلك
الصور وأحكموها بالتصوير في القراطيس على اختلاف أنواعها وتشوه خلقهم وقدودهم
وأشكالهم ثم حرك الحبال فلما أحس بذلك من في المركبين جذبوا الحبال وأخرجوا
التابوت فلما خرج الاسكندر من التابوت وساروا الى مدينة الاسكندرية أمر صناع
الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوره الاسكندر وصاحباه
فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت تلك
الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت الى البحر
ولم تعد بعد ذلك ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت أمر الاسكندر ان يكتب على أبوابها هذه
الاسكندرية أردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات
في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السموات والارض ومفني الامم ان نبنيها كذلك
فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت سورها وآتاني الله من كل شيء علما وحكما وسهل لي وجوه
الاسباب فلم يتعذر علي في العالم شيء مما أردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفا من الله
عز وجل وصنعا لي وصلاحا لي ولعباده من أهل عصري والحمد لله رب العالمين لا اله الا الله

زب كل شئ ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده
فى مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤول اليه الى وقت دثور العالم
وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها اقناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس
وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الازاج والقناطر التى تحت المدينة وقد عمل لتلك
العقود والازاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضىء
بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها
لئلا يصيب أهلها شئ من المطر وقد كان عليها سبعة اسوار من أنواع الحجارة المختلفة الوانها
بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر
لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها
كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف
بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ
الطلسمات على أعمدة هنالك تدعى المسال وهى باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه
الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل
تحتها صورا واشكالا وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا
العالم وعند أصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض
أخرى فى مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتى فى هذا العالم فعل الطلسمات النافعة
المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى
الكتب فى هذا المعنى ولهم فى ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعا له ولغيرهم
من ذهب الى أن ذلك للطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس وما ذكرنا من درج
الفلك موجود فى كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين كأبى معشر البلخى والخوارزمى
ومحمد بن كثير الفرغانى وماشاء الله وحسن والبزيدى ومحمد بن جابر البتانى فى زيجه الكبير
وثابت بن قرة وغير هؤلاء ممن تكلم فى علوم هيآت الفلك والنجوم (قال المسعودى) فأما
منارة الاسكندرية فيذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى باخبار بلدهم الى أن
الاسكندر بن فيلبس المقدونى هو الذى بناها على حسب ما قدمنا فى بناء المدينة ومنهم من
رأى أن دلوكة الملكة هى التى بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومنهم من رأى
أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا
الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها
والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته بالاستيلاء على الاكثر
من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر
لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى
جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف
البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل
من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت

من الفلك واذا علت في الفلك فاصبعه مشيرة نحوها فاذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور
معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا
دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين او ثلاثة
فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل
والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب وقد كان
ملك الروم في مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان انفذ خادما من خواص خدمه ذا رأي
ودهاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد
فاخبره أنه من خواص الملك وأنه أراد قتله بموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل
وانه استوحش منه ورغب في الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه وتنصح
اليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها
صفات تلك الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم
طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد
عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك أن الاسكندر احتوى
على الاموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام فبنى
بها الازاج تحت الارض وقنطر لها الاقباء والقناطر والسراديب واودعها تلك الذخائر
من العين والورق والجواهر وبنى فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع
والمرآة على علوها والديادبة جلوس حولها فاذا نظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرآة
صوتوا بمن قرب منهم ونصبوا ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد
فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم
نصف المنارة من أعلاها وازيلت المرآة فضج الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا
أنها مكيدة وحيلة في أمرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينمى الى الوليد
وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان قد أعده وواطأ قوما على ذلك
من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وكان حوالي منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ
منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر منه الكركهن والادرك والاسباذجشم ويقال ان
ذلك من الآلات التي كان اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها أمه ورمت بها في تلك
المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجوهر وغرقه حول
المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر
في معدنه برا كان او بحرا فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معمورا والاكثر مما
يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاسباذجشم وقد رأيت كثيرا من
أصحاب التلويحات ومن عني باعمال الجواهر المشبهة بالمعدنية يعمل هذه الجواهر المعروفة
بالاسباذجشم ويتخذ منه النصول وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بالباقلون هي ترى
ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون في المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون

من ذلك على حسب الجوهر في صفائه واختلاف نظر البصر في ادراكه وتلوّن هذا النوع
من الجوهر اعني الباقلمون نحو تلوّن ريش صدور الطواويس فانها تتلوّن ألوانا مختلفة
اذنابها واجنحتها أعني الذكور دون الاناث وقد رأيت منها بأرض الهند ألوانا تظهر بحس
البصر عند تأملها لا تدرك ولا تحصى ولا تشبه بلون من الالوان لما يتراءى من تموّج الالوان
في ريشها ويأتي ذلك منها لعظم خلقتها وكبر أجسامها وسعة ريشها الان للطواويس بأرض
الهند شأنا عجيبا والذي يحمل منها الى أرض الاسلام ويخرج عن أرض الهند فيبيض
ويفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لا تخطف أنوار الابصار بادراكها وانما
تشبه بالهندية بالشبه اليسير هذا في الذكور منها دون الاناث وذلك نحو النارنج والاترج
المدوّر حمل من أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة
والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وانطاكية
وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية
الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية
البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة في أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر
كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة
ترى من يرد في البحر من عدوهم الان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا بالدخول
والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممارقها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة
المقتدر في جيش صاحب المغرب ودخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتاهوا فيها وفيها
طرق تؤول الى مهاو تهوي الى السرطان الزجاج وفيها مخارق الى البحر فتهوّروا بدوابهم
وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهوّرهم كان في كرسي بها قدامها وفيها مسجد
في هذا الوقت يرابط فيه في الصيف مطوّعة المصريين وغيرهم ولبلاد مصر والاسكندرية
وبلاد الاندلس ورومية ومافي الشرق واليمن والمغرب أخبار كثيرة في عجائب البلدان
والابنية والاثار وخواص البقاع وما يؤثر في ساكنيها وقطانها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا
قد أتينا على الاخبار منها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم من دوابه وبرّه وبحره فأغنى
ذلك عن اعادة ذكره ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهياكل
المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما يليق بمعناها بل نذكرها في الموضع المستحق بها
من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

ذكر السودان وأنسابهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم وتباينهم في ديارهم وأخبار ملوكهم

(قال المسعودي) لما تفرق ولد نوح في الارض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى
قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجه
والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والغافو ومرتك وكوكو
والجي وغانة وغير ذلك من أنواع الاحابش والدمادم ثم افترق الذين مضوا بين المشرق
والمغرب فصارت الزنج من المكير والمسكون وبربرا وغيرهم من أنواع الزنج وقد قدّمنا فيما

سلف عند ذكرنا للبحر الحبشي والخليج البربري وما عليه من أنواع السودان واتصالهم
في ديارهم الى بلاد الدهلك والزيلع وناصع وهؤلاء القوم هم أصحاب جلود النمور والجبر وهي
لباسهم ومن أرضهم تحمل الى بلاد الاسلام وهي اكبر ما يكون من جلود النمورة وأحسنها
للسروج وبحر الزنج والاحابش هو عن يمين بحر الهند وان كانت مياههما متصلة ومن أرضهم
يحمل الذبل من ظهور السلاحف وهو الذي يتخذ منه الامشاط كالقرن وا كثر ما تكون
الدابة المعروفة بالزرافة في أرضهم وان كانت عامة الوجود في أرض النوبة دون سائر بلاد
الاحابش وقد تنوزع في نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة فمنهم من رأى ان بدء
نتاجها من الابل ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الابل والزرافة وأن النمور ظهرت
من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر وأن ليس
سبيلها كسبيل البغال المولدة من الخيل والحمير وتدعى الزرافة بالفارسية اشترا كاو وقد
كانت تهدى الى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء
بني العباس وولاة مصر وهي دابة طويلة اليدين والرقبة قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها وانما
الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها
وأن في أعالي بلاد النوبة يجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى شرائع
المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفون
في الصور والاشكال منها الزرافة ذات الأظلاف وهي دابة منحنية الى خلفها مصبوبة
الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا
في بدء نتاجها وأن النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وان الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم
وان ذلك لاتساع أرحام القلاص العربية لحوايج الزمان وغيرها من ابل خراسان فيظهر
بينهما ويتولد عنهما الجمال البخت والجمازات ولا ينتج بين بختي وبختية وانما يصح هذا النوع
من الابل بين نواتج الابل وهي ذات السنامين وبين قلاص الابل وهي النوق العربية
وكنتاج البخت بين الجماوية والمهرية وللزرافة أخبار كثيرة وقد ذكر ذلك صاحب المنطق
في كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من أعضاء سائر الحيوان وقد أتينا على جميع
ما يحتاج اليه من ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل في الفها
وتوددها الى أهلها وهي كالفيلة منها وحشية ومنها مستأنسة أهلية مع من قدمنا ذكره
من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين صاروا عن يمين النيل ولحقوا بأسافل البحر الحبشي
وقطعت الزنج دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب الى بحر
الزنج فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج
واليه تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في بحر الزنج كما ان أقاصي
بحر الصين متصل ببلاد السيلى وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصي
بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب
خصيبة حارة واتخذت الزنج دار مملكة وملكوا عليهم ملكا سموه لوقليمي وهي سمة لسائر
ملوكهم في سائر الاعصار على ما قدمنا آنفا ويركب لوقليمي وهو ملك ملوك سائر الزنوج

في ثلثمائة ألف فارس ودوابهم البقر وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها
وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ولا غيرهم من الاحابش ومنهم أجناس محددة الاسنان
يأكل بعضهم بعضا ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة
والواق واق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم في الطول والعرض نحو سبعمائة
فرسخ اودية وجبال ورمال والفيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستأنسة
والزنج لا تستعمل منها شيئا في حروب ولا غيرها بل تقتلها وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من
ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم في الماء ويختفي رجال الزنج فترد الفيلة لشربها
فاذا وردت وشربت من ذلك الماء اسكرها فتقع ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب
ما قدمنا فيخرجون اليها باعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لاخذ انيابها فمن أرضهم تجهز
انياب الفيلة في كل ناب منها خمسون ومائة من بل أكثر من ذلك والاثنان منها ثلثمائة من
وأكثر من ذلك فيجهز الاكثر منها من بلاد عمان الى أرض الصين والهند وذلك انها تحمل
من بلاد الزنج الى عمان ومن عمان الى حيث ذكرنا ولولا ذلك لكان العاج بأرض الاسلام
كثيرا وأهل الصين يتخذ ملوكها وقوادها وأراكنها الاعمدة من العاج ولا يدخل
قوادها ولا أحد من خواصها على ملوكها بشيء من الحديد بل بتلك الاعمدة المتخذة
من العاج ورغبتهم فيما استقام من انياب الفيلة ولم يتقوس لاتخاذ الاعمدة منها على ما ذكرنا
ويستعمل العاج في دخن بيوت أصنامها وامجرة هياكلها كاستعمال النصارى في
الكنائس الدخنة المعروفة بدخنة مريم وغيرها من الابخرة وأهل الصين لا يتخذون الفيلة
في أرضهم ويتطيرون من اقتنائها عندهم والحرب عليها لخبر كان لهم في قديم الزمان في بعض
حروبهم والهند كثيرة الاستعمال لما تجهز اليهم من العاج في نصب الخناجر وهي الحرازي
واحدها حرزي وفي قوائم سيوفها وهي القراطل واحدها قرطل وهي سيوف معوجة
والاغلب في استعمال الهند العاج اتخاذها منه الشطرنج والنرد والشطرنج ذو صور
واشكال على صور الحيوان من الناطقين وغيرهم كل قطعة من الشطرنج كالشبر في عرض
ذلك كالاكبر الى الاكبر فاذا لعبوا بها فانما يقوم الواحد قائما فينقلها في بيوتها والاغلب
عليهم في لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر وربما أنفذ الى أحد منهم ما معه
فيلعب في قطع أعضاء من جسمه وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس صغيرة على نار
فحم فيها دهن لهم أحمر فيغلي ذلك الدهن المدمل للجراح والماسك لسيلان الدم فاذا لعب
في أصبع من أصابعه وقطعها بتلك الخنجر وهو مثل النار ثم غمس يده في ذلك الدهن
وكواها ثم عاد الى لعبه فاذا توجه عليه اللعب أبان أصبعا ثانية وربما توجه عليه اللعب في قطع
أعضائه كلها من الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل
فيه الكي بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من اخلاط وعقاقير بأرض الهند عجيب
المعنى لما ذكرنا وما ذكرناه عنهم فمستفيض من فعلهم والهند تتخذ الفيلة في بلادها وتتناتج
في أرضها ليس فيها وحشية وانما هي حربية ومستعملة كاستعمال البقر والابل
وأكثرها يأوي الى المروج والضياع والغياض كالجواميس في أرض الاسلام والفيلة تهرب

من المكان الذي يكون فيه الكركدن على حسب ما قدمنا فلا ترعى في موضع يشم فيه رائحة الكركدن ويعمر الفيل بأرض الهند نحوا من أربعمائة سنة كذلك يذكر الزنج لانها تعرف في ديارها ومفاوزها والفيل العظيم مما يأتي فيها قتله ومنها الاسود والابيض والابلق والاغبر وفي أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين ويضع حمله في كل سبع سنين ولها بأرض الهند آفة عظيمة من نوع من الحيوان يعرف بالزبرقان وهي دابة أصغر من الفهد أحمر ذو زغب وعينين براقتين عجيبة سريعة الوثبة يبلغ في وثبته الثلاثين والاربعين والخمسين ذراعا وأكثر من ذلك فاذا أشرف على الفيل ورشش عليه بوله بذنبه فيحرقها وربما لحق الانسان فأتى عليه وفي الهند من اذا أشرفت عليه هذه الدابة تعلق بأكبر ما يكون من الساج وهي أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز تكن الشجرة منها الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما تحمل الى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج في طوله فاذا تعلق الانسان بأعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن ادراكه لصق بالارض ووثب الى أعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان في وثبته رشش من بوله الى اعلى الشجرة والاوضع رأسه في الارض وصاح صياحا عجيبا فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته وأي موضع من الشجر سقط عليه بوله احرقه وان أصاب الانسان شيء من بوله أتلفه وكذلك سائر الحيوان وملوك الهند تتخذ في خزائنها مرارة هذه الدابة ومذاكيره ومواضع من أعضائه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ومذاكير هذه الدابة كمذاكير كلب الماء الذي يخرج منه الجند بادستر وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة وغيرهم وهو اسم فارسي معرب وانما هو كند وتفسير ذلك الخصية فعرب فقيل جند بادستر والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزبرقان لا تأوي الى موضع يكون فيه النوشان وهو الكركدن وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضا والفيل يهرب من السنانير وهي القطاط ولا يقف لها البتة اذا ابصرها وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت توقي الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها ومراعاة حيل الاعداء عند الحرب بتخلية السنانير عليها وكذلك أفعال ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكر أن الخنازير ربما تهرب منها الفيلة وقد كان رجل بالمولتان من أرض السند يدعى هارون بن موسى مولى الازد كان شاعرا شجاعا ذا رياسة في قومه ومنعة بأرض السند مما يلي أرض المولتان وكان في حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة فبرز هرون بن موسى امام الصف وقصد لعظيم الفيلة وقد خبأ تحت ثوبه سنورا فلما دنا في حملته من الفيل خلى القط عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بذلك الهر وكان ذلك سبب هزيمة الجيش وقتل الملك وغلبت المسلمون عليهم ولهرون ابن موسى قصيدة يصف فيها ما ذكرناه وهي

أليس عجيبا بأن تلقه * له فطن الاسد في جرم فيل
واطرف من قشه زوله * بحلم يجل عن الخشليل
أليس عجيبا بأن بلعما * غليظ الدرائك لطيف الخوايل

وأوقص مختلف خلقه * طويل النيوب قصير النصيل
ويخضع لليث ليث العرين * بان ناشب الهرمن رأس ميل
ويلقى العدو بناب عظيم * وجوف رحيب وصوت ضئيل
وأشبه شئ اذا قسته * بخنزير بر وجاموس غيل
ينازعه كل ذى أربع * فما فى الانام له من عديل
ويعصف بالنمر بعد النمور * كما يعصف الريح للعندبيل
وشخص يرى يده انفه * فان وصلوه فسيف صقيل
وأقبل كالطود هادى الخميس * بصوت شديد أمام الرعيل
فقر بسيل كسيل الاتى * بخطم خفيف وجرم ثقيل
فان شمته زاد فى هوله * بشاعة اذنين فى رأس غول
وقد كنت اعددت هراله * قليل التهيب للزنديل
فلما أحس به فى العجاج * أتانا الاله بفتح جليل
وطار وراغم فياله * بقلب نخيب وجسم ثقيل
فسبحان خالقه وحده * اله الانام ورب الفيول

العندبيل طائر صغير يكون بأرض السند والهند تذكره الشعراء فى اشعارها تمثلا به لصغره والزنديل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزنديل هو اسم لما اشتد فى الحرب من انياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزنديل عند ذكره للفيل فقال

ذاك الذى مشفره طويل * وهو من الافيال زنديل

وقال آخر * وفيله ذو الطول زنديل * وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشيل وتفسيره قول الانصارى فى صفة النحل

تبيض العشاء باذنابها * وفى مدر الارض عنها فضول
ويشبعها المصمص الثرى * اذا جاعت الشاة للخنشيل

قال وهذا غير قوله

قد علمت جارية عطبول * أنى بنصل السيف خنشيل

والفيلة لا تنتج ولا تولد الا بأرض الزنج والهند ولا تعظم انيابها بأرض السند والهند على حسب ما تعظم بارض الزنج والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا يلحق ذلك فى المنعة بشئ من الدرق الصينى والتبتى واللمطى والتجاوى ولا ما يقع من اللين وغير ذلك من أنواع الدرق وخرطومة انفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شئ من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه وقد كان المنصور عنى بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة اياها واقتنائها لها واعدادها للحروب والزينة فى الاعياد وغيرها فانها اوطأ مراكب الملوك وأمهدها وأخبرنى بعض الكتاب ممن يرجع الى ادب وعقل ومعرفة بأيام الناس بمدينة

السلام انه اشترى بغلة فى غاية الفراهة والحسن فكان يركبها فى مهماته وتصرفاته وكانت
اذا رأت الجمال البخت او العراب من العمالة أو غيرها فى الطريق نفرت وشبت وكان
يلقى منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هى عليه من الفراهة والحسن وأنه
لا يحمله غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان فى بعض الايام اجتازت بباب الطاق
وذلك فى أيام المعتضد وقد أخرج الفيلة للرياضة والتهيد وليحمل عليها الليث بن على الصفار
وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم اسره ببلاد فارس حين خرج على السلطان قال
فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل تجمز فى مشيتها لا سبيل لمن عليها
ان يحبسها لما قد لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت على عقبها ورمت بى
الارض فوقعت بكلكل ثور منفوخ ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة حين
رمت بى ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على أثر ذلك فلما نظرت البغلة
الى الفيلة وعظم خلقها لحقت بالجمال ودخلت بينها كانها لم تزل معها ودلت كذلك
الجمال اذ رآنى جماعة من الناس فرفعونى ودخل الغلام فأخرج البغلة وما استطاع
اخراجها حتى مضت الفيلة وأخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك من جمل
ولقد ألفت الجمال حتى كأنها بعضها لاستصغارها صورة الجمل عند ما شاهدت
صورة الفيل وكل حيوان ذى لسان فأصل لسانه الى داخل وطرفه الى خارج الا الفيل
فان طرف لسانه الى داخل واصله الى خارج والهند تزعم انه لولا ان لسانه مقلوب ثم
لقن الكلام لتكلم والهند تشرف الفيل وتفضله على سائر الحيوان لما اجتمع فيه من
الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره واتصال صهوته وطول خرطومه
وسعة أذنه وكبر غرموله مع خفة وطئه وطول عمره وثقل جسمه وقلة اكترائه بما وضع على
ظهره وأنه مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة يمر بالانسان فلا يحس بوطئه ولا يشعر به
لحسن خطوته واستقامة مشيه وقد وصف عمرو بن بحر الجاحظ الفيل فى كتاب الحيوان
فاغرق فى وصفه وأكثر فى مدحه وعدد معانى كثيرة فى صفة الفيل وهيئته وما هو
عليه من عجيب التركيب وغريب التأليف والمعانى الصحيحة والاحساسات اللطيفة وفى
قبولها التاديب وصحة تميزها وسرعتها الى التلقين والتقويم وما فى ابدانها من الاعضاء
الكريمة والاجزاء الشريفة وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها وبكم فضلت تلك
الاحساس فاقت تلك الاجناس وما فيها من الالات والبرهانات والعلامات النيرات التى
جلاها لعيون خلقه وفرق بينها وبين عقول عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم لتكثر
لهم وتزيد بهم الى وضوح الحجة وتسخرهم لتمام النعمة وما ذكر الله فى الكتاب الناطق والخبر
الصادق وفى الآثار المعروفة والامثال المضروبة فى التجارب الصحيحة وما قالت الشعراء فيه
ونطقت به الفصحاء وميزته العلماء وعجبت منه الحكماء وحالها عند الملوك وموضع نفعها
عند الحروب وسيماتها فى العيون وجلالتها فى الصدور وفى طول اعمارها وقوة أبدانها
وفى اعتزامها وتصميمها واحقادها وشدة اكترائها وطلبها بطوائلها وارتفاعها عن ملك
السقاط واقتناء السفلة والاراذل وعن ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخسف

وابتذالها

وابتذالها وازالتها عن امتناع طبائعها وتمنع عزائزها ان تصلح أبدانها وتنبت أنيابها وتعظم
جوارحها وتتساند وتتلاقح الا فى معادنها وبلادها ومغارس اعراقها مع التماس الملوك
ذلك منها وطمع القوم عليها بالتقرب بذلك منها حتى اعجزت الحيل وأخرجت عن حد
الطمع وعن الاخبار عن حالها ووضعها ومواضع أعضائها والذى خالفت فيه الاشكال
الاربعة التى تحيط بالجميع مما يستناخ أو يقوم أو يمشى أو يطير وجميع ما ينتقل عن اولية
خلقه ومايبقى على الطبع الاول من صورته وعما يتنازعه من شبه الحيوان ومايخالف فيه
جميع الحيوان وعن القول فى شدة قلبه وأسره وفى حدته على ما هو أعظم بدنا وأشد قلبا
وأحد ظفرا وأذرب لسانا وهربه مما هو أصغر جسما وأكل حدا وأضعف أسرا وأجمل
ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول فى لونه وجلده
وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المواعيد الكثيرة
التى تضمن ايرادها فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما اسلفه من القول فى هذه
المعانى التى قدمها أورد جوامع متفرقة ولمعا غير متسقة فى الفيلة وغيرها وأعرض عن ايراد
خواص اعضائها وأكثر منافعها وعجيب خصالها وماذكر من أسرار الطبيعة وما قالته
فلاسفة الهند فى بدنها وما آثرته عمن تقدم من حكمائها فى تداواها وعلة تكونها
فى ارض الزنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها فى غيرها
والتضاد الذى بينها وبين الكركدن مع عظم خلقها وفرارها من السنور مع صغر جسمه
ولطافة منظره وعن كثرة الطرب الذى يوجد فى الفيل دون غيره من الحيوان وقبولها
الرياضة والدراية والمعرفة عند المحاورة والدهاء والخبث والتمييز وقد ذكر صاحب
المنطق فى كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقة مالم
يسلكها من تقدم من حكماء الهند من ان العالم بما فيه من الاجسام على جهات ثلاث متفق
ومختلف ومضاد وان ذلك فى الجملة هو جماد ونام واخراجهم عن العالم الافلاك والنجوم
والبروج وغير ذلك من الاجسام السماوية وليست بجماد ولانام وانها أحيانا ناطقة
(قال المسعودى) فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا فى صدر هذا الباب من ذكر الزنج
وبلادهم وغيرهم من أنواع الاحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها
لعاجها غير منتفعة بشئ من ذلك فى آلاتها وانما تحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة
وماذكرنا من دوابهم انها بقر وأنهم عليها يقاتلون بدلا من الابل والخيل وهى بقر تجرى
كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالرى نوعا من هذا البقر يبول كما تبول الخيل ويثور بحمله
كما تثور الابل اذا استقلت بأحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان
كالخيل والابل والحمير والبقر وملاكها نوع من المجوس من دفنة ولهم خارج الرى
قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم فاذا مات بالرى أو قزوين شئ مما ذكرنا من البهائم وورد
الواحد منهم مع ثوره فاناخه وحمل عليه تلك الجيفة وسار بها الى قريته فأكلوها وبنيانهم
من عظامها ويجففون من لحمها ما يدخرونه لشتائهم فاكثر اكلهم وأكل بقرهم من تلك
اللحمان رطب ويابس وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة الحدق وسائر البقر تنفر

ويهرب من هذا البقر ورأيت بأصبهان وقم منها ما فى انوفها حلق الحديد والصفر قد ترمت
فيها الجبال وخطمت بها كما يفعل بالجمال البخت وكذلك بالرى رأيت ثورا منها قد عدا
نحو ثور من غيره هذا النوع فلما رآه قصده قام فزعا من هذا الجنس وليس فى سائر أنواع
البقر ما ياوى المياه والجزائر والبحيرات الا البقر المعروف بالحبشية التى تكون ببلاد مصر
وأعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار وأما الجواميس فانها بالثغر الشامى
فى بحر أكبر ما يكون من العجل فى أنوفها حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا من البقر وكذلك
منها ببلاد انطاكية وأكثر من ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر أكبر
من قرون هذه الجواميس التى بأرض الاسلام وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين
وكذلك الجواميس كثيرة بأرض العراق مما يلى صفوف الكوفة والبصرة والبطائح
وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقا فى الحمامات وغيرها
ولم أجد أحدا فى هذه الممالك ممن شاهدته او نمى الى خبره ذكر أنه رآها ولست أدرى
كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى اخبار الزنج وأخبار ملوكها فأما
تفسير اسم ملك الزنج الذى هو وقليمى فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل
فيهم فمتى جار الملك عليهم فى حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ويزعمون انه اذا
فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذى هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز
وجل مكلنجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج اولو فصاحة فى ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم يقف
الرجل منهم الزاهد فيخطب على الخلق الكثير منهم ويرغبهم فى القرب من بارئهم ويبعثهم على
طاعته ويرهبهم من عقابه وصولته ويذكرهم من مضى من ملوكهم وأسلافهم وليس لهم
شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعيتهم
واكلهم الموز وهو ببلادهم كثير وكذلك بأرض الهند والغالب على أقوات الزنج الذرة
ونبت يقال له الكلارى يقلع من الارض كالكمأة والراسن ومنه ما هو كثير ببلاد عدن وما
اتصل بها من أرض اليمن ويشبه هذا الكلارى القلقاس الذى يكون بالشام ومصر ومن
غذائهم أيضا العسل واللحم ومن هوى منهم شيأ من نبات أو حيوان أو جماد يجده وجزائرهم
فى البحر لا تحصى كثرة وفيها النارجيل يعم اكله سائر الزنج ومن بعض تلك الجزائر جزيرة
بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين فيها خلائق من المسلمين يقال لهم قنبلو وتوارثها
المسلمون على حسب ما ذكرنا من أمرها فى هذا الكتاب وأما النوبة فافترقت فرقتين
فرقة فى شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر
والصعيد من بلاد اسوان وغيرها واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا
بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهى مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة
يقال لهم علوه وبنوا مدينة عظيمة وسموها سربة (قال المسعودى) وانتهيت فى تصنيفى
الى هذا الموضع من كتابنا هذا فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فأخبرت ان
الملك فى مدينة دنقلة الى النوبة كبرى بن سدرو وهو ملك بن ملك بن ملك فصاعدا وملكه يحتوى
على ام قرية وعلوه والبلد المتصل بمملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الرياح

المريسة وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان وأما البجه
فانهم نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا افرقا وملكوا عليهم ملكا وفي أرضهم معادن
الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة
فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجه الى ان قوى الاسلام وظهر
وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار خلق
من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجه فقويت
البجه بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجه على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم
من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحاق وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها
من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجه بالحجف البجاوية وهم الحدارب
وهم مسلمون من بين سائر البجه والدار حلاش من البجه كفار يعبدون صنما لهم وأما الحبشة
فانهم دار مملكتهم كعبى وهي مدينة عظيمة وهي دار مملكة النجاشي وللحبشة مدن كثيرة
وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة وهو مقابل
لبلاد اليمن فمن مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك وناصع وهذه مدن فيها خلق من
المسلمين الا انهم في ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة علافقة وهي ساحل زبيد من
أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين
ملكت اليمن في أيام ذي نواس وهو صاحب الاخدود المذكور في القرآن وصاحب زبيد
في وقتنا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرملي ومراكبه تختلف الى ساحل الحبشة ويركب
فيها التجار بالامتعة وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين أعني ساحل
اليمن وساحل الحبشة أقل المواضع فيه عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين
منها جزيرة العقل يقال ان فيها ماء يعرف بماء العقل تستقي منه أرباب المراكب ويفعل
في القرائح والذكاء فعلا جميلا وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وما
له من الخواص وذكر علة ذلك وقد أتينا على الخبر في كتابنا في اخبار الزمان عند ذكرنا
لاخبار المتعلمين في تجاربهم وما كان من قضاياهم في علاجاتهم من سلف قبل ظهور الاسلام
وغيرهم ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد غلب ابن زياد على هذه الجزيرة
وله في هذا الوقت رجال مرتبون فيها من أصحابه وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة
تعرف بسقطرة واليها يضاف الصبر السقطري ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان
ارسطاطاليس بن تمرياحين كتب الى الاسكندر بن فيلبس حين سار الى الشام في أمر هذه
الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطري
الذي يقع في الايارجات وغيرها فسير الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين
أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن تمرياحين وهي مدينة اسطاغور في المراكب يا عليهم في
بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم
عظيم فنقل ذلك الصنم في اخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى

الاسكندر وظهر المسيح فتنصر من كان بها الى هذا الوقت وليس فى الدنيا والله أعلم موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون انسابهم لم يداخلهم فى انسابهم روم ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة وهم فى هذا الوقت تاوى اليهم بوارج الهند الذين يقطعون على المسلمين فى هذه البوارج وهى المراكب على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم فى الشوانى على المسلمين فى البحر الرومى من ساحل الشام ومصر ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة أخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا وأما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن امعن فى المغرب مثل الزغاوة والكركر والقراقر ومرندة والمرويين والهنديين والالله والقرماطن وزويله والعرمد فلكل واحد منهم من هؤلاء وغيرهم من أنواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد أتينا على ذكر جميع أجناس السودان وأنواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ولأية علة تفلفلت شعورهم واسودت ألوانهم وغير ذلك من اخبارهم وأخبار ملوكهم وعجائب سيرهم وتشعبهم فى انسابهم فى كتابنا فى اخبار الزمان فى الفن الاول من جملة الثلاثين فنا ثم فيما بعد من هذا الكتاب مما لم نذكره فى كتابنا اخبار الزمان مما لا ينبغى ترك ايراده فيه ولا تعريته منه (قال المسعودى) وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر كتب اليه بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدهم يرمون الحدق وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر ووليها عبد الله بن سعد فصالحهم على رءوس من السبى معلومة مما يسبى هذا الملك المجاور للمسلمين من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الباب المدعو بملك مريس وغيرها من أرض النوبة فصار ما قبض منه من السبى سنة جارية فى كل سنة الى هذه الغاية يحمل الى صاحب مصر ويدعى هذا السبى فى العربية بأرض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا وأراه رسم على عدد أيام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللامير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبى أربعون رأسا وللخليفة المقيم ببلاد اسوان المجاورة لارض النوبة وهو المتولى لقبض هذا البقط وهو السبى عشرون رأسا غير الاربعين وللحاكم المقيم باسوان الذى يحضر مع امير اسوان قبض البقط خمسة ارؤس غير العشرين التى يقبضها الامير ولاثنى عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأسا من السبى على حسب ما جرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة والموضع الذى يتسلم فيه هذا البقط ويحضره من سمينا وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هذه مدينة فى الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وهذه المدينة فى هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التى فى الجزائر بين رحبة مالك بن طوق وبين الرقة وناوسة وعانة والحديثة وفى مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير فى كلا الشطين وهذه المدينة اليها ينتهى سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير

من

من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من
الحجاز وغيره والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة و يؤكل
من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ولا غيرهما من أرض النخل
لان النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من التال والفسيل وهو النخل الصغير
وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح ولمن باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض
النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان
فى دولة بنى أمية وبنى العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على
هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من أهل مملكته وعبيده
باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك
لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون أمرهم الى الحاكم
بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل
اسوان انها ستنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا الى من ابتيع منهم من
أهل النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا لملوكهم بالعبودية وأن يقولوا
سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم
عبيد الملك وأموالكم له فنحن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا
بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوقفوه عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق
لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار
النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل
مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهى بلاد مريس
ومعدن الزمرذ فى عمل الصعيد الاعلى من اعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن
والموضع الذى فيه الزمرذ يعرف بالخربة مفازة وجبال والبجة تحمى هذا المكان
المعروف بالخربة واليها يؤدى الخفارات من يرد الى حفر الزمرذ والزمرذ الذى يقتلع
من هذا المعدن يتنوع أربعة أنواع النوع الاول منها يعرف بالمر وهو اجودها وأغلاها
ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته باشد ما يكون من السلق خضرة وهذا
اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثانى يدعى بالبحرى ومعناهم فى هذه
التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزانج والصين ترغب فى هذا النوع من
الزمرذ وتباهى فى استعماله ولباسه فى تيجانها واكاليلها وخواتيمها واسورتها فسمى
البحرى لما ذكرنا وهو ثانى المر فى الجودة وتشبه خضرته بالاول والماء كقداح ورق الآس
الذى يظهر فى أوائل اغصان الاس واطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربى ومعناهم
فى هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو أن ملوك المغرب من الافرنجة والنوكبر
والاندلس والجلالقة والوسكنس والصقالبة والروس وان كان أكثر هؤلاء الامم متصاين
بالجربى وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون
فى هذا النوع من الزمرذ كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين فى النوع المعروف

بالبحرى والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع واقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته
وهذا النوع يتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة وجملة الوصف بهذه الانواع الاربعة
فى الجودة والمبالغة فى الثمن هو اكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد
والصفرة وغير ذلك من الالوان مع تعرى هذا الجوهر من النمشة فاذا سلم مما ذكرنا كان
فى نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف وفى تجارته ما يبلغ الخمسة المثاقيل فى الوزن الى ان
ينتهى الى حد العدسة فى المقدار فيدخل ذلك فى النظم من المخانق وغيرها وآفات هذا
الجوهر المتنوع كثيرة منها الريم والحجارة والعروق البيض التى تشوب هذا الجوهر
وتوجد فيه ولا يتناكر بين ذوى الدراية بهذا الجوهر ومن عنى بمعرفته أن الحيات والافاعى
وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها اذا ابصرت الزمرذ الخالص سالت أحداقها
وان الملسوع اذا سقى من الزمرذ الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من سرى
السم فى جسده ولا يوجد شئ من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه وهو حجر لين رخو
يتكاس اذا ورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم
شأن هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة
والمنافع الكثيرة وخفته فى الوزن دون سائر الجواهر المعدنية وأكثر ما يوجد من هذه
الانواع العروق فى الارض وهو المنافس فيه اذا سلم من الاعوجاج والتنقب واستقام
سلكه واستطال ما استدار وأدناه ما يحل فى معدنه من التراب ويلتقط من الطين وقد يوجد
على ظهر الارض فى هذا المعدن فى وهاده وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه
وهو المغربى والاصم المقدم ذكرهما وقد يحمل من أرض الهند من بلاد سندان وبحر
كنبايت من مملكة البلهرا صاحب المانكير المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوعا
من الزمرذ يلحق بوصف ما ذكرنا من النور والخضرة والشعاع الا انه حجر صلب اصلب مما
وصفنا وأثقل مما ذكرنا ولا يفرق بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الانواع
الاربعة المقدم ذكرها الا ذو دراية وفطن أو ماهر ظريف وهذا النوع الهندى يعرفه
أصحاب الجوهر بالمكى لانه يحمل من أرض الهند الى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن
ويؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفنا وبهذا النعت لما ذكرنا وقد أتينا على مبسوط
اخبار الجواهر الشفافة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح فى كتابنا فى اخبار
الزمان ووجدت جماعة بصعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن
وعرف هذا النوع من الجوهر الذى هو الزمرذ يخبرون ان هذا الزمرذ يكثر ويقل
فى فصول من السنة وفى قوة من مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الاربع وتقوى
الخضرة فيه والشعاع النورى فى أوائل الشهر والزيادة فى نور القمر ولذلك اختار من عنى
بمعرفة أكثر المعادن من الجوهرية وغيرها أن الكبريت الابيض والاصفر وغيرهما من
أنواع الكبريت يكثر فى معدنه فى السنة التى يكثر برقها وتشتد صواعقها على حسب
ما اخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن الكافور من بلاد قيصورة وغيرها من أرض الهند
انه يكثر فى السنة التى تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق ولولا ان الاكثار كحاطب

ليل والايجاز لمحة دالة ووحى صرح عن ضمير والبلاغة ايضاح بايجاز لاسهبت فى هذا
الباب وبين هذا الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن هذا النوع من الجوهر وهو
الزمرذ وبين ما اتصل به من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهى قفط
وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة للنيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين
والمدينتى قفط وقوص أخبار عجيبة فى بدء عمرانهما وما كان فى أيام الاقباط من
أخبارهما الا أن مدينة قفط فى هذا الوقت متداعية للخراب وقوص اعمر والناس
فيها اكثر وبوادى البجة المالكة لهذا المعدن معدن الزمرذ وتتصل ديارها بالعلاقى وهى
معدن الذهب على حسب ماقدمنا فى هذا الباب وبين العلاقى والنيل خمس عشرة مرحلة
وماء اهل العلاقى ما انهل من السماء ولهم معين يسيل فى وسط العلاقى وأقرب العمارة اليه
مدينة اسوان ومنها يستمد العلاقى والنوبة متصلة تجاراتهما وقوافلهما بمدينة
اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودى) وأما بلاد الواحات وهى بين
بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الاحابش من النوبة
وغيرهم فقد ذكرنا جملا من أخبارها وكيفية العمران بها والخواص فى أرضها فيما
سلف من كتبنا ولها أرض شبية وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب
الواحات فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من
لواتة الا انه مروانى المذهب ويركب فى ألوف من الناس خيلا ورجلا ونجبا وبينه وبين
الاحابش نحو من ستة أيام وكذلك بينه وبين سائر ماذكرنا من العمائر هذا المقدار من
المسافة وفى أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه
ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات
بباب الاخشيد محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من أخبار بلدهم
وما احتجت أن أعلمه من خواص أرضهم وكذلك كان فعلى مع غيره فى سائر الاوقات ممن لم
اصل الى بلادهم وأخبرنى هذا الرجل عما بأرضهم من الشب وأنواع الزاج وما يحمل
من بلادهم وما بأرضهم من أنواع العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الطعوم
وقد ذكر صاحب المنطق أن بعض المواضع عيونا حامضة يستعمل ماؤها كاستعمال الخل
وذكر المواضع التى تنبع منها العيون المرة وأن قوة مائها فى المرارة لايخالط شيأ الا مرره
وأن العلة فى اختلاف هذه الطعوم فى المياه أن الارضين المختلفة مثل مواضع الشب
والمواضع النارية والرمادية وذكر الاطعمة التى ببلاد صقلية المقدم ذكرها اذا خالطت الماء
افادته طعوما مختلفة على قدر اختلافها وأعداد طعومها وأعداد الطعوم ثمانية فأولها
العذب والملح والدسم والحلو والحامض والمر والقابض والحريف وقد تنازع
الناس فيما ذكرنا فمنهم من رأى أن أعدادها سبعة ومنهم من ذهب الى أنها ستة وأكثر
من قال فى أعدادها هو ماذكرنا آنفا ثمانية وقد قال من سلف فى قوى المياه اقاويل مختلفة
من ذلك أن العذب مغذ وان كان سخنا فان استعمل من داخل أو من خارج فانه ينقى
الجسد وان استعمل أكثر مما يحتاج اليه فانه يرخى الاعضاء ويضعفها وأن الماء البارد
يشد الاعضاء ويقطع العطش وأن الزيادة منه تخدر الجسد وتميته وأن الماء الاجاج ينفع من

سدد الكبد والطحال وأن الماء الكبريتي ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة والروق
نافع للحكة والجرب وأن ماء النضار نافع من أوجاع الصلب والعصب وماء الحديد نافع من
الاسترخاء في الاحشاء وما بطن من الاوعية وماء النحاس نافع من الرطوبة والبلة الكائنة
في الجسد والرأس وماء الجص يشنج المعدة ويقبضها ويكرشها وماء الزاج يحسن الدم وماء
البحر نافع من البرص وقد ذكر جماعة أنه ينفع من الاخلاط الفاسدة اذا شرب
منه اليسير مع دهن اللوز وله في البصر ايعاب فظيع وأن اصح المياه للاجساد الابيض
البراق الذي يخرج من جبال الصين من مشرق الشمس نحو مغربها القابل بسرعة ما يرد
اليه من الحر والبرد وللناس فيما ذكرنا كلام كثير في أنواع المياه وأوصافها ومنافعها
ومضارها ليس كتابنا هذا موضعا له وانما تغلغل بنا الكلام الى ذكرها وتشعب بنا القول
الى وصفها وكل ما ذكرنا من بلاد الاحابش ما كان من غربي اليمن وجدة والجار مما يلي
بحر القلزم فبلاد قشفة لا خير في أرضها ولا شئ يحمل من ساحلها الا ما وصفنا من الذبل
والنمور وغيرهما وكذلك ما عليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضرموت
الى عدن فبلد لا خصب لاهله فيه ولا يحمل من أرضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا
البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهند وان كان الماء متصلا وليس في البحار وما ذكرنا
من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشي اصعب ولا أكثر جبالا ولا أسهك رائحة ولا اخبط
ولا اقل خيرا في بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشي تقطعه المراكب في ابان
سيرها فيه بالليل والنهار الا بحر القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل ارست
في مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمنافذ المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس
هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره في شئ وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند
والصين في قعره اللؤلؤ وفي جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعي وفي
افواه دوابه العاج وفي منابته الابنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود وأشجار
الكافور والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر وطيور الببغاء البيض
والخضر واحدها ببغة ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصغر والكبر
ومنها ما يكون كالنعامة كبرا وحشرات أرض الهند الزباد كالسنانير كثيرة بأرض الاسلام
متخذة كالسنور وأكثر ما يخرج من ضروعها الطيب المعروف بلبن الزباد وهو نوع من
الطيب عجيب ثم ما يظهر في وقت من السنة من جباه الفيلة بارض الهند ورؤسها من العرق
الذي هو كالمسك والهند تراعي ظهور هذا الطيب في الفصل من الزمان الذي يكون فيه
فتأخذه وتجعله على بعض أدهانها الطيبة فيكون اعلى طيبها المستطرف عندها والذي
تستعمله ملوكها وخواصها الضروب من المنافع منها طيب الرائحة والخمر الذي قد فاق
على سائر الطيب وما يؤثر في الانسان عند شمه اياه واستعماله من ظهور الشبق من الرجال
والنساء والطلب للباه والاغتلام والطرب والنشاط والاريحية وكثير من فتاك الهند
وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عند اللقاء والحرب لان ذلك عندهم مما يشجع القلب
ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه

الفيلة

الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اغتلامها وهيجانها واذا كان ذلك منها هرب عنها سوّاسها ورعاتها ولا يفرق بين من يعرف وغيره من الناس واذا وجد الفيل ما وصفنا سلك الاودية والجبال والغياض وند عن بلده وغاب عن وطنه فاذا قدم على النوشان الذي هو الكركدن هرب حينئذ من الفيل ولا يقيم في الموضع الذي هو فيه لان الفيل عند ذلك بحال السكران لا يعقل ولا يميز بين الكركدن الذي كان يخافه قبل ذلك وغيره فاذا خرج عنه ذلك الفصل من السنة واسترجع عاد الى بلاده على مسيرة شهر وأكثر من ذلك وهو في بقية من سكره فيبقى نحو ذلك المقدار الذي كان هيجانه فيه عليلا ولا يكون ذلك الا في الفحول من الفيلة وذوي الجراءة منها والاقدام وما ذكرنا من طيب المسك وغير ذلك مما عنيه امسكنا من عجائبه وخيراته وفيما ذكرنا تنبيه على غيره وللهند خطب طويل في ظهور هذا النوع من الطيب في هذه الجباه من الفيلة والفرق بينه وبين سائر أنواع الدواب ما يظهر من الفيل من الجزع عند وروده المياه من الغدران والانهار للشرب اذا كان الماء صافيا فانه يثيره ويكدره ويمتنع من شربه حين صفائه وان ذلك يوجد في أكثر الخيل اذا وردت الماء وكان صافيا ضربته بايديها فكدرته فتشرب حينئذ وتوافق الخيل الفيلة في هذا المعنى دون سائر الحيوان وان ذلك لمشاهدة صورها في الماء لصقالته وصفائه ولعلها بزوال ذلك عند تكدره وان الابل الاغلب منها يفعل ذلك ولمعان غير ذلك مما وصفنا من أن ماعظم من الحيوان اذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء اعجبته لعظمها وحسنها وما بان له من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان وليس شئ يفعل ذلك من الحيوان غير ماذكرنا من الخيل والابل وان الفيل مع عظم جسمه ولطافة نفسه وخفة روحه وحسن تميزه والمعرفة بواليه وعدوه من الناطقين وغيرهم وقبوله الرياضة تمتنع اناثه كما تمتنع النوق اذا القحت وليس شئ من الدواب يمتنع من السفاد من الاناث عند حملها الا الفيلة والابل وهذا باب ان نحن تقصيناه وذكرنا ما فيه طال به الكتاب وخرج عن حد الاختصار والايجاز وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان وغيره من كتبنا فلنذكر الآن أنواعا من ولد يافث بن نوح اذ كنا قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كثيرا من ذكر الامم مع اختلاف ألوانهم وتباينهم في ديارهم واختلافهم في أحوالهم ان شاء الله تعالى

* (ذكر الصقالبة ومساكنها واخبار ملوكها واجناسها) *

الصقالبة من ولد بار بن يافث بن نوح واليه يرجع سائر أجناس الصقالبة وبه يلحقون في أنسابهم هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عني بهذا الشأن ومساكنهم بالجرا الى أن تتصل بالمغرب وهم أجناس مختلفة وبينهم حروب ولهم ملوك ومنهم من ينقاد الى دين النصرانية الى رأي اليعقوبية ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد الى شريعة وهم جاهلية لا يعرفون شيأ من الشرائع وهؤلاء أجناس فمنهم جنس كان الملك فيهم قديما في صدر الزمان وكان ملكهم يدعي ماجك وهذا الجنس يدعي ولينانا وكان يتلو هذا الجنس في القديم سائر أجناس الصقالبة لكون الملك فيهم وانقياد سائر ملوكهم اليه ثم يتلو هذا الجنس من أجناس الصقالبة اصطبرانه وملكهم في هذا الوقت يدعي بصقلايج وجنس يقال له دلاونه

وملكهم يدعى وايح صلاف وجنس يقال لهم ياسحيق وملكهم يدعى عرابه وهذا الجنس اشجع اجناس الصقالبة وأفرس وجنس يدعى ماين وملكهم يدعى رببير ثم جنس عند الصقالبة مهيب لعالى يطول ذكرها وأوصاف يكثر شرحها وتفرقهم من ملة ينقادون اليها ثم جنس يقال له مرارة ثم جنس يقال له بجرواش ثم جنس يقال له صاصيف ثم جنس يقال له حانين وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فسمة معروفة لملوكهم * والجنس الذى سميناه المعروف بسربيق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا الجبل الفتح والخزر وأن فى بلاد الخزر مع الخزر خلقا من الصقالبة والروس وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويبعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الديز وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يقصدون دار مملكته بأنواع التجارات ثم يلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرنج وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ويحارب الروم والافرنج والنوكبرد وغيرهؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلى هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن الصقالبة صورة وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا والصقالبة أجناس كثيرة وأنواع واسعة لاياتى كتابنا هذا على وصف أجناسهم وتفريع أنواعهم وقد قدمنا الاخبار عن الملك الذى كان ينقاد اليه ملوكهم فى قديم الزمان وهو ماجل وابنانا وهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم فى أجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وتحزبت أجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ماذكرنا من ملوكهم لامور يطول ذكرها وقد أتينا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها فى كتابنا اخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة

(ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكها)

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاسنان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير من ذكرنا من حل الجراوهو الشمال لاخلاف بين أهل البحث والنظر من الشرع بين أن جميع من ذكرنا من هؤلاء الامم من ولد يافث بن نوح فالافرنجة أشد هؤلاء الاجناس باسا وأمنعهم هيبة وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم وأكثرهم طاعة الا أن الجلالقة أشد من الافرنجة بأسا وأعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم عدة من الافرنجة وكلمة الافرنجة متفقة على ملك واحد لاتنازع بينهم فى ذلك ولا تحزب واسم دار مملكتهم فى وقتنا هذا نومره وهى مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان أوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام فى البحر جزيرة رودس وهى الجزيرة التى ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وأن فيها دار صناعة المراكب فى وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطس وقد

كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد افريقية
وجزيرة صقلية للافرنجة أيضا وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة
بالبركان وهي الاطمة التي يخرج منها أجسام من النار كأجساد الناس بلا رؤس فتعلو
في الهواء بالليل ثم تسقط في البحر فتطفو على الماء وهي الحجارة التي يحك بها الكتابة من
الدفاتر وهي خفاف بيض على هيئة الشهد وأكوار الزنابير الصغار وهي الاطمة المعروفة
بأطمة صقلية وفيها هلك مرقونوس الحكيم الذي صنف كتاب ايساغوجي وهو المدخل
الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض
كأطمة وادي برهوت من بلاد حضرموت وبلاد الشحر وأطمة بلاد الزنج من بحر الصين
وأطمة بلاد أسك وهي ما بين بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا
وهي مشهورة بأرض الاسلام وتفسير أطمة هي عين النار التي تعرض من الارض
ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر الخاصة الكبريتية والزاجية ولا الحامات التي تظهر من
مائها النار كالخاصة التي ببلاد ماسبذان من أرض اذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه
الخاصة في قرية من قرى اذربيجان يقال لها القومان وهي أطمة تظهر من وسط مائها
النار وهي اطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن اطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها وهي
احدى عجائب العالم اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا على
منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناها ولمع لوحنا بها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا
الواحات من بلاد مصر وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

(ذكر النوبرد وملوكها)

قد تقدم ذكرنا للنوبرد وأنهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومجاورهم بالجرا
ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس وهم ذوو بأس شديد ومنعة ولهم مدن كثيرة يجمعهم
ملك واحد وأسماء ملوكهم في سائر الاعصار أركيس والمدينة العظمى من مدنهم ودار
مملكتهم هي تبت ويخترقها نهر عظيم وهي جانبان وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة
بالكبر والعجائب يقال له سايط قد ذكره جماعة ممن عني بهذا المعنى ممن تقدم وكان المسلمون
ممن جاورهم من بلاد الاندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة تارة
طارينو (قال المسعودي) ووجدت في كتاب وقع الى الفسطاط بمصر سنة ست وثلاثين
وثلثمائة اهداه عرمار الاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة في سنة ثمان وعشرين
وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولي عهد أبيه عبد
الرحمن صاحب الاندلس في هذا الوقت في عهده يا أمير المؤمنين ان أول ملوك
افرنجة قلوديه وكان مجوسيا فنصرته مرءوابنه لذريق وابنه دقشرت ثم ولي بعده ابنه
لذريق ثم ولي بعده قرطمان بن دقشرت ثم ولي بعده ابنه تنين ثم ولي بعده بازلة بن
تنين وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وكان في أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع

أولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب
ملكهم فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى طرطوسة نحاصرها ثم ولى
بعده ابنه نازلة وهو الذى تهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن
معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا
وثلاثين سنة وستة أشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة أعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى
برشة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح المجوس عن بلده سبع سنين
بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن
بغريرة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة أخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ثم ولى
بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستوت
مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما اتى الينا من خبره (قال المسعودى) وأشد
ما على الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كما أن الافرنجة حرب لهم غير أن الجلالقة أشد
بأسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد أمية يقال له
أحمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة
بقتله عبد الرحمن وكان للوزير أخ يقال له أمية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها سيرين
فلما انتهى اليه ما فعل بأخيه عصى على عبد الرحمن فصار فى حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على
المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج أمية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض متنزهاتها
فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى أمية بن
اسحق أخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن
صاحب الاندلس سمورة مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها وأسوارها فى باب جمل الاخبار
عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير
ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك
الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا الشهر بثلاثة
أيام وكانت للمسلمين عليهم ثم ثابوا بعد أن حوصروا وألجوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين
بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين
أمية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان فى معسكر المسلمين من الاموال والعدد
والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استأمن الى عبد الرحمن
وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز
عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف
ما قتل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك
الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قبله على الملك اردون القرمس
والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة
طاربونة ومدينة سيرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون متقدم الزمان ثم ان
النوبرد أتابوا ووثبوا على من كان فى تلك المدن من المسلمين فأخرجوهم عنها بعد حرب

طويل. وما ذكرنا من المدن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى ايدى
النوبرد (قال المسعودى) وما ذكرنا من الجلالقة والافرنجة والصقالبة
والنوبرد وغيرها من الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حربا لاهل الاندلس فى هذا
الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من نسبه وأخباره وقد كان عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام سار الى الاندلس فى أول دولة بنى العباس وله أخبار كثيرة فى كيفية
وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر
واسعة وثغور فى أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من
الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرها من الامم وصاحب الاندلس فى هذا الوقت يركب
فى مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله اعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوى العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى
بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى فانه
يدل على تقدمهم وأن هناك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه
من الابنية المشيدة التى تدعى على مر الدهور العادية وقد أخبر الله تعالى من قول نبيه هود
عليه السلام وخطابه اياهم اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين وعاد أول من ملك فى الارض من هذه الطائفة بعد أن اهلك الله
عز وجل الكفار من قوم نوح وذلك لقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم فى الخلق بسطة وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيآت النخل طولا وكانوا
فى اتصال الاعمار وطولها بحسب ذلك من القدر وكانت نفوسهم قوية واكبادهم غليظة
ولم يكن فى الارض امة هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأقوى عقولا وأكثر أحلاما من قوم
عاد ولم يكن الهلاك يعرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها وما اوتوه من الزيادة الى تمام
البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلقة
وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان عاد يعبد القمر وذكروا انه رأى من صلبه
أربعة آلاف ولد وأنه تزوج ألف امرأة وكانت بلاده متصلة باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد
شحار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب
وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين ممن عنى بأخبار العرب أن عادا المتوسط
العمر اجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد
الملك واستقامة الامر غمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه
مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن
عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن
عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه احتوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة
ارم ذات العماد على حسب ما قدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع
الناس فى كيفيتها وماهيتها وفى أى بلاد هى وهذه عاد الثانية التى ذكرها الله تعالى
فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش واشتداد

ابن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة أعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من أخبارهم فى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا تفرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا فى ذلك من الاشعار جملا من أخبار عاد ونبيها هود فأما تنازع الناس ممن سلف وخلف فى العلة التى بها عظمت أجسامهم وطالت أعمارهم فقد أتينا على ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السبعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا أبنية منحوتة فى الجبال ورممهم باقية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على أن أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد أجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد أجسامهم وكان ملك الملك الاول من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الديل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى أن هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم اعذاره وانذاره ووعده ووعيده ساموه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم بخضر عيد لهم وقد أظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فساموه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وانك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء نتوجا حالكة صافية اللون ذات عرف وناصية وشعر ووبر فاستغاث بربه فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها حنين وأنين ثم انصدعت من بعد تمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحو ها فى الوصف فأمعنا فى رعى الكلا وطلب المرعى فآمن خلق ممن حضره وزعيمهم الذى سأله وهو جندع بن عمرو وأقامت الناقة يحلبون من لبنها ما يعم شربه ثمودا كلها وضايقتهم فى الكلا والماء وكان فى ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال فزارهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع بن مفرج والمرأتان عنيزة بنت زعيم وصدوف بنت المحيا

فقالت صدوف لو كان لنا في هذا اليوم ماء لاسقيناكم خمرا وهذا يوم الناقة وورودها
ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزة بلى والله لو أن لنا رجالا لكفونا اياها وهل هي الا بعير
من الابل فقال قدار يا صدوف ان انا كفيتك أمر الناقة فما لي عندك فقالت نفسي وهل
حائل دونها عنك فأجابت الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا املا علينا بالخمر فشربا حتى توسطا
السكر ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين اخبر الله تعالى عنهم في كتابه بقوله
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وقصدوا طريق الناقة في حال
صدورها فضرب قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها وأتبع صاحبه الآخر العرقوب الآخر
فخرت الناقة لوجهها ووجأ قدار لبتها فنحرها ولاذ السقب بصخرة فلحقه بعضهم فعقره
وورد صالح فنظر الى ما فعلوه فوعدهم العذاب وكان ذلك في يوم الاربعاء فقالوا له
مستهزئين يا صالح متى يكون ما وعدتنا به من العذاب من ربك فقال تصبح وجوهكم يوم
مونس وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة ويوم شيار مسودة ثم يصبحكم
العذاب يوم أول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب اسماء الشهور والايام بلغتهم فهم
التسعة بقتل صالح وقالوا ان كان صادقا كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا وان كان كاذبا كنا قد
ألحقناه بناقته فأتوه ليلا فحالت الملائكة بينهم وبينه وأمطرتهم الحجارة ومنعه الله منهم فلما
اصبحوا نظروا الى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورس قد حالت الالوان وتغيرت
الاجسام وتيقن القوم صدق الوعيد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح في ليلة الاحد من
بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين وأتاهم
العذاب يوم الاحد وفيهم يقول بعض من آمن بصالح عليه السلام

اراكم يا رجال بني عبيد * كأن وجوهكم طليت بورس
ويوم عروبة احمرت وجوه * مصفرة ونادوا يا لمرس
ويوم شيار فاسودت وجوه * من الحين قبل طلوع شمس
فلما كان اول في ضحاه * اتتهم صيحة عمت بنحس

وفيهم يقول حناف بن عمرو وكان ممن اعتزلهم من المؤمنين وبان عن ديارهم

كانت ثمود ذوي عز ومكرمة * ما ان يضام لهم في الناس من جار
لا يرهبون من الاعداء حولهم * وقع السيوف ولا نزعا باوتار
فاهلكوا ناقة كانت لربهم * قد أنذروها وكانوا غير أنذار
نادوا قدارا ولحم السقب بينهم * هل للعجول وهل للسقب من ثار
لم يرعيا صالحا في عقر ناقته * وأخفروا العهد هذيا أي اخفار
فصادفوا عنده من ربه حرسا * فشدخوا روسهم شدخا بأحجار

(وسنذكر) فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لتفرق الناس مما يلي من اخبار ثمود
جلاوما كان من امر الناس بأرض بابل وافتراق لغاتهم وما قاله كل فريق منهم من الشعر
على حسب ما اعطاه الله من اللسان وان كنا قد أتينا على شرح ذلك على الكمال فيما تقدم لنا
من كتابينا اخبار الزمان وبالله التوفيق

(ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها وما لحق بهذا الباب)

ولما اسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكة مع أمه هاجر واستودعه خالقه على حسب ما أخبر الله عنه أنه اسكنه بواد غير ذى زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون لهما سكنا وكان من خطبهما اسمعيل وهاجر ما كان الى أن أنبع الله لهما زمزم وأقحط الشحر واليمن فتفرق العماليق وجرهم فى البلاد ومن هنالك من بقايا عاد فبقيت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصيبة وعليهم السميدع ابن هود بن لابى بن قنطور ابن كركر بن حيدان فلما امعنت بنو كركر فى المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد أقبل السميدع بن هود يحثهم على السير فى شعر له ويشجعهم مما قد نزل بهم وهو

سيروا بنى الكركر فى البلاد * انى ارى ذا الدهر فى فساد
قد سار من قحطان ذى الرشاد * جرهم لما هدها التعادى

فأشرف روادهم وهم المتقدمون لطلب الماء على الوادى فنظروا الطير ترتفع وتنخفض فهبطوا الوادى ونظروا الى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وقد زمت حول الماء بالاحجار ومنعته من الجريان وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله امنا هاجر لولا أنها بخلت ومنعت ماء زمزم من أن يجرى بما حوطت حوله من الاحجار لجرى الماء على وجه الارض فسلم الرواد عليها واستأذنوها فى نزولهم وشربهم من الماء فأنست اليهم وأذنت لهم فى النزول فتلقوا من كان وراءهم من اهليهم وأخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما اضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام وتكلم اسمعيل بالعربية خلاف لغة أبيه وقد ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس فى ذلك من قحطان ونزار وتزوج اسمعيل بالجداء بنت سعد العملاقى وقد كان ابراهيم استأذن سارة فى زيارة اسمعيل فاذنت له فوافى مكة واسمعيل فى الصيد ومعه امه هاجر فسلم على الجداء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال هل من منزل فقالت لاها الله قال فما فعل رب البيت قالت هو غائب فقال لها اذا ورد فأخبريه ان ابراهيم يقول لك بعد مسئلته عنك وعن امك استبدل بعتبة بيتك غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادى قد أشرق وانارو الاغنام تتنسم الآثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدى من خبر قالت نعم شيخ ورد على وأخبرته بالقصة فقال ذاك أبى خليل الرحمن وقد أمرنى بتخليتك فالحقى باهلك فلا خير فيك وتسامعت جرهم بنى كركر ونزولهم الوادى وما هم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم فى حال قحط فبادروا نحو مكة وعليهم الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن نحالة بن هى بن نبت بن جرهم حتى اتوا الوادى ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بنى كركر وقد قيل فى كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر أنه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهى شامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هنى بن نبت واستاذن ابراهيم سارة فى زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة عليه انه اذا اتى الموضع لا ينزل من

ركابه وقد تنازع الناس على أي شيء كان ركوبه فمنهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم
من قال على اتان وقيل غير ذلك من الحيوان فلما اتى ابراهيم الوادي سلم على زوجة
اسمعيل الجرهمية فسلمت عليه ورحبت به وتلقته بأحسن لقاء وسألها عن اسمعيل وهاجر
فاخبرته بخبرهما وأنهما في رعيهما وعرضت عليه النزول فأبى وقيل ان هاجر كانت
قد ماتت ولها من السن تسعون سنة وألحت الجرهمية على ابراهيم في النزول فأبى
فقدمت اليه لبنا وشرائح من لحم الصيد فدعا فيه بالبركة وجاءته بحجر كان في البيت فمال عن
ركابه وجعلته تحت قدمه اليمنى ثم رجلت شعره ودهنته ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله
اليسرى عليه أيضا ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته فأثرت قدماه في الحجر على ما وصفنا
من ترتيب اليمين والشمال فلما رأت الجرهمية ذلك اكبرت ما شاهدته وهذا الحجر هو مقام
ابراهيم فقال لها ابراهيم ارفعيه فسيكون له شأن ونبأ بعد حين ثم قال لها اذا جاءك اسمعيل
فقولي له ان ابراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك احتفظ بعتبة بيتك فنعمت العتبة
هي وسار ابراهيم راجعا نحو الشام وقيل انما سمي اسمعيل لان الله سمع دعاء هاجر ورحمها
حين هربت من سيدتها سارة ام اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل
وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن في المسجد الحرام حيال الموضع الذي فيه الحجر
الاسود * وولد لاسمعيل اثنا عشر ولدا ذكرا وهم نابت وقيذار واربل ومسيم
ومسمع ودوما ودوام ومشى وحداد ونيم وبطور ونابسر وكل هؤلاء قد أنسل
وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه
وكان اسمعيل يأتي بالحجر من عشرة جبال ذكرت وطوله ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان
وعشرون ذراعا وسمكه سبعة اذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه والصق
المقام بالبيت وذلك قوله عز وجل "واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل" الآية
وأمر الله تعالى ابراهيم أن يؤذن في الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن
اسمعيل ثم قام من بعده أناس من جرهم لغلبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ
الحرث بن مضاض وهو أول من ولي البيت وكان ينزل هنالك في الموضع المعروف بقعيقعان
في هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها عليه وذلك في اعلى مكة وملك العماليق
السميدع بن هود بن خدر بن مازن بن لاي بن قنطورا وكان ينزل اجيادا من اسفل مكة
وكان يعشر من دخل مكة من ناحيته وكانت بينهم حروب فخرج الحرث بن مضاض
ملك جرهم تتقعقع معه الرماح والدرق فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرنا وخرج السميدع
ملك العماليق ومعه الجياد من الخيل فعرف الموضع بأجياد الى هذا الوقت فكانت على
الجرهميين وافتضحوا فسمي الموضع فاضحا الى هذا الوقت ثم اصطلحوا ونحروا الجزر
وطبخوا فسمي الموضع بمطابخ الى الآن وصارت ولاية البيت الى العماليق ثم كانت لجرهم
عليهم وأقاموا ولاة البيت نحو ثلثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحرث بن مضاض الاصغر
ابن عمرو بن الحرث بن مضاض الاكبر وزادوا في بناء البيت ورفعته على ما كان عليه من بناء
ابراهيم عليه السلام وبغت جرهم في الحرم وطغت حتى فسق رجل منهم في الحرم بامرأة

وكان الرجل يدعى باساف والمرأة نائلة فسخهما الله عزوجل حجرين صيرا بعد ذلك وثنين
وعبدا اتقربا بهما الى الله تعالى وقيل بل هما حجران نحتا ومثلا بمن ذكرنا وسميا باسمائهما
فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل
وصاروا ذوى قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة
فأتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك امية
ابن أبى الصلت الثقفى فى شعر له فقال

وجرهم دمنوا تهامة فى الـ * دهر فسالت بجمعهم اضم

(وفى ذلك) يقول الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا لاسمعيل صهرا وصلة * ولما تدر فيها علينا الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فبدلنا ربى بها دار غربة * بها الذئب يعوى والعدو المحاصر

وفيما ذكرنا من أخبارهم يقول عمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى

وكنا ولاة البيت والقاطن الذى * اليه يؤدى نذره كل محرم
سكناها قبل الظباء وراثة * لها عن بنى هى بن نبت بن جرهم

وفى ذلك يقول

كهفنا جرهم وأية كهف * وولاة لبيته والحجاب
فسقوا فى الحرام بعد تقاهم * واستعاضوا العقاب بعد الثواب

ثم صارت ولاية البيت فى ولد اياد بن نزار بن معد وكانت حروب كثيرة بين مضر واياد وكانت
لمضر على اياد فانجلوا عن مكة الى العراق * وسنورد بعد هذا جملا من أخبار مكة وولد
نزار وخزاعة وغيرهم (قال المسعودى) وقد أتينا على جمل من الاخبار فى هذا الباب من
أخبار جرهم وغيرها ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن اول ملك من ملوك جرهم ملك
بمكة مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هى بن نبت بن جرهم بن قحطان مائة سنة ثم ملك
بعده ابنه عمرو بن مضاض مائة وعشرين سنة ثم ملك بعده الحرث بن عمرو مائتى سنة
وقيل دون ذلك ثم ملك بعده عمرو بن الحرث مائتى سنة وقيل دون ذلك ثم ملك مضاض بن
عمرو الاصغر بن الحرث بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هى بن نبت ابن جرهم بن قحطان اربعين
سنة وانقرضت العرب العاربة من عاد وثمود وعبد وطسم وجديس والعماليق واياد
وجرهم ولم يبق من العرب الا من كان من عدنان وقحطان ودخل من بقى ممن ذكرنا من
العرب البائدة فى عدد قحطان وعدنان فانمحت أنسابهم وزالت آثارهم وقد كانت
العماليق بغت فى الارض فسلط الله عليهم ملوك الارض فأفنتها وقد ذكرنا فيما سلف من
هذا الكتاب عند ذكرنا الروم وأنسابها من لحق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن
اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبهم الى غير هذا النسب وهو الاشهر

فى

فى الناس وقد رثتهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم * خطير ولا ذو نخوة متشاوس
عتوا فأدال الله منهم وحكمه * على الناس هذا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتفانت فى نحو من سبعين سنة فى البرارى بما كان بينهم من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق لهم باقية فضربت بهم العرب المثل وضربت بهم الشعراء المقال فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم فى قوله

فويلى من جوى همّ رسيس * من اللاء والطسم او جديس
بنو عمّ تفانوا بالمذاكى * وباليوم الاحمّ العيطموس

وأما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا وهم قوم حنظلة بن صفوان العبسى بعثه الله اليهم فكذبوه وقد ذكرنا من خبره لمعا وقد قيل فى أصحاب الرس اوجه كثيرة غير ما ذكرنا فى هذا الكتاب وقد ذكرت هذه القبائل فى التوراة وكل يرجع الى ولد سام بن نوح من بنى ارم بن سام ومن ولده عوص بن ارم ومن ولده عابر بن ارم ومن ولده ماش بن ارم فولد عوص عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر وولد ماش بن ارم نبيط ابن ماش فصار النبط وملوكها ترجع فى انسابها الى نبيط بن ماش فحل عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح وولده الاحقاف من بلاد حضرموت وحل ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وولده اكناف الحجاز وحل جديس بن عابر بلاد جو وهى بلاد اليمامة ما بين البحرين والحجاز وهذا البلد فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيد ولد الاخيضر العلوى وهو من ولد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مجاور للبحرين ومن فيها الى هذا الوقت وحل طسم بن لوذ بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بنى جديس وحل عملوق بن لاذ بن سام بن نوح الحجاز وقد ذكرنا ولد عيلام فيما سلف من هذا الكتاب أنهم حلوا الاهواز وفارس وهو عيلام بن سام بن نوح وحل نبيط بن ماش بن ارم بن سام بن نوح بابل فغلبوا على العراق وهم النبط ومنهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وأنهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا أشر ملوك الارض فأدال منهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ما هم عليه من الذل فى هذا الوقت بالعراق وغيرها. وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف فى الدنيا الا وقد عراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبى عليه السلام منهم أكبر من النبى صلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبى صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودى) ولما لم يبال من قد منا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم المحتج عن قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبى

صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التى اعتل بها النبط فتقول قد صرنا
بعد أفضل من النبط لما امتحنا به من سلب ما جعل الله للنبط من الفضل فى شدة امتحانهم
بسلب النبى صلى الله عليه وسلم عنهم والنبط أيضا قد صاروا دون العرب اذ للعرب من فضل
النبى صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم تعزية من فضل النبط على شدة امتحانهم بتعزية
الله اياهم من النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس للنبط فتصير العرب أيضا خيرا من النبط وهذا
لا يصح لهم الا كما يصح عليهم والكلام متوجه عليهم فيما قالوه ومكافئ لعلتهم فيما أوردوه
من تفضيل النبط على العرب وقد ذكرنا تنازع الناس فى الانساب والفضل بها وبالاعمال
دون الانساب ومن قال ان العمل دون النسب وما قالته الشعوبية وغيرها فى كتابنا
المقالات فى أصول الديانات وقد ذكر أبو الحسن أحمد بن يحيى فى كتابه فى الرد على الشعوبية
عللا كثيرة وذكر أن من اختصه الله تعالى من عباده واصطفاه من خلقه اذ ذاك على طريق
الثواب أم على طريق التفضيل قال فان زعم زاعم أن ذلك ثواب خرج من معقول كلام
العرب ومفهوم خطابها لانه لا يقال لمن أعطى الاجير اجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص
فلان فلانا بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها غيره بغير جرم
وان زعموا انه تفضل قلنا لهم فاذا جاز أن يصرف الله عز وجل رحمته الى بعض خلقه بغير
عمل استحقوها به فلم لا يجوز أن يشرفهم بانسابهم وان لم تكن الانساب من اعمالهم فان
قالوا أليس من العدل أن يشرفهم بغير أعمالهم قلنا لهم أرأيتم ان عارضكم معارض فزعم انه
ليس من العدل أن يمن عليهم برحمته دون غيرهم بغير عمل كان منهم وبغير معصية كانت من
غيرهم ماذا يكون الفصل بينكم معاشر الشعوبية وبينه وقد أخبر الله عمن اصطفاه من
خلقه فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من
بعض والله سميع عليم والواجب على ذى النسب الشريف والمجد الرفيع أن لا يجعل ذلك
سلما الى التراخى عن الاعمال الموافقة لنسبه والاتكال على آبائه فان شرف الانساب
يحض على شرف الاعمال والشريف بهذا أولى اذ كان الشرف يدعو الى الشرف ولا يثبط
عنه كما أن الحسن يدعو الى الحسن ويحرك عليه واكثر المدح حين انما مدحوا باعمالهم
دون أنسابهم وهذا كثير فى أشعار الناس ومنثور كلامهم وقد قال الشاعر فى هاشم بن
عبد مناف وهو امام ذوى الانساب

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

فمدحه بعمله ولم يذكر نسبه وان كان شريفا رفيعا وانما ينبغى لذوى الانساب أن يكونوا
كما قال أخوهم وشريكهم فى النسب

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن وراثة * ابى الله أن اسمو بأم ولا اب
ولكننى احمى حماها واتقى * أذاها وأرمى من رماها بمقنب

وكما قال الآخر

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل كالذي فعلوا

(قال المسعودي) ولما خرج عمرو بن عامر وولده من مأرب انخزع بنو ربيعة فنزلوا تهامة فسموا خزاعة لانخزاعهم ولما ثارت الحرب بين اياد ومضر ابني نزار وكانت على اياد قلعت الحجر الاسود ودفنته في بعض المواضع فرأت ذلك امرأة من خزاعة فاخبرت قومها فاشترطوا على مضر انهم ان ردوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم فوفوا لهم بذلك ووليت خزاعة أمر البيت وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحي واسم لحي حارثة بن عامر فغير دين ابراهيم وبدله وبعث العرب على عبادة التماثيل لخبر قد ذكرناه في هذا الكتاب وغيره حين خرج الى الشام ورأى قوما يعبدون الاصنام فأعطوه منها صنما فنصبه على الكعبة وقويت خزاعة وعم الناس ظلم عمرو بن لحي وفي ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
سائل بعاد أين هم * وكذا الخترم الانام
وبني العماليق الذين لهم بها كان السوام

ولما اكثر عمرو بن لحي من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها وامتحنت الحنيفية منهم الا لمعا قال في ذلك سحنة بن خلف الجرهمي

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة * شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبدا * فقد جعلت له في الناس اربابا
لتعرفن بأن الله في مهل * سيصطفي دونكم للبيت حجابا

وعمر عمرو بن لحي ثلثمائة سنة وخمسا وأربعين سنة وكانت ولاية البيت في خزاعة وفي مضر ثلاث خصال الاجارة بالناس من عرفة والافاضة بالناس غداة النحر الى منى فانتهى ذلك منهم الى ابي سيارة فدفع أبو سيارة من مزدلفة الى منى أربعين سنة على حمار له ولم يعتل في ذلك حتى أدركه الاسلام فكانت العرب تتمثل به فتقول اصح من عير ابي سيارة وفي أبي سيارة يقول قائلهم

نحن دفعنا عن أبي سياره * حتى أفاض محرما حماره
* مستقبل القبلة يدعو جاره *

والنسء للشهور الحرم وكانت النسأة في بني مالك بن كنانة وكان أولهم العمليس حذيفة بن عبد ثم ولده فيه الى ابن حذيفة وورد الاسلام وآخرهم أبو ثمامة وذلك أن العرب كانت اذا فرغت من الحج وأرادت الصدر اجتمعت اليه فيقوم فيهم فيقول اللهم اني قد أحللت احد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر للعام المقبل وظهر الاسلام وقد عادت الشهور الحرم الى بدئها على ما كانت عليه في أصلها وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وما ذكر عليه السلام في هذا الحديث الى آخره فأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر الآية وقد فخر بذلك عمرو بن قيس الفراسي فقال

ألسنا الناسئين الى معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقد كان قصى بن كلاب بن مرة تزوج ابنة مليك ومليك هو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو بن لحى حين عمر ماذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف ولما حضر مليكا الوفاة وهو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ماذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته زوج قصى بن كلاب فقال انها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها وفتح الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بابى غبشان الخزاعى فباعه أبو غبشان ببعير وزق خمر فارسلت العرب ذلك مثلا فقالت اخسر من صفقة أبى غبشان فى بيعه لولاية البيت ببعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصى بن كلاب وفى ذلك يقول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى * وأظلم من بنى فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا فى شراه * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال فى ذلك آخر

اذا افتخرت خزاعة فى قديم * وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخر الفخور

وقد كانت ولاية البيت فى خزاعة ثلثمائة سنة واستقام أمر قصى وعشر على من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها فى النسب بمكة وبنو الابطح من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهرى ظاهرا وقريش البطاح هى قبائل بنى عبد مناف وبنى عبد الدار وبنى عبد العزى ابنى قصى وزهرة ومخزوم وتيم بن مرة وجمح وسهم وعدى وهم لعقة الدم وبنو عتيك بن عامر بن لؤى وقريش الظواهر بنو محارب والحرث بن فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤى وفى ذلك يقول ذكوان مولى عبد الدار للضحاك ابن قيس الفهرى

تطاولت للضحاك حتى رددته * الى نسب فى قومه متقاصر
فلو شاهدتنى من قريش عصابة * قريش بطاح لا قريش الظواهر
ولكنهم غابوا وأصبحت شاهدا * فقبحت من حامى ذمار وناصر
فريقان منهم ساكن بطن يثرب * ومنهم فريق ساكن بالمشاعر

والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصى وسهم وجمح وعدى ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لؤى وفى ذلك يقول عمرو بن أبى ربيعة المخزومى فى امرأة

ولها فى المطيبين جدود * ثم نالت ذوائب الاحلاف
انها بين عامر بن لؤى * حين تدعى وبين عبد مناف

وأخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتقرشت والتقريش الجمع ومنه قول ابن حلزة اليشكرى

اخوة قرشوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرنا وقديم

ورحلت قريش حين أخذ لها الايلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق

وفى

وفي ذلك يقول مطرف الخزاعي

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاقنا * والراحلين برحلة الايلاف

ولقريش أخبار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معد قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا ننبه بها على ما سلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

(ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وحنين النفوس للاوطان)

(ذكر) ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر انا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قد قسم الارض أقساما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهى في التشريق فهو مكروه لاحتراقه ونارية وحدته واحراقه لمن دخل فيه وما تناهى مغربا أيضا أضر بسكانه لموازاته ما أوغل في التشريق وهكذا ما تناهى في الشمال أضر ببرده وقره وثلوجه وآفاته الاجسام فأورثها الآلام وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بناريته ما اتصل به من الحيوان ولذلك صار المسكون من الارض جزأ يسيرا ناسب الاعتدال وأخذ بحظه من حسن القسمة وسأصف لك يا أمير المؤمنين القطع المسكونة من الارض (أما الشام) فسحب وآكام وريح وغمام وغدق ركام ترطب الاجسام وتبلد الاحلام وتصفي الالوان لاسيما أرض حمص فانها تحسن الجسم وتصفي اللون وتبلد الفهم وتنزح غروره وتجفي الطبع وتذهب بماء القريحة وتنضب العقول والشام يا أمير المؤمنين وان كانت على ما وصفت لك فهي مسرح خصب ووابل سكب كثرت أشجاره واطردت أنهاره وغمرت أعشاره وبه منازل الانبياء والقدس المجتبى وفيه جل أشراف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجباله مساكن المجتهدين والمنفردين (وأما أرض مصر) فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة تحمد بفضل نيلها وذمها أكثر من حمدها هواؤها راكد وحرها زائد وشرها وارد تكدر الالوان وتخبث الفطن وتكثر الاحن وهي معدن الذهب والجوهر والزمرد والاموال ومغارس الغلات غير أنها تسمن الابدان وتسود الابشار وتنمو فيها الاعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة الانام بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها (وأما اليمن) فيضعف الاجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة في أهله هم كبار ولهم أحساب وأخطار ومغايضه خصبة وأطرافه جدبة وفي هوائه انقلاب وفي سكانه اغتيال وبهم قطعة من الحسن وشعبة من الترفه وفقرة من الفصاحة (وأما الحجاز) فحاجز بين الشام واليمن والتهائم هواؤه حرور وليله سهور يخف الاجسام ويجفف الادمغة ويشجع القلوب ويبسط الهمم ويبعث على

الاحن وهو بلد محل قحط جدب ضنك (وأما المغرب) فيقسى القلب ويوحش الطبع ويطيش
اللب ويذهب بالرحمة ويكسب الشجاعة ويقشع الضراعة وفى أهله غدر ولهم خب ومكر
ديارهم مختلفة وهممهم غير مؤتلفة ولديارهم فى آخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم من أمر
يظهر وأحوال تبهر (وأما العراق) فنار الشرق وسرة الارض وقلبها اليه تحادرت
المياه وبه اتصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال فصفت امزجة أهله ولطفت اذهانهم
واحتدت خواطرهم واتصلت مسراتهم فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت
بصائرهم وقلب الارض العراق وهو المجتبى من قديم الزمان وهو مفتاح الشرق ومسلك
النور ومسرح العينين ومدنه المدائن وما والاها ولاهله أعدل الالوان وأنقى الروائح
وأفضل الامزجة وأطوع القرائح وفيهم جوامع الفضائل وفوائد المبرات وفضائله
كثيرة لصفاء جوهره وطيب نسيمه واعتدال تربته واغداق الماء عليه ورفاهية العيش به
(وأما الجبال) فخشن الاجسام وتغلظها وتبلد الافهام وتقطعها وتفسد الاحلام وتميت
الهمم لما هى عليه من غلظ التربة ومتانة الهواء وتكاثفه واختلاف مهابه وسوء متصرفاته
والاخلاق والصور يا أمير المؤمنين تناسب البلد وتحاذيه وتقارنه وتوازيه وتوافقه
وتضاهيه وكل بلد اعتدل هواؤه وخف ماؤه ولطف غذاؤه كانت صور أهله وخلائقهم
تناسب البلد وتحاذيه وتشاكل ما عليه اركانه وما اسس عليه بنيانه وكل بلد يزول عن
الاعتدال انتسب أهله الى سوء الحال (وأما خراسان) فتكبر الهام وتعظم الاجسام
وتلطف الاحلام ولاهلها عقول وهمم طامحة وفيهم غوص وتفكر ورأى وتقدير (وأما
بلاد فارس) فخصب الفضاء رقيق الهواء متراكم الماء معتمر بالاشجار كثير الثمار وفى أهله
شح ولهم خب وغرائزهم سيئة وهممهم دنيئة وفيهم مكر وخداع (وأما بلاد خوزستان)
فهى كدرة الاهواء تفسد الاحلام وتبلد الافهام وتخبث الهمم وتنسى أصل الكرم تساق
أهله سوق الانعام وهم الهمج الطغام (وأما أرض الجزيرة) فتناسب البر بالهواء
اللطيف وفيها خصب وسرح ولاهلها باس ومراس والبر يا أمير المؤمنين أفضل قطع الارض
وأسناها وأشرفها وأعلاها نحو الانجاد والتهائم لحماية الهواء الاقذاء عن سكانه ودفعه
الآفات عن قطانه وسماحة المثوى وتهذيب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار
وذهاب الاضرار واعلم يا أمير المؤمنين أن الله تبارك وتعالى قسم الارض أقساما فضل
بعضها على بعض فأفضل أقسامها العراق فهو سيد الآفاق وقد سكنه أجيال وأمم
ذوو كمال (وأما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بى الى وصفها لك لانها منازل شاسعة
وبلدان نائية كافرة طاغية وفى الذى ذكرته لك ما اشفى بك الى ما شمرت الى علمه وكل ما
وصفته فى هذه البلدان فهو الاعم من أمور أهلها والاغلب على أحوالهم فان وجد فيهم
أحد بخلاف ذلك فهو النادر يا أمير المؤمنين والحكم للاغلب (قال المسعودى) وذكر
جماعة من أهل العلم بالسير والاخبار أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أراد
الشخوص الى العراق حين بلغه ما عليه الاعاجم من الجمع ببلادهم سأل كعب الاحبار
عن العراق فقال يا أمير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شئ بشئ فقال العقل

انا لاحق بالعراق فقال العلم وأنا معك فقال المال وأنا لاحق بالشام فقالت الفتن وأنا معك فقال الخصب وأنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك فقال الفقر وأنا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وأنا معك فقال الشقاء وأنا لاحق بالبوادى فقالت الصحة وأنا معك (قال المسعودى) وأوسط الاقاليم الاقليم الذى ولدنا به وان كانت الايام أنأت بيننا وبينه وساحقت مسافتنا عنه وولدت فى قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عظيما وكانت عنايتهم اليه مصروفة وكانوا يشتون بالعراق واكثرهم يصيفون بالجبال وينتقلون فى الفصول الى الصرود من الارض والحرور وقد كان أهل المروآت فى الاسلام كابى دلف القاسم بن على العجلى وغيره يشتون فى الحرور وهو العراق ويصيفون فى الصرود وهى الجبال وفى ذلك يقول أبو دلف

وانى امرؤ كسروى الفعال * أصيف الجبال وأشتو العراقا

ولما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه واعتدال أرضه وغضارة عيشه ومادة الوافدين اليه وهى دجلة والفرات وعموم الامن فيه وبعد الخوف عنه وتوسطه الاقاليم السبعة كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان ارضه من اقليم بابل الذى تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الامور كما يقع ذلك عن القلب وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر ومن جفا من الامم واجتمعت فيهم محاسن جميع الاقطار وكما اعتدلوا فى الجبلة كذلك لطفوا فى الفطنة والتمكن بمحاسن الامور وأشرف هذا الاقليم مدينة السلام ويعز على ما اصارتنى اليه الاقدار من فراق هذا المصر الذى عن بقعته فصلنا وفى قاعته تجمعنا لكنه الزمن الذى من سجيته التشتيت والدهر الذى من شروطه الابانة ولقد أحسن أبو دلف العجلى حيث يقول

ايا نكبة الدهر التى طوحت بنا * ايادى سبا فى شرقها والمغارب
قفى بالتى نهوى فقد طرت بالتى * اليها تناهت راجعات المصائب

وقد ذكر الحكماء فيما خرجنا اليه من هذا المعنى أن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه وبكاءه على ما مضى من زمانه وأن من علامة الرشد أن تكون النفوس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة وللالف والعادة قطع الرجل نفسه لصلة وطنه وقال ابن الزبير ليس الناس بشىء من أقسامهم اقنع منهم بأوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمة بلدك عليك كحرمة والديك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك وقال آخر أولى البلدان بصبابتك بلد رضعت ماءه وطعمت غذاءه وقال آخر ميلك الى موضع مولدك من كرم محتدك وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها وقال افلاطون غذاء الطبيعة من أنفع ادويتها وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تنبت الحبة ببلل القطر وللنفوس فى علة حنينها الى الاوطان كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب طب النفوس ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر لبطل اول العلم وضاع آخره اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه

منها يستثار والفصاحة منها تستفاد وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ وأمثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس وكل غريبة منها تعرف وكل عجيبة منها تستطرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بمكانه وينزع اليه الخاصي والعامي ويميل الى روايته العربي والعجمي وبعد فانه يوصل به كل كلام ويتزين به فى كل مقام ويتجمل به فى كل مشهد ويحتاج اليه فى كل محفل ففضيلة علم الاخبار بينة على كل علم وشرف منزلته صحيح فى كل فهم فلا يصبر على فهمه وتيقن ما فيه وايراده واصداره الا انسان قد تجرد له وفهم معناه وذاق ثمرته واستسفر من غرره ونال من سروره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس ونعم الذخر ان شئت ألهتك نوادره وأضحكتك بوادره وان شئت اشجتك مواعظه وان شئت تعجبت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والبادى والحاضر والشكل وخلافه والحسن وضده وهو ميت ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق معك الا بما تهوى ولا نعلم جارا أبر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية واقل خيانة ولا ابدى نفعا ولا أحمد أخلاقا ولا ادوم سرورا ولا اسكت غيبة ولا احسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا اخف مؤنة منه ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وأيد فهمك واكثر علمك وتعرف منه فى شهر ما لا تأخذه من افواه الرجال فى دهر ويغنيك عن كد الطلب وعن الخضوع لمن انت أثبت منه اصلا وأسمح فرعا وهو المعلم الذى لا يجفوك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وهو الذى يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار ويطيعك فى السفر كطاعته لك فى الحضر وقد قال الله تبارك وتعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كاخباره عن نفسه بالكرم وفى ذلك يقول بعض أهل الادب

لما علمت بانى است اعجزهم * فوتا ولا هربا قدمت أحتجب
فصرت بالبيت مسرورا به جذلا * حاوى البراءة لا شكوى ولا شغب
فردا يحدثنى حقا وينطق لى * عن علم ما غاب عنى منهم الكتب
المؤنسون هم اللائى عنيت بهم * فليس لى فى جليس غيرهم أرب
لله در جليسى لا جليسهم * فذا عشيرهم للسوء يرتقب

وقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ويزاول مقبرة وكان لا يرى الا وفى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر واعظا أوعظ من قبر ولا ممتعا امتع من كتاب ولا شيأ أسلم من الوحدة فقيل له قد جاء فى الوحدة ما جاء فقال ما افسدها للجاهل وقد قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب ولا يعلم ما فيها

زوامل للاسفار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا * باحماله أو راح ما فى الغرائر

ذكر

ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا

تنازع الناس في اليمن وتسميته فنهم من زعم أنه انما سمي يمنا لانه عن يمين الكعبة وسمي الشام شاما لانه عن شمال الكعبة وسمي الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام نحو ما اخبر الله عز وجل عن الفرق الذي بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بين البحرين حاجزا وانما سمي العراق عراقا لمصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وأظنه مأخوذا من عراقى الدلو وعراقى القربة ومنهم من زعم أن اليمن انما سمي يمنا باليمنة والشأم شاما بالشؤمة وهذا قول يعزى الى قطرب النحوي في آخرين من الناس ومنهم من رأى انه انما سمي يمنا لان الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن وبعضهم تشاءم فوسم له هذا الاسم وسنذكر تفرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا الموضع وبعض ما قالوه في ذلك من الشعر عند مسيرهم في الارض واختيارهم البقاع وقيل انما سمي الشام شاما بالشامات في أرضه بيض وسود وذلك في الترب والبقاع وأنواع النبات والاشجار وهذا قول الكلبي وقال الشرقي بن القطامي انما سمي الشام شاما بسام بن نوح لانه أول من نزله وقطن فيه فلما سكنته العرب تطيرت من أن تقول سام فقالت شام وقيل ان سامرا انما سميت بذلك اضافة الى سام وقيل ان اول من سكنها من خلفاء بني العباس سماها بهذا الاسم وانها سر وران رآها وقد ذكر في أسماء هذه المعاقل والبقاع والامصار وجوه غير ما ذكرنا قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا

(ذكر اليمن وأنسابها وما قاله الناس في ذلك)

اختلف الناس في أنساب قحطان فحكى هشام بن الكلبي عن أبيه والشرقي بن القطامي أنهما كانا يذهبان الى أن قحطان ابن الهميسع بن نبت وهو نابت بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل ويحتجان لذلك بوجوه من الاخبار منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ورواه الهيثم عن الكلبي عن أبي صالح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة فرمى القوم نبالهم وقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد نضل فقال ارموا وأنا معكم جميعا (قال المسعودي) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره وقد ثبت أن قحطان هو يقطن وانما عرب فقيل له قحطان (وحكى ابن الكلبي) أن اسم يقطن في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح والواضح من أنساب اليمن وما تدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير والذي وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الامم وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح في نسب

قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقد كان لعابر ثلاثة
أولاد فالغ وقحطان وملكان والخضر عليه السلام من ولد ملكان فى قول كثير من الناس
وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكرا وأمهم حى بنت روق بن فزارة بن سعد بن سويد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح فولد قحطان يعرب بن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب ولدين
أحدهما عبد شمس وهو سبا بن يشجب وانما سمى سبا لسبيه السبايا فولد سبا حمير
وكهلان ابنى سبا والثانى لم يعقب وانما العقب من ولد هذين وهما حمير وكهلان فهذا المتفق
عليه عند أهل الخبرة بهما والمتيقن لديهم وكان الهيثم بن عدى الطائى يقول اسمعيل تكلم
بلغة جرهم لان اسمعيل كان سريانى اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه
هاجر بمكة على ماذكرنا فصاهر جرهم ونشأ على لغتها ونطق بكلامها ونزار تأبى أن
يكون اسمعيل نشأ على لغة جرهم ويقولون ان الله عز وجل أعطاه هذه اللغة وذلك أن
ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر واسمعيل ابن ست عشرة سنة وقيل ابن أربع عشرة سنة
فى واد غير ذى زرع ولا أنيس فحفظهما الله تعالى وأنبع لهما زمزم وعلم اسمعيل هذه اللغة
العربية قالوا ولغة جرهم غير هذه اللغة ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد
فهذا يقتضى بابطال قول من قال ان اسمعيل اعرف بلغة جرهم ولو وجب أن يكون اسمعيل
عربى اللسان لاجل جرهم لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل
مكة وقد وجدنا قحطان سريانى اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس منزلة يعرب
عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم فأعطاه فضيلة
اللسان العربى التى أعطيها يعرب بن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات
كثيرة لا يأتى عليها كتابنا هذا فى التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك
مما قد أتينا على ذكر جمل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف
وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية فى
كتابنا أخبار الزمان * وزعم الهيثم بن عدى أن جرهم بن عابر بن سبا بن يقطن هو قحطان
وتأول الهيثم قول النبى صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا يابنى اسمعيل
أنه عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما نالهم من الولايات من ولد اسمعيل
لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يزيل نسبا قد ثبت ولا يثبت نسب قوم الى غير آبائهم وقد نقلوا
ذلك قولا وعملا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلا سأله عمن هو ادعى سبا أرجلا
كان أو امرأة أو واديا أو جبلا فقال له كان رجلا وولد له عشرة فتشاءم أربعة وتيامن ستة
فالذين تشاءموا لخم وجذام وعاملة وغسان والذين تيامنوا حمير والازد ومذحج وكندة
والاشعريون وأنمار الذين هم بجيلة وخثعم وقال ابن المنذر هو أنمار بن اياس بن عمرو
ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (قال المسعودى) وقد تنوزع فى نسب
أنمار فذهب الاكثر الى أن أنمارا واياد اوربيعة ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان وانمار
دخلوا فى اليمن فاضيفوا اليه وما ذكرناه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن تيامن وتشاءم
من أخبار الآحاد وليس مجيئه مجىء الاستفاضة التى يقطع بها العذر ويثبت بها الحكم

وللناس في هؤلاء كلام كثير وقد ذكر هشام عن أبيه الكلبي قال كان يقال لسائر ولد سبا السبئيون ولم يكن لهم قبائل تجمعهم دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران الكاهن وهو أخو عمرو بن عامر وأخبار العرم والسيل وما كان من كهانتهما في أمر السد وسيل العرم وتفرق القبائل من مارب ومن لحق بعمان وشنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الارض

* (ذكر اليمن وملوكها ومقدار سنيها) *

أول من يعد من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لاية علة سمي سبأ على ما قيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس في وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبا فطال عمره وكبر سنه واستقامت له الامور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان الى ولد حمير لاخبار يطول ذكرها وتنازع في الملك ولد حمير وكهلان ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبا واتصل ملكه وغمر الناس عدله وشملهم احسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل ان أول من ملك بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذي سدد ثم ملك جبار بن غالب بن افريقس بن صيفي بن يشجب بن سبا وكان ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة وقيل ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذي المنار ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن ملطاط وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الرائش وهو ذو منار وكان ملكه مائة وثمانين سنة ثم ملك بعده أخوه المعبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وقد تنوزع في مقدار ملكه فمنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ومنهم من ذكر سبعا ومنهم من قال ستا ثم ملك تبع الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما قدمنا ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر طريف ذكرته الرواة فيما روي أنه تصور لابيها في بعض قنصه حيتان سوداء وبيضاء فأمر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن وان الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا فعلقت منه ببلقيس ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها فغابت عنه في خبر طريف وهو موجود في كتب التبابعة وانما نحكي هذه الاخبار على حسب ما وجدناه في كتب الاخباريين وعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لها وليس قصدنا من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم لانهم ينكرون هذا ويمنعونه وانما نحكي في هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق واخبار الشياطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل وما قارن ذلك من الدلائل

قوله وهو ذو الاذعار الذي في تاريخ أبي الفداء ان ذا الاذعار اسمه عمرو بن ذي المنار وبالجملة فبين ما هنا وما ذكره أبو الفداء في هذا المقام اختلاف كثير فليراجع ويحرر اه مصححه

الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الخليقة ان يأتوا بمثل هذا القرآن الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من أمرها
مع سليمان عليه السلام ماذكر الله عز وجل فى كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص
من أمرهما فملك سليمان اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم
ناشر النعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده كليكرب بن
تبع وكان ملكه ثلثمائة سنة وعشرين سنة وسكن قومه نحو الشرق من بلاد خراسان
والتبت والصين وسجستان ثم ملك بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك
فى ملكه تنازع وخلاف وكان ملكه الى أن قتل خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده عمرو بن
تبع وهو القاتل لأخيه حسان الملك الماضى وكان ملكه أربعا وستين سنة ويقال انه
عدم النوم لما كان من فعله فى قتل أخيه ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك
السائر من اليمن الى الحجاز وكانت له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه
من كان معه من أحبار اليهود فكساها القصب اليمانى وسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على
اليمن اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة ثم ملك عمرو بن تبع
بعد تفرق وتنازع كان بينهم فى الملك ثم خلع عن الملك وملكوا عليهم مرثد بن كلال وكان
فى اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده وكيعة بن مرثد وكان ملكه
تسعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح بن وكيعة بن مرثد وهو الذى يدعى شيبة
الحمد وكان ملكه ثلاثا وتسعين سنة وقيل أقل من ذلك وكان علامة وله سير مدونة
ثم ملك بعده عمرو بن ذى قيعان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ذو شناتر
ولم يكن من أهل بيت الملك فغرى بالاحداث من أبناء الملوك وطالبهم بما يطالب به النسوان
وأظهر الفسق باليمن واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وانصف المظلوم وكان ملكه ثلاثين
سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وقتله يوسف ذونواس وكان من أبناء الملوك خوفا على
نفسه وانفة أن يفسق به ثم ملك بعده يوسف ذونواس بن زرعة بن تبع الاصغر بن
حسان بن كليكرب وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الموضع من كتبنا وما كان من أمره مع
أصحاب الاخدود وتحريقه اياهم بالنار وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه فقال
قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود واليه عبرت الحبشة من بلاد ناصع والزيلع
وهو ساحل الحبشة على حسب ماذكرنا الى بلاد زبيد من أرض اليمن فغرق يوسف
نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة وقيل
أقل من ذلك وذلك أن النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس باتباع المسيح عليه
السلام وما يعذبهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث اليه الحبشة وعليهم ارباط
ابن اصحمة فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم بن يكسوم فقتله وملك اليمن
فلما بلغ ذلك من فعله الى النجاشى غضب عليه وحلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه
ويطأ تربته يعنى أرض اليمن فبلغ ذلك أبرهة فجز ناصيته وجعلها فى حق من العاج
وجعل دمه فى قارورة وجعل من تراب اليمن فى جراب وانفذ ذلك الى النجاشى ملك الحبشة

وضم الى ذلك هدايا كثيرة وألطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه فى طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه وقد انفذت الى الملك ناصيتى فليجزها بيده وبدمى فى قارورة فليهرقه وبجراب من تربة بلادى فليطأه بقدميه وليطفئ الملك عنى غضبه فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه * وأبرهة بن يكسوم هو الذى سار باصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى انوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بابى رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال فى الطريق بموضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره بعد ذلك وفى ذلك يقول جرير بن الخطفى فى الفرزدق

اذا مات الفرزدق فارجموه * كما ترمون قبر أبى رغال

(قال المسعودى) رحمه الله وقيل ان ابا رغال وجهه صالح النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات الاموال فخالف أمره واساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسى بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته فى أهل الحرم فقال غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على ابى رغال نحن قسى وقسا ابونا وفى ذلك يقول امية بن أبى الصلت الثقفى

نفوا عن أرضهم عدنان طرا * وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس ابا رغال * بمكة اذ يسوق بها الوضينا

وفى ذلك يقول عمرو بن درالك العبدى

ترانى ان قطعت حبال قيس * وخالفت المرور على تميم
لاعظم من فخار أبى رغال * واجور فى الحكومة من سذوم

وقال مسكين الدارمى

وأرجم قبره فى كل عام * كرجم الناس قبر ابى رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم فى ذلك قال وفى طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهند نحو النظامية موضع يعرف بقبر العبادى ترجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبى رغال وللعبادى خبر طريف قد أتينا على ذكره فى كتاب اخبار الزمان وفى كتاب حدائق الاذهان وفى اخبار أهل البيت رضى الله عنهم فكان ملك ابرهة على اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت انامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذى اوله حجة العدد وسنذكر بعد هذا فى الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم وتاريخ الانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى (ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده يكسوم) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة (ثم ملك بعده مسروق بن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه فى الاذى وكانت أمه من آل ذى يزن

قوله والهند فى نسخة والهبير وليحرر اه

قوله العدد فى نسخة العدر وفى أخرى العذر وليحرر اه

وكان سيف بن ذى يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فأقام ببابه سبع سنين وابى أن ينجده وقال أنتم يهود والحبشة نصارى وليس فى الديانة أن ينصر المخالف على الموافق فمضى الى كسرى أنوشروان فاستنجده ومت اليه بالقرابة وسأله النصرة فقال له كسرى وما هذه القرابة التى ادليت بها الى فقال أيها الملك الجبلة وهى الجلدة البيضاء اذ كنت اقرب اليك منهم فوعده انوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذى يزن فاتى ابنه معدى كرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سأل عن حاله قال لى قبل الملك ميراث فوقف بين يدى انوشروان فسأله عن ميراثه فقال أنا ابن الشيخ الذى وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهرز الاصبهبذ الديلمى فى أهل السجون فقال ان فتحوا فلنا وان هلكوا فلنا وكلا الوجهين فتح فحملوا فى السفن ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم حتى اتوا ابلة البصرة وهى برج البحر ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا فى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب فخرجوا من السفن وقد كان اصيب بعضهم فى البحر فأمرهم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلموا انه الموت ولا وجه يؤملون المفر اليه فيجهدون أنفسهم وفى ذلك يقول رجل من حضرموت

اصبح من مثوب الف فى الجنن　＊　من رهط ساسان ورهط مهرسن

ليخرجوا السودان من ارض اليمن　＊　دلهم قصد السبيل ذو يزن

فى شعر له طويل وغما خبرهم الى ملك اليمن مسروق بن ابرهة فاتاهم فى مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس وتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقوهم الخبر واستشعروا الصبر ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لاصحاب السفن فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل من كبير الى صغير وكان بين عينى مسروق ياقوتة حمراء معلقة فى تاجه بعلاق من الذهب تضئ كالنار فرمى وهرز وسط القوم وقال وهرز لاصحابه قد رميت ابن الحمارة فانظروا ان كان القوم يجتمعون عليه و يتفرقون عنه فقد هلك فنظروا اليهم يجتمعون ويتفرقون عنه فاخبروه بذلك فقال احملوا على القوم واصدقوهم فانكشفت الحبشة وأخذهم السيف ورفع رأس مسروق ورؤس خواص الحبشة ورؤسائهم فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا وقد كان انوشروان اشترط على معدى كرب شروطا منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفى ذلك يقول الشاعر

على أن ينكحوا النسوان منهم　＊　وأن لا ينكحوا فى الفارسينا

فتوج وهرز معدى كرب بتاج كان معه وقفازات من الفضة البسه اياها ورتبه فى ملكه على اليمن وكتب الى انوشروان بالفتح وخلف هناك جماعة من أصحابه وكان جميع ما ملكت الاحابش اثنتين وسبعين سنة وكان ملك مسروق بن ابرهة الى أن قتل ثلاث سنين وذلك لخمس وأربعين خلت من ملك انوشروان واتت معدى كرب الوفود من العرب تهنيه بالملك فاتاه

عبد المطلب وجد امية بن أبي الصلت وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفادته على ابن ذي يزن في هذا الكتاب فيما بعد وما قيل من الشعر وفي مسير الفرس الى اليمن ونصرتهم على الحبشة يقول بعض أولاد فارس

نحن خضنا البحار حتى فككنا * حميرا من بلية السودان
بليوث من آل ساسان شوس * يمنعون الحريم بالمران
وببيض بواتر تتلالا * كسنى البرق في ذرى الابدان
فقتلنا مسروق اذ تاه لما * أن تداعت قبائل الحبشان
وفلقنا بافوية بين عينيه بنشابة الفتى الساساني
وهرز الديلمي لما رآه * رابط الجأش ثابت الاركان
وحوينا بلاد قحطان قسرا * ثم سرنا الى ذرى غمدان
فنعمنا فيه بكل سرور * ومننا على بني قحطان

وفي ذلك يقول البحتري يمدح ابناء العجم ويذكر فضل الفرس على أسلافه لانه من قحطان

فكم لكم من يد يزكو الثناء بها * ونعمة ذكرها باق على الزمن
ان تفعلوها فليست بكر أنعمكم * ولا بد كأياديكم على اليمن
ايام جلى انوشروان جدكم * غيابة الذل عن سيف بن ذي يزن
اذ لا تزال خيول الفرس دافعة * بالضرب والطعن عن صنعا وعن عدن
انتم بنو المنعم المجدي ونحن بنو * من فاز منكم بفضل الطول والمنن

(قال المسعودي) واتت معدي كرب الوفود من العرب تهنيه بعود الملك اليه وأشراف العرب وزعماؤها وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وخويلد بن اسد بن عبد العزى ابن قصي وجد امية بن أبي الصلت الثقفي وقيل أبو الصلت ابوه فدخلوا اليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان وهو مضمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفه بين يديه وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء المتاول فتكلمت الخطباء ونطقت الزعماء وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم فقال عبد المطلب ان الله جل جلاله قد احلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في اكرم معدن واطيب موضع وموطن فانت ابيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي يخطب له وأنت أيها الملك ذروة العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي تلتجئ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يخمد ذكر من انت سلفه ولن يهلك من انت خلفه أيها الملك نحن أهل الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي أبهجنا من كشف الكرب فرحا ونحن وفد التهنئة لا وفد الرزية فقال له الملك وايهم أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال الملك معدي كرب بن سيف ابن اختنا قال نعم قال أدنوه مني فأدناه ثم أقبل عليه وعلى الوفد فقال لهم مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا مرتجلا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة

ما اقتم والحباء اذا اعطيتم ثم قام أبو زمعة جد امية بن أبي الصلت الثقفي فأنشأ يقول

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن * فى لجة البحر اجوالا واحوالا
حتى اتى ببنى الاحرار يحملهم * تخالهم فى سواد الليل اجبالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ما ان رأيت لهم فى الناس امثالا
ارسلت اسدا على سود الكلاب فقد * امسى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * فى رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم * وأسبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ولمعدى كرب بن سيف بن ذى يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن اخبره بها فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحبا جميع الوفد وانصرفوا وقد اتينا على ما كان من أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان فاغنى عن اعادته ووصفه (قال المسعودى) وأقام معدى كرب بن سيف بن ذى يزن ملكا على اليمن واصطنع عبيدا من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب فى بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة (قال المسعودى) وأما عبيد بن شرية الجرهمى حين وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها فانه ذكر أن أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده الحرث بن شداد بن ملطاط بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الرائش وهو ابرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ملك بعده افريقس بن ابرهة مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهو ذو الصرح سنة ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس ثم ملك بعده رحبعم بن سليمان سنة ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعد رحبعم بن سليمان ناشر النعم بن يعفر بن عمرو ذى الاذعار خمسا وثلاثين سنة وقد قيل فى تسميته ذا الاذعار خبر تاباه العقول وتنكره النفوس كون مثله فى العالم ويجوز كون ذلك فى المقدور وانه انما سمى ذا الاذعار لانه وصل الى قوم فى اقاصى مفاوز اليمن وحضرموت مشوهى الخلقة عجيبى الصورة وجوههم فى صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك اذعرهم ما شاهدوا من ذلك وجزعت منه نفوسهم فسمى ذا الاذعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته ثم ملك بعده عمرو بن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة ثم ملك بعده من ولده كليكرب بن تبع وهو تبع أبو كرب اسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده كلال بن سويب اربعا وسبعين سنة ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع ثم ملك بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ثلاثا وسبعين سنة ثم ملك بعده ذو شناتر بن

زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة ثم ملك بعده لخنيعة
ويعرف بذي الشناتر أربعا وثمانين سنة فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة وانما
ذكرنا ماحكيناه عن عبيد بن شرية في ترتيب ملوكهم وتباين تواريخ سنيهم لنأتي على جميع
ماقيل في ذلك من التنازع والله ولي التوفيق ولما قتلت الحبشة معدي كرب بن سيف بن ذي
يزن على حسب ماقدمنا في الرحبة بحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهرز في جماعة من العجم
ممن كان ضمهم وهرز الى معدي كرب فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة
وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب انوشروان الملك وذلك بالمدائن من أرض
فارس فأعلم وهرز بذلك الملك فسيره في البر في أربعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن
وأن لا يبقى على أحد من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط قد شرك السودان في نسبه فاتى
وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان
وهرز على اليمن الى أن هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان ثم ملك
بعده حوراد الشهر ثم ملك بعده ابن سيحان ثم ملك بعده المرزبان حرجسوا وكان من
أهل بيت مملكة فارس ثم ملك بعده حرحس وكان مولده باليمن ثم ملك بعده باذان بن
ساسان (قال المسعودي) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد
ملك اليمن رجل من ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وهو يعد من ملوك اليمن واسمه هينمة
ابن اميم بن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم في اليمن وطالت
أيامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال

وهينمة الذى زادت قواه * على زيدان اذ حان الزوال
تمكن قائما وبنى طريقا * الى زيدان اعمط لا ينال

ويقال انه هينمة بن أميم بن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل
بمدينة ظفار مثل آل ذي شعر وآل ذي الكلاع وآل ذي اصبح وآل ذي يزن الا اليسير
منهم فانهم نزلوا غيرها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر أسود

يوم شيدت ظفار قيل لمن انت فقالت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذاك فقالت * ان ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذاك فقالت * ان ملكي لفارس الاحرار
وقليلا ما يلبث القوم فيها * منذ شيدت مشيدها للبوار
من اسود يلقيهم البحر فيها * تشعل النار في أعالي الديار

وهذا خبر عن ملوك تداولوها أخبروا عن ملكهم قبل كونه فتداولتها الملوك على حسب ما
وصفنا وينتظر في المستقبل من الزمان ماذكرنا من وقود النيران في أعالي الديار وعند أهل
اليمن أن ديارهم سيغلب عليها الاحابش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن وأحداث وبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عمال كسرى ثم غلب الاسلام فظفر بحمد الله * وقد
أتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك وسيرهم ومطافاتهم في البلاد وحروبهم وأبنيتهم في
سائر مطافاتهم في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب * وبلاد اليمن

قوله فذلك ألف الخ هكذا في النسخ وهو لا يطابق ماقبله الا بتكلف فتدبر ولذلك قال صاحب تواريخ الامم كما في تاريخ أبي الفداء ليس في التواريخ أسقم من تاريخ ملوك حمير لما يذكر فيه من كثرة سنيهم مع قلة عدد ملوكهم الخ ما قال فانظره اه مصححه

قوله حوراد في بعض النسخ حوادر وفي بعضها حددان وليحرر اه

طويل عريض حده ممايلي مكة الموضع المعروف بلجة الملك سبع مراحل الى صنعاء ومن صنعاء الى عمان وهو آخر عمل اليمن تسع مراحل والمرحلة من خمسة فراسخ الى ستة والحد الثانى من حكم وراحا الى مابين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلى الوجه الثالث بحر اليمن على ماذكرناه انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون مرحلة فى ست عشرة مرحلة وأسماء ملوك اليمن كذى يزن وذى نواس وذى منار وغير ذلك مضافة الى مواضع والى أفعال لهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم تميزهم عن غيرهم وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم * واذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم للحوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم)

ولما ملك جذيمة الوضاح أتت عليه الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن السميدع ابن هوبر وقد كان ملك من مشارق الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيرة بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا وقد كانت الزباء تملكت بعد أبيها وأطمعت جذيمة فى نفسها الى أن قتلته وأقام جذيمة ملكا فى زمن ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة وفى ملك اردشير بابك وسابور الجنود بن اردشير ثلاثا وعشرين سنة فكان ملكه مائة سنة وثمانى عشرة سنة وكان يكنى بأبى مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سويد بن كاهل اليشكرى

ان اذق حتفى فقبلى ذاقه * طسم عاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القيل الذى * قتلته بنت عمرو بالخدع

وكان الملك قبل جذيمة اباه وهو اول من ملك الحيرة والله أعلم وكان يقال له مالك بن فهم ابن دوس بن الازد بن العوف بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر من يقيا فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق فغلب على مضر بن نزار اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ماذكرنا ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحرث ابن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودار ملكه واليه تنسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة فكان ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودى) وقد ذكر غير واحد ممن عنى بأخبار العرب وأيامها أن جذيمة أول من ملك من قضاعة وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخى وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لى عن غلام من اياد له ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسى والقيام على راسى لكان الرأى قالوا الرأى ما رأى الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من انت قال انا عدى بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه فعشقته رقاش ابنة مالك أخت الملك فقالت يا عدى اذا اسقيت القوم فامزج لهم وعرق للملك فاذا أخذت الخمر منه فاخطبنى

قوله مالك بن فهم الخ مخالف لسياق ابى الفداء فى تاريخه ونصه مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن وهزان بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد والازد من ولد كهلان بن سبأ الخ فليراجع وقوله ثم ملك بعده ابنه جذيمة الذى فى التاريخ المذكور أن الذى ملك بعده اخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعده جذيمة فليحرر اه مصححه

منه فانه يزوجك فأشهد القوم ان فعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فأشهد عليه وانصرف الغلام اليها فانبأها فقالت عرس بأهلك ففعل فلما أصبح غدا متضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ما هذه الآثار يا عدى قال آثار العرس قال أى عرس قال عرس رقاش فنخر وأكب على الارض ورفع عدى جراميزه وهرب واسرع جذيمة فى طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدّثينى رقاش لاتكذبينى * أبحرّ زنيت ام بهجين
أم بعبد فانت أهل لعبد * أم بدون فانت أهل لدون

فاجابته رقاش تقول

انت زوّجتنى وما كنت أدرى * واتانى النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك فى الصبا والجنون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها فى قصره فاشتملت على حمل وولدت غلاما فسمته عمرا ورشحته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه منه محبة ومودّة حتى اذا خرج الملك فى سنة مكلئة فبسط له فى أرضه وخرج عمرو فى غلمة يجنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة طيبة اكلوها واذا أصابها عمرو خبأها ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم ويقول

هذا جناى وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

فالتزمه جذيمة وحباه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر فكف عنه اذ أقبل رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فنصبت قدرا وأصلحت لهما طعاما فبينما هما يأكلان اذ أقبل رجل اشعث أغبر الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب ومدّ يده فناولته القينة طعاما فأكل فلم يغن عنه شيأ فمدّ يده فقالت القينة ان يعط العبد كراعا طلب ذراعا فأرسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكت زقها فقال عمرو بن عدى

عدلت الكاس عنا أم عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شرّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

فقال له الرجلان من أنت فقال ان تنكرانى فانى تنكرا حسبى أنا عمرو بن عدى فقاما اليه فلثماه وغسلا رأسه وقلما أظفاره وقصرا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا ما كنا لنهدى الى الملك هدية هى انفس عنده ولا هو عليها احرص من ابن أخته قد رده الله اليه فخرجا به حتى اذا وقفا على باب الملك بشراه به فصرفه الى أمه وقال لهما حكمكما فقالا حكمنا منادمتك ما بقيت وبقينا قال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعى فى مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كانى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

قوله اليربوعى فى بعض النسخ التميمى وقوله يوم البطاح فى بعض النسخ النطاح بالنون وايحرر اه

وقال أبو خراشة الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

وان أم عمرو عمدت اليه فبعثت معه حفدة يقومون عليه في الحمام حتى اذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها ثم أمرته بزيارة خاله فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق وأقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة أمره وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع ابن هوبر ملكة الشام والجزيرة من أهل بيت عاملة من العماليق كانوا في سليح وقال بعضهم بل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي وهي اليوم خراب وكانت فيما ذكر قد سقفت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية وجعلته أنفاقا بين مدائنها وكانت تغزو بالجنود فخطبها جذيمة الابرش فكتبت اليه اني فاعلة ومثلك من رغب فيه فاذا شئت فاشخص الي وكانت بكرا فجمع عند ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فأشاروا عليه بالمضي وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فأمره أن لا يفعل وكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا لم تقع في حبالها فعصاه وأطاعهم حتى اذا كان ببقة من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فأمروه بالشخوص اليها ما علموا من رأيه في ذلك وقال قصير تنصرف ودمك في وجهك فقال جذيمة ببقة قضي الامر فأرسلها مثلا وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم لا يطاع لقصير امر فأرسلها مثلا وظعن جذيمة حتى اذا عاين مدينتها وهي بمكان دون الخانوقة ونظر الى الكتائب دونها فهاله ما رأى فقال أي قصير ما الرأى فقال قصير اني تركت الراى ببقة فقال عند ذلك أشر علي فقال ان لقيتك الكتائب فحيتك بتحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة وان هم أخذوا بجنبيك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق يعني فرسا كانت جنبت معه فاستقبله القوم وأحاطوا به فلم يركب العصا فعمد اليها قصير فركبها وحمل وانطلق فالتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به فقال جذيمة ما ضل من تجري به العصا فأدخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كعثبها (اى عفلها) وتضفرت باستها وقالت يا جذيمة أي متاع عروس ترى قال أرى متاع امة لكعاء غير ذات خفر فقالت أما والله ما ذاك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكن شيمة ما أناس ثم أجلسته على نطع ودعت له بطست من عسجد فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة في غير طست طلب بدمه فقالت أي جذيم لا تضيعن من دمك شيأ فاني انما بعثت اليك لانه بلغني أن دمك شفاء من الخبل فقال جذيمة وما يغنيك من دم اضاعه أهله وفي ذلك يقول المتلمس

من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المجنة والخبل

واستصفت دمه وجعلته في برنية وقال بعضهم دخل عليها جذيمة في قصرها ليس فيه

الا الجواري

الا الجواري وهي على سريرها فقالت للاماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هي قد عقدت شعر استها من وراء فقالت أشوار عروس ترى فقال بل شوار أمة بترا فقالت أما والله ما ذاك من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس ثم أمرت برواهشه فقطعت فجعلت دمه يشخب في النطع كراهة أن يفسد مقعدها فقال جذيمة لا يحزنك دم أراقه أهله ونجا قصير فأورد الخبر على عمرو بن عبد الجن التنوخي بالحيرة فأشفق لذلك فقال له قصير اطلب بثأر ابن عمك والا سبتك العرب فلم يحفل بذلك أن عنده خبرا فخرج قصير الى عمرو بن عدي فقال له هل لك الى أن أصرف الجنود اليك على أن تطلب ثأر خالك فجعل له ذلك فصرف وجوه الجنود اليه ومناهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى هو والتنوخي فلما خافوا الفتن بايعه التنوخي وتم الامر لعمرو بن عدي فقال له قصير انظر ما وعدتني به في الزباء فقال عمرو وكيف لنا بها وهي أمنع من عقاب الجو فقال أما اذا أبيت فاني جادع أنفي وأذني ومحتال لقتلها جهدي فأعني وخلاك ذم فقال له عمرو أنت أبصر وعلي معونتك فجدع أنفه فقيل لامر ما جدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت فقال أنا قصير لا ورب المشارق ما كان على وجه الارض بشر كان أنصح لجذيمة ولا أغش لك مني حتى جدع عمرو أنفي وأذني فعرفت أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فقالت اي قصير نقبل منزلتك وتصرفك في بضاعتنا فأعطته مالا للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فاستخف ما فيه بأمر عمرو بن عدي وانصرف به اليها فلما رأت ما جاءها به فرحت بذلك وزادته مالا الى ما جاء به وقال انه ليس من ملك الا وهم يتخذون في مدائنهم أنفاقا تكون لهم عددا فقالت له أما اني قد فعلت ذلك قد نقبت سربا وبنيته من تحت سريري هذا حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختي دخلة ففرح بذلك قصير ثم ظعن حتى أتى عمرا فركب عمرو في ألفي رجل على ألف بعير في الصناديق حتى صار اليها فقدم قصير وسبق الابرة فقال لها اصعدي حائط مدينتك وانظري الى مالك وتقدمي الى بوابك فلا يعرض لشيء من أموالنا فاني قد جئت بمال صامت وكانت قد أمنته فلم تكن تخافه وصعدت وفعلت ما أمرها فلما نظرت الى ثقل مشي الجمال قالت

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا (٢)

ودخلت الابل المدينة حتى اذا بقي آخرها جلاعيل صبر البواب فطعن بمخصرة كانت في يده خاصرة رجل فضرط فقال البواب بشتا بشتا بالنبطية أي في الجوالق شر وثار الرجال من الجوالق ضربا بأسيافهم فخرجت الزباء هاربة الى سربها فأبصرت قصيرا عند نفقها مصلتا سيفه فانصرفت راجعة وتلقاها عمرو بن عدي فضربها وقال بعضهم مصت خاتما كان فيه سم ساعة وقالت بيدي لا بيد عمرو وخربت المدينة وسبيت الذراري فقالت الشعراء في أمرها وأمر قصير فأكثرت فمن ذلك قول المتلمس

ومن طلب الاوتار ما جز أنفه * قصير ورام الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صرع القوم رهطه * تبين في أثوابه كيف يلبس

قوله من تحت الفرات الخ في الشريشي وكان الفرات يشق بين قصريهما وقوله دخلة كذا في النسخ وفي الشريشي الخزانية وليحرر اه مصححه

(٢) قال الجوهري الصرفان جنس من التمر قالت الزباء ما للجمال الخ قال أبو عبيدة لم يكن يهدى لها شيء كان أحب اليها من التمر الصرفان وأنشد
ولما أتتها العير قالت أبارد
من التمر أم هذا حديد وجندل

ومن ذلك قول عدى بن زيد التميمي يصف ذلك من أمرهم

ألا أيها الملك المرجى * ألم تسمع بخطب الاولينا
دعا بالبقة الأمراء يوما * جذيمة عصر ينجوهم معينا
وطاوع أمرهم وعصى قصيرا * وكان يقول لو وقع اليقينا
لخطبته التي غدرت وخانت * وهن ذوات غائلة لحينا

مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الزباء لا تأتي حصنا الا أضفرت شعر استها من خلفه ثم تقاعست فتقلعه حتى فعلت ذلك بمارد حصن دومة الجندل وبالابلق حصن تيماء الفرد حصن بن منيعين فقالت تمرد مارد وعز الابلق وهما الحصنان اللذان تذكرهما العرب في أشعارها قال الاعشى في ذلك

بالابلق الفرد من تيماء منزله * حصن حصين وجار غير غدار

وجذيمة الوضاح الذي يقول فيه

ماست مودعة الحديث فخذ منهم وغابر
أن تاه أحور ذو رعيـ * ـن لنا وأحوى ذو أباعر
والملك كان لذي نوا * س حوله من ذي بحائر
بالسابقات وبالقنا * والبيض تبرق والمغافر
أزمان علاق وفيـ * ـهم منهم وبادو حاضر

وانما سمي جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص فكني به اعظاما له (قال المسعودي) هذا بدو خبر بني عدى وقد قدمنا أن مدة ملكه كانت سنة وملك بعده ولده امرؤ القيس بن عمرو ابن عدى ستين سنة وملك بعده عمرو بن امرئ القيس وهو محرق العرب خمسا وعشرين سنة وكانت أمه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة وكانت أمه الهيجانة بنت سلول من فراد ويقال من اياد وملك المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذي بنى الخورنق وكردس الكراديس خمسا وثلاثين سنة وكانت أمه هند بنت الهيجانة من آل بكر وملك المنذر بن الاسود بن النعمان بن المنذر أربعا وثلاثين سنة وكانت أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن قصى بن دعا بن خويلد ابن أسد بن ربيعة بن سرار وانما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها ثم ملك بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه أخت عمرو بن قابوس من آل نصر ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية بن معديكرب وملك النعمان بن المنذر وهو الذي يقال له أبيت اللعن اثنين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب (وذكر عدة من الاخباريين) أن النابغة استأذن على النعمان يوما فقال له الحاجب ان الملك على شرابه قال فهو وقت الملق تقبله الافئدة وهو جذل للرحيق فان تلج تلق المجد عن غرر واهبه فأنت قسيم ما أفدت قال له الحاجب ما تفي عنايتي بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ما طلبت رهبة التعدى قال النابغة ومن عنده قال الحاجب خالد بن جعفر الكلابي نديمه فقال النابغة هل لك الى أن تؤدى الى خالد عني ما أقول لك قال وما هو

قال تقول ان من يدرك وفاء الدر لبك وتأديتي من الشكر ما قد علمت فلما صار خالد الى بعض ما تعشقه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك التمام حادث النعيم قال وماذاك فأخبره الخبر وكان خالد رفيقا بأتي الاشياء بلطف وحسن بصيرة فدخل متبسما وهو يقول

الا ملك أو من أنت سابقه * سبق الجواد اذا استولى على الامد

واللات لكاني أنظر الى ذي رعين وقد مدت لهم قصبان المجد الى معالم احسانكم ومناقب أنسابكم في حلبة أنت أبيت اللعن غرتها فجئت سابقا منهملا وجاؤا لم يلم الهم سعى قال النعمان لانت في وصفك أبلغ احسانا من النابغة في نظام قافيته فقال خالد ما أبلغ فيك حسنا الا وهو دون قدرك استحقا قا للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضرا لقال وقلنا فأمر النعمان بادخاله فخرج الحاجب فقال قد أذن بفتح الباب ورفع الحجاب ادخل فدخل ثم انتصب بين يديه وحياه بتحية الملك وقال أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائد العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أيمن من يومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولوعدك أصلح من رفده ولعبيدك أكثر من قومه ولاسمك أشهر من قدره ولنفسك أكبر من جده وليومك أشهر من دهره ثم قال

أخلاق مجدك جلت مالها خطر * في الجود والناس بين العلم والخبر
متوج بالمعالي فوق مفرقه * وفي الوغا ضيغم في صورة القمر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر فحشي فوه جوهرا ثم قال بمثل هذا فليمدح الملوك وقد كان النعمان قتل عدي بن زيد التميمي وكان يكتب لكسرى ابرويز ويترجم اذا وفد عليه زعماء العرب لوجدة وجدها عليه النعمان في خبر طويل الشرح فلما قتل صار زيد بن عدي مكان أبيه فذكر لابرويز جمال نساء آل المنذر ووصفهن له فكتب الى النعمان يأمره أن يبعث اليه بأخته فلما قرأ النعمان كتابه قال للرسول وهو زيد بن عدي يا زيد أما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطا الى العربيات فقال زيد انما أراد الملك اكرامك أبيت اللعن بصهرك ولو علم أن ذلك يشق عليك لما فعله وسأحسن ذلك عنده وأعذرك بما يقبله فقال النعمان فافعل فقد تعرف ما على العرب في تزويج العجم من الغضاضة والشناعة فأدى اليه قوله في مها السواد على أقبح الوجوه وأوجده عليه وقال ما المها انما المها البقر فأخذ عليه وقال رب عبد قد صار في الطغيان الى أكثر من هذا فلما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طي لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بني رواحة بن ربيعة بن مازن ابن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالوا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فجزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبي سلمى

ألم تر للنعمان كان بنجوة * من الدهر لو أن امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة * من الدهر يوما واحدا كان غاويا
فلم أر مسلوبا له مثل ملكه * أقل صديقا معطيا ومواسيا
خلا أن حيا من رواحة حافظوا * وكانوا أناسا يتقون المخازيا

يسيرون حتى حبسوا عند بابه * هجان المطايا والعتاق المذاكيا
فجازاهم خيرا وأثنى عليهم * وودعهم توديع أن لا تلاقيا

وأقبل النعمان حتى أتى المدائن فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين فلما صار النعمان بينهن قلن له أما فينا للملك غنى عن بقر السواد فعلم النعمان أنه غير ناج منه ولقيه زيد بن عدي فقال له النعمان أنت فعلت هذا بي لئن تخلصت لأسقينك بكأس أبيك فقال له زيد امض نعيم فقد أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الأرن وأمر كسرى بالنعمان فحبس في مجلسه بساباط المدائن ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة وقال بعضهم بل مات في محبسه بساباط وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثرت فمن ذلك قول الأعشى وأجاد

ولا الملك النعمان يوما لقيته * بغبطته يعطى الصحف ويرفق
ويجبى اليه المسلمون وعنده * صريفون في أنهارها والخورنق
ويقسم أمر الناس يوما وليلة * وهم ساكتون والمنية تنطق
فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

وقال هانئ بن مسعود الشيباني

ان ذا التاج لا أبا لك أضحى * في الورى رأسه تخوت الفيول
ان كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاه مر البليل

ومما رثي به النعمان

لم تبكه هند ولا أختها * حرقاء واستعجم ناعيه
بين فيول الهند تخبطه * مختبطا تدمى نواحيه

(وقد كان النعمان) حين أراد المضي الى كسرى مستسلما مر على بني شيبان فأودعهم سلاحه وعياله عند هانئ بن مسعود بن هانئ الشيباني فلما أتى كسرى على النعمان بعث الى هانئ بن مسعود وطالبه بتركته فامتنع وأبى أن يخفر الذمة فكان ذلك السبب الذي أهاج حرب ذي قار وقد أتينا على ذلك فيما بعد من هذا الكتاب فأغنى عن اعادته ههنا (وقد كانت) حرقاء بنت النعمان بن المنذر اذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخز والوشي ثم تقبل في جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها فلما هلك النعمان نكبها الزمان فأنزلها من الرفعة الى الذلة ولما وفد سعد بن أبي وقاص القادسية أميرا عليها وهزم الله الفرس وقتل رستم فأتت حرقاء بنت النعمان في حفدة من قومها وجواريها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيتكن حرقاء قالت ها أنا ذه قال أنت حرقاء قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال تنقل أهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان الدولة فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم أنشأت تقول

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدى بن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

قال فبينما هى واقفة بين يدى سعد اذ دخل عمرو بن معديكرب وكان زوارا لأبيها فى الجاهلية فلما نظر اليها قال أنت حرقاء قالت نعم قال فما دهمك فأذهب بجودات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فأكرمها سعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حى أحيك بتحية ملوكنا بعضهم لبعض لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم (قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى) فهؤلاء ملوك الحيرة الى أن ظهر الاسلام فأظهره الله وأذل الكافرين فجميع من سمينا من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الابرش على حسب ما قدمنا آنفا فى صدر هذا الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى ابرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائى فكان ملكه تسع سنين وثمانية أشهر مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد كان كذلك قبل عمرو بن عدى ملوك الحيرة على حسب ما ذكرنا وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكا من بنى نصر وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان عمران الحيرة وبدوه الى أن خربت فى وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة (قال المسعودى) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذى ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بنى العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعى الخراب اليها واقفرت فى هذا الوقت ليس بها الا الصدى والبوم وعند كثير من أهل الدراية بما يحدث فى المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران وأن هذا النحس عنها سيزول وكذلك الكوفة (قال المسعودى) ولمن سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان وفيما بعد من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته

(ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها من الملوك)

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هود ثم ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه وما اقتص من أمره ثم غلبت الروم على ديارها فتفرقوا فى البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا فى النصرانية على من حوى الشام من العرب وكان أول من ملك

من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ثم ملك بعده الحوارى ابن النعمان ولم يملك من تنوخ الا ماذكرنا وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الازد بن دبرة ابن ثعلب بن حلوان بن الحاق بن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع فى قضاعة أمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تأبى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ماذكرنا وقد قيل فى نسب قضاعة واتصالها بحمير ماذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشأم فغلبت على تنوخ وتنصر من ملكته الروم على العرب الذين بالشأم وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة عمرو بن عامر بن سبا فسارت غسان الى الشأم من ولد مازن وذلك أن الازد بن الغوث بن نبت بن ملك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك (وفى ذلك) يقول حسان بن ثابت الانصارى

إما سألت فانا معشر نجب * الأزد نسبتنا والماء غسان

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر سيل العرم وتفرقهم فى البلاد وخبر الماء المعروف بغسان وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكا وغلبت غسان على من بالشأم من العرب فملكها الروم على العرب فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشأم الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الازد بن الغوث ثم ملك بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو وذكر أنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة وهى التى ذكرتها الشعراء فى أشعارها وتنسب جماعة من ملوك غسان اليها وملك بعده النعمان بن الحرث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو ثم ملك بعده عوف بن أبى شمر وكان ملكه حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك جبلة بن الايهم ابن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن مازن وهو غسان بن الازد بن عوف وهو الملك الذى امتدحه حسان بن ثابت الانصارى حيث يقول فى شعر طويل

أشهرنها فان ملكك بالشأ * م الى الروم فخر كل يمانى

(وفيه يقول أيضا)

لمن الدار أقفرت بمعان * بين أعلى اليرموك والصمان

دن قريات من ثلاثين عدت * ناسكا منه بالقصور الدوان

قد دنا الفصح والولائد ينظمـ * ـن سراعا أكلة المرجان

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ * ـر وحقا تصرف الأزمان

صلوات المسيح فى ذلك الديـ * ـر دعاء القسيس والرهبان

وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق وأعمالها بين الجولان واليرموك (وذكر عدة) من الاخبار بين أن حسان بن ثابت الانصارى زار الحرث بن أبى شمر الغسانى وكان النعمان بن المنذر اللخمى يساميه فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة (١) لقد نبئت أنك تفضل النعمان على

(١) الفريعة بجهينة اسم أم حسان رضى الله عنه قاله الجد ام

فقال وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولأمك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أشرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغمر من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع الا فى شعر فقال

نبئت أن أبا منذر * يساميك للحرث الاصغر
قفاك أحسن من وجهه * وأمك خير من المنذر
و يسرى يديك على عسرها * كيمنى يديه على المعسر

(وكانت ديار ملوك غسان) باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ومنهم من نزل الاردن من أرض الشأم وجبلة بن الايهم هو الذى أسلم وارتد عن دينه خوف العار والقود من اللطمة وخبره واضح مشهور وقد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر أخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرهما ممن ملك الشأم ودعا النبى صلى الله عليه وسلم الغسانى الى الاسلام ورغبه فى الايمان وقد أتينا على خبره وما كان من اسلامه وأخباره مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابنا أخبار الزمان فيما بعد (وفى أبيه) يقول النابغة

هذا غلام حسن وجهه * مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث الا * صغر والحرث خير الانام
ثم لهند ولهند وقد * أسرع فى الخيرات منه امام
وخمسة آباؤهم ماهم * أكرم من يشرب صوب الغمام

فجميع من ملك من ملوك غسان بالشأم أحد عشر ملكا وقد كان بالشأم ملوك ببلاد مآرب من أرض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك مدائن قوم لوط من أرض الاردن وبلاد فلسطين وكانت خمس مدن فكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم وكانت سمة كل ملك يملكها فارعا وكذلك ذكر فى التوراة وذكر اسماء هذه المدن أعرضنا عنه اذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ومعد ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها اذ كان لا أسماء لهم تعمهم وتشهرهم كقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشى ولئلا يطول الكتاب بذكرهم وقد أتينا على سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك فى بعض الممالك فى سائر الامم الخالية والممالك الباقية من البيضان والسودان ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الاخبار عنه وانما ذكرنا فى هذا الكتاب من الملوك ما اشتهر ملكه وعرفت مملكته ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز وتنبيها على ما سلف من أخبارهم فى كتبنا المتقدم ذكرها من تصنيفنا والله الموفق

{ذكر البوادى من العرب وغيرها من الامم وعلة سكناها}
{البدو وجمل من أخبار العرب وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى}

وقد تقدم ذكرنا لولد قحطان وأن من عداهم من العرب العاربة دثرت من عاد وطسم وجديس

وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار وسائر من سمينا وان من بقى ممن ذكرنا دخلوا فى العرب الباقية الى هذا الوقت وهم قحطان وسعد ولا يعلم أن قبيلا بقى يشار اليه فى الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والاذواء وشيد البنيان فى الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كافريقش بن أبرهة وما بنى بالمغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية وما كور من الكور هنالك وما اتخذ من العمائر وكسير شمر الى أرض المشرق وبنائه سمرقند (١) ومن خلف هنالك من حمير بها وببلاد التبت (٢) والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف (وقد افتخر) دعبل بن على الخزاعى فى قصيدته التى يرد فيها على الكميت وفخر دعبل بمن سلف من ملوكهم وسيرفى الارض وأن لهم من الفضل ماليس لمعد بن عدنان فقال فى شعره

هم كتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الصين كانوا الكاتبينا (٣)
وهم جمعوا الجموع بسمرقندا * وهم غرسوا هناك التبتينا

(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لايدعون بالتبابعة ممن تقدم وتأخر منهم حتى ينقاد الى ملكه أهل الشحر وحضرموت فحينئذ يستحق أن يسمى تبعا ومن تخلف عن ملكه ممن ذكرنا سمى ملكا ولم يطلق له اسم تبع وقد قال الله عز وجل فى قصة قريش وتفاخرها بقوتها وعددها أهم خير أم قوم تبع الآية حين دخل الحرم فبعث الله عليه الظلة واغا سمى تبعا بمن تبعه وكذلك حكى عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أبو كرب سار فى الارض ووطئ الممالك وذللها ووطئ أرض العراق فى ملك الطوائف وعميد الطوائف حينئذ جور بن سابور فلقى أبو كرب ملكا من الطوائف يقال له قتاد وليس بقتاد بن فيروز من الساسانية فانهزم قتاد وأتى تبع أبو كرب على ملكه وملك العراق والشأم والحجاز وكثيرا من الشرق (وفى ذلك يقول) تبع ويذكر ما صنع

ورد الملك تبع وبنوه * ورثوهم جدودهم والجدودا
اذ جبينا جيادنا من ظفار * ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستبحنا بالخيل ملك قتاد * وابن أقلود قائما مصفودا
فكسونا البيت الذى حرم الله * ملاء مقصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا * وسجدنا عند المقام سجودا

(وقال أيضا فيه)

لست بالتبع اليمانى ان لم * تركض الخيل فى سواد العراق
أو تؤدى ربيعة الخراج قسرا * أو تعقنى عوائق العواق

(وقد كانت) لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وأنمار وتداعت بجدها نزار وتواهبت ما كان بينهما من الدماء والتأر فكانت لهم غلبة ففى ذلك يقول أبو دواد الايادى

ضربنا على تبع حربه * حبال البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هاربا * وكان جبانا كثير الرهب

(١) قال المجد شمر بن افريقش ككتف غزا مدينة السغد فقلعها فقيل شمر كند أو بناها فقيل شمر كنت وهى بالتركية القرية فعربت سمرقند واسكان الميم وفتح الراء لحن اه

(٢) التبت كسكر بلاد بالمشرق ينسب اليها المسك الاذفر قاله المجد اه

(٣) قوله بباب مرو فى نسخ بدار مرو اه

وابتعه فهوى للجبين * وكان العزيز بها من غلب

(وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق
النسب الى نزار بن معد بن عدنان فلنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى
ابن الافعى الجرهمي ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب مع علة سكنى
البوادي من عرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والاودية وسائر البراري والقفار (ذكر)
عدة من أخباريي العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد اياد وبه كان يكنى وأنمار وبجيلة وخثعم
من ولده على ما قيل اذ كان فيما ذكرنا تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس
من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزار الوفاة دعا بنيه
ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالي فلك ثم أخذ بيد مضر فأدخله
قبة له حمراء من أدم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالي فلك ثم أخذ بيد ربيعة وقال له هذا
الفرس الادهم والخباء الاسود وما أشبههما من مالي فلك ثم أخذ بيد انمار وقال له هذه البدرة
والمجلس وما أشبههما من مالي فلك فان أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الافعى بن
الافعى الجرهمي وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزار الا قليلا حتى
هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا وانحوا الافعى حتى اذا كانوا منه
على يوم وليلة من أرض نجران وهم في مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذي ترون
أثره أعور فقال أنمار وانه لابتر قال ربيعة وانه لازور وقال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا ان
رفع اليهم راكب يوضع بن راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال في وجوهكم قال
اياد بعيرك أعور قال فانه لاعور قال أنمار بعيرك أبتر قال فانه لابتر قال ربيعة بعيرك أزور قال
فانه لازور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم فأين بعيري دلوني عليه قالوا
والله ما حسسنا لك بعيرا ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيأ قالوا
ما رأينا بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الافعى استأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا
وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيري ثم حلفوا أنهم ما رأوه فدعا به
الافعى فقال ما تقول فقال أيها الملك هؤلاء ذهبوا ببعيري وهم أصحابه فقال لهم الافعى
ما تقولون قالوا رأينا في سفرنا هذا اليك أثر بعير فقال اياد انه لاعور قال وما يدريك أنه أعور
قال رأيته مجتهدا في رعي الكلا من شق قد لحسه والشق الآخر وافر كثير الالتفاف لم
يمسه فقلت انه أعور وقال انمار رأيته يرمي ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت أنه أبتر
وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه أزور وقال مضر رأيته
يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلا الملتف الغض فلا ينهش منه حتى يأتي ما هو
أرق منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الافعى صدقتم قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه
التمس بعيرك ثم قال الافعى للقوم من أنتم فأخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال
ما خطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الافعى وكيف تحتاجون الي وأنتم على ما أرى
قالوا أمرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم فأنزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن اليهم
ويكرم مثواهم والطافهم بأفضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفا أديبا

فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأتني بها فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص
من شهد فأكلوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال اياد صدقتم
لولا أن نحله في هامة جبار فوعاها الغلام فلما حضر غداؤهم وجيء بالشواء فاذا بشاة مشوية
فأكلوها وقالوا ما رأينا شواء أجود شيا ولا أرخص لحما ولا أسمن منه فقال أنمار صدقتم لولا
أنه غذي بلبن كلبة ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا ما رأينا خمرا أرق ولا أعذب ولا أصفى
ولا أطيب رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمها نبت على قبر ثم قالوا ما رأينا منزلا
أكرم قرى ولا أخصب رجلا من هذا الملك قال مضر صدقتم لولا أنه لغير أبيه فذهب الغلام الى
الافعى فأخبره بما كان منهم فدخل الافعى على أمه فقال أقسمت عليك الا ما أخبرتيني من أنا ومن
أبي فقالت يا بني وما دعاك الى هذا أنت ابن الافعى الملك الاكبر قال حقا لتصدقيني فألح عليها
قالت يا بني ان أباك الافعى الذي تدعى له كان شيخا قد ثقل فخشيت أن يخرج هذا الملك عنا أهل
البيت وقد كان قدم الينا شاب من أبناء الملوك فدعوته الى نفسي فعلقت بك منه ثم بعث الى
القهرمان فقال أخبرني عن الشهد الذي بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال انا أخبرنا بدبر
في طف فبعثت اليه من يشوره فأخبروني أنهم هجموا على عظام نخرة منكرة في ذلك الطف
فاذا النحل قد عملت في جمجمة من تلك العظام فأتوا بعسل لم أر مثله فقدمته الى القوم لجودته
ثم بعث الى صاحب مائدته فقال ما هذه الشاة التي شويتها لهؤلاء القوم قال اني بعثت الى
الراعي ان ابعث الي بأحسن شيء عندك فبعث بها الي وما سألته عنها فبعث الى الراعي أن أعلمني
خبر هذه الشاة قال انها أول ما ولدت من غنمي عام أول فماتت أمها فبقيت وكانت كلبة لي قد
وضعت فأنست السخلة بجراء الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم أجد في غنمي مثلها
فبعثت بها اليك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ما هذا الخمر الذي سقيت لهؤلاء القوم قال من
حبة كرم نبتت غرستها على قبر أبيك فليس في العرب مثل شرابها فقال الافعى ما لهؤلاء القوم
ان هم الا شياطين ثم أحضرهم فقال ما خطبكم قصوا علي قصتكم فقال اياد ان أبي جعل لي
خادمة شمطاء وما أشبهها من ماله فقال ان أباك ترك برسا فهي لك ورعاؤها مع الخادم قال أنمار
ان أبي جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله قال فلك ما ترك أبوك من الرقة والا[illegible]
والارض فقال ربيعة ان أبي جعل لي فرسا أدهم وبيتا أسود وما أشبههما من ماله قال فان أباك ترك
خيلا دهما وسلاحا فهي لك وما فيها من عبيد فسمي ربيعة الفرس فقال مضر ان أبي جعل لي قبة
حمراء من ادم وما أشبهها من ماله فقال ان أباك ترك ابلا حمراء فهي لك وما أشبهها من ماله فصارت
لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمي مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوانهم جرهم بمكة
فأصابتهم سنة فأهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها ويصل اخوته
وذهب ما كان لانمار من شاء في تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت
اليها أنفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بأمر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء
بابلهم فتشعبوا البلاد وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي يد أنمار عظم يتعرقه قد جاء به في
ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب في عنق مضر فتأوه مضر وصاح عيني عيني وتشاغل به اخوته
فركب أنمار بعد ان أكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان في عقبه ما ذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار

الدبر بالموحدة وبفتح الدال وكسرها جماعة النحل والزنابير جمع ادبر ودبور اه من القاموس

الاربعة اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا من مضر الحمراء لما ذكرنا من أمر القبة
وكذلك تفتخر مضر فى كلامها المنثور والمنظوم وربيعة الفرس وربيعة القشم من الفروسية
والشجاعة والنجدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس واياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه
وأنمار وقد بينا الخلاف فى تفرع نسله وما قاله النسابون فى عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما
أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر ما حلوا به من الديار وتشعب
أنسابها وتسلسلها فأتى الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها
فمنعنا ذلك من اعادته فى هذا الكتاب (فلنذكر) الآن الغرض من هذا الباب الذى به ترجم واليه
نسب من سكنى من حل البدو من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والكرد والنبجة
والبربر ومن تقطن بالبرارى وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم (تباين الناس) فى
السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول ممن سكن الارض
سكنوا احينا من الزمان لم يبنوا بناء ولا شيدوا وامدنا وكان سكناهم فى شبه الاكواخ (١) والمظال
ثم ان نفرا منهم أخذوا فى ابتناء المساكن وخلف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة
منهم على سجيتها الأولى فى البيوت والاظلال ينتجعون الاماكن الرفهة الخصبة ويتنقلون عنها
اذا أجدبت فمضت هذه الطائفة على نهج الاقدمين (وذكرت) طائفة ان أول ذلك أن الناس
لما نضب عنهم الطوفان الذى أهلك الله به الارض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من
نجا فى طلب البقاع الخصبة المتخيرة وانفرد من انفرد بانتجاع الارضين وحلول البيداء وآخرون
بقاعا تخيروها كمن ابتنى اقليم بابل من النبط ومن سلم من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمروذ بن
كنعان بن سنجارب بن نمروذ الاول ابن كوش بن سام بن نوح وذلك حين تملك على اقليم بابل من قبل
الضحاك وهو بيوراسب وكمن حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا فى باب مصر
وأخبارها فى هذا الكتاب وكمن عمر الشأم من الكنعانيين وكمن حل بوادى البربر وهم هوارة
وزناتة وضريسة ومعولة ورمحولة ونفرة وكامة ولواتة وهرانة ورلويه ونفوسه ولعطه وصدسة
ومعموره وعفاره وفاطه ووارثه واسمه وبنوا سحين وارلته وهى مو رمانه وبنو وكلان وبنو
نصر ران وبنو دو وعس وبنو منهوسا وصنهاجة ومن سكن من أنواع الاجناس من الاحابش
وغيرهم الغابة المعروفة بغابة المبرابرية سون ورعوين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير
الغابة واتسع فى هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين
من بلاد الشأم وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل داود
عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم تملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب
الى موضع يعرف بلوبيه فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومعوله وضريسة الجبال من تلك
الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهى بلاد طرابلس المغرب
الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا
أرضهم الى جزائر البحر الرومى فسكن الاكثر منهم جزيرة صقليه وتفرقت البربر ببلاد افريقية
وأقاصى ديار المغرب فى نحو من مسافة ألفى ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة
الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر. واختارت البربر سكنى الجبال والاودية

(١) الكوخ بالضم والكاخ بيت مسنم من قصب بلا كوة الجمع أكواخ وكوخان وكيخان وكوخة قاله المجد اه

والرمال والدهاس (٢) واطراف البرارى والقفار (ومن بحر افريقية) وصقلية يخرج
المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر أقيانس وغير هؤلاء ممن ذكرنا من الامم من سكن
قطع الارض وابتنى المدائن شرقا وغربا (ورأت العرب) أن جولان الارض وتخير بقاعها على
الايام أشبه بالعز وأليق بذى الانفة وقالوا التنكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء
أصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من أجل ذلك (وذكر آخرون) أن القدماء من العرب
لما ركبهم الله من سمو الاخطار ونيل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من العزة والهرب
من العار بدأت التفكر فى المنازل والتقدير للمواطن فتأملوا شأن المدن والابنية فوجدوا
فيها معرة ونقصا وقال ذو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها
الآفات والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح اذ الهواء ربما قوى فاضر
بأجسام سكانه وأحال أمزجة قطانه وقال ذو الآراء منهم ان الابنية والتحويط حصر عن
التصرف فى الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى
الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة وزعموا أيضا أن الابنية والاطلال تحصر الغذاء وتمنع
اتساع الهواء وتسد سروحه عن المرور وقذاه عن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون
فيه من حصر ومنازلة ضر هذا مع ارتفاع الاقذاء وسماحة الاهواء واعتزال الوباء ومع
تهذيب الاحلام فى هذه المواطن ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن مع صحة الامزجة وقوة
الفطنة وصفاء الالوان وصيانة الاجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع
الهواء القضاء وفى هذا الأمن من العاهات والاسقام والعلل والآلام فآثرت العرب سكنى
البوادى والحلول فى البيداء فهم أقوى الناس همما وأشدهم أحلاما واصحهم أجساما وأعزهم
جارا وأحماهم ذمارا وأفضلهم جوارا وأجودهم فطنا لما أكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضاء
لان الابدان تحتوى أجزاؤها على متكاثف الاكدار وعناء الاقذار بما يرتفع اليه ويتلاطم
فى عرصاته واقفة من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ففى اكنافه جميع ما يتصعد
اليه وكذلك تراكيب الاقذاء والادواء والعاهات فى أهل المدن وتركبت فى أجسامهم
وتضاعفت فى أشعارهم وأبشارهم ففضلت العرب على سائر ما عداها من بوادى الامم المعترضة
لما ذكرنا من تخيرها الاماكن وارتياد المواطن (قال المسعودى) وكذلك جانبوا فطانة الاكراد
وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم حزون الارض ودهاسها
وذلك أن هذه الامم الساكنة هذه الجبال والاودية تناسب أخلاقها مساكنها فى انخفاضها
وارتفاعها لعدم استقامة الاعتدال فى أرضها فلذلك أخلاق قطانها على ما هى عليه من الغلظ
(وذكر) الهيثم بن عدى والشرقى القطامى وغيرهما من الاخباريين انه وفد على كسرى
أنوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها واختيارها
البدو فقال أيها الملك ملكوا الارض ولم تملكهم وامنوا من التحصين بالاسوار واعتمدوا
على المرهفات الباترة والرماح الشامرة حسا وحصنا فمن ملك قطعة من الارض فكأنها
كلها له يردون منها خيارها ويقصدون الطافها قال فأين حظوظهم من الفلك قال من تحت
الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدى مشترفين على الارض بحسب ذلك قال فما نجاحها قال

اكثرها

(٢) قال المجد الدهس المكان السهل ليس برمل ولا تراب كالدهاس كسحاب اه

أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس قال فكم الرياح قال أربع فاذا
انحرفت واحدة منهن قيل نكباء وما بين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب وما بازائهما
مما يستقبلهما من المغرب شمال وما جاء من وراء الكعبة فهى دبور وما جاء من قبل ذلك
فهى صبا قال فما أكثر غذائهم قال اللحم واللبن والنبيذ والتمر قال فما خلائقهم قال العز
والشرف والمكارم وقرى الضيف واذمار الجار واجارة الخائف واداء الحالات وبذل المهج فى
المكرمات وهم سرلة الليل وليوث القيل وعمار البر وأنس القفر ألفوا القناعة وسبقوا
للضراعة لهم الاخذ بالثار والانفة من العار والحماية للذمار قال كسرى لقد وصفت هذا
الجيل كرما ونبلا وما أولانا بانجاح ذلك فيهم فتخيرت العرب فى البرارى والمهمهات والمصاف فمنهم
المنجد والمتهم ممن سكن أغوار الارض كغور بيسان وغور غزة من أرض الشام من بلاد
فلسطين والاردن ومن سكنه من لخم وجذام ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع
ملكية يعرجون عليها كالرها والسماوة والتهائم وأنجاد الارض والبقاع والقيعان والوهاد
ولست ترى قبيلا من العرب تزل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كماء ضارج
وماء العقيق والسباط وما أشبه ذلك من المياه (وأما أجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع
الناس فى بدئهم فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان
وانضافوا الى الجبال والاودية دعتهم الى ذلك الانفة وجاوروا ما هنالك من الامم الساكنة
المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية ولكل نوع من
الاكراد لغة لهم بالكردية ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن
مرد بن صعصعة بن هوازن وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان
ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر وقد اعتصموا فى الجبال طلبا للمياه والمراعى فحالوا
عن اللغة العربية لما جاورهم من الامم ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما
السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه
المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء
الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا
فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى ان الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره فى هذا الكتاب
الذى تنازعت فيه الفرس والعرب من أى الفريقين هو أنه خرج بكتفيه حيتان لا يهدآن الا
بأدمغة الناس فأفنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة وافاه افريدون بهم
وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كابيان فأخذ افريدون الضحاك وقيده فى جبل
نهاوند على ما ذكرنا وقد كان وزير الضحاك فى كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط أدمغتهما
ويطعم تينك الحيتين اللتين فى كتفى الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فتوحشوا وتناسلوا
فى تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وما ذكرنا من خبر الضحاك
فالفرس لا يتناكرونه ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة (وللفرس) فى أخبار الضحاك
مع ابليس أخبار عجيبة هى موجودة فى كتبهم وتزعم الفرس ان ناهور المقدم ذكره فى ملوك
الفرس هو نوح النبى عليه السلام وتفسيره ادريس بالفارسية النهلوية وهى الاولى الراية

والمطرد والعلم (وأما الترك وأجناسها) فقد قدمنا كثيرا من أخبارها وقد غلط قوم فزعموا أن الترك من ولد طوج بن افريدون وهذا غلط ولى طوج على الترك وسلم على الروم وكيف توليه عليهم وهم ولده وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوج بن افريدون بل لطوج فى الترك عقب مشهور والمعظم فى أجناس الترك هم التبت وهم من حمير على حسب ما ذكرنا أن بعض التبابعة رتبهم هنالك وما قلناه من الاكراد فالاشهر عند الناس والاصح من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة ابن نزار فاما نوع من الاكراد وهم الشاهجان ببلاد ما بين الكوفة والبصرة وهى أرض الدينور وهمدان فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار بن معد والعاخرذان وهم من الكيكان ببلاد اذربيجان والهلبانية والسراة وما حوى بلاد الجبال من الباذنجان والكريه والبارد لكان والبارنجان والبارسان والحالبة والجبانارقيه والحاوانيه والمسكان ومن حل بلاد الشام من الدبابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى وديارهم مما يلى الموصل وجبل الجودى (وفى الاكراد) من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادى العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والخلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد عرس ونصيبين وبست مما يلى بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من ارض العقص والملوح والحب (قال المسعودى) فأما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها فى الجاهلية والاسلام كيوم الهباة وحروب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل وتغلب وهى حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم حرار ومقتل جساس بن زهير ويوم ذى قار ويوم شعب جبلة وما كان من بنى عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الداثرة وغيرها وتفريقها فى البلاد ونذكر جملا من آرائها ودياناتها فى الجاهلية وما ذهبت اليه فى الغيلان والهواتف والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام وغير ذلك من شيمها وبالله التوفيق

ذكر ديانات العرب وآرائها فى الجاهلية وتفرقها فى البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

كانت العرب فى جاهليتها فرقا منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقنا أن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى وقد تقدم ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا الى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته فى الفترة كقس بن ساعدة الايادى ورباب الشنى وبحيرا الراهب وكانا من عبد القيس (وكان من العرب) من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الآية وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا البدن ونسكوا لها النسائك وأحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال الى قول أهل الدهر وهؤلاء الذى حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم)

من

من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عنجهيته الراكب لهجميته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين أخبر الله عزوجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون وقوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك في ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالى ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف قلعية وسبعة أذرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح وجعل الاخرى في الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة (١) والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا وفي ذلك يقول عبد المطلب

أعطى بلا شح ولا مشاح * سقيا على رغم العدو الكاشح (٢)
بعد كنوز الحلى والصفائح * حلا لبيت الله ذي المسارح

وكان قد نذران رزقه الله عزوجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم اليه وهو عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الابل في خبر طويل (وقد كان) أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم فنزل بالموضع المعروف بمحسب فأتى بعبد المطلب بن هاشم فأخبر أنه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبي صلى الله عليه وسلم في جبينه فقال له سلني يا عبد المطلب فأبى أن يسأله الا ابلا له فأمر بردها وقال ألا تسألني الرجوع فقال أنا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه منك وانصرف عبد المطلب الى مكة وهو يقول

يا أهل مكة قد وافاكم ملك * مع الفيول على أنيابها الزرد
هذا النجاشي قد سارت كتائبه * مع الليوث عليها البيض تتقد
يريد كعبتكم والله مانعه * كمنع تبع لما جاءها حرد

وأمر قريشا أن تلحق ببطون الاودية ورؤس الجبال من معرة الحبشة وقلد الابل النعال وخلاها في الحرم ووقف بباب الكعبة وهو يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا (٣)
ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم أن يخربوا قراكا

ويقول

يارب ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك

فأرسل الله عليهم الطير الابابيل أشباه اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فأهلكهم الله عزوجل (وقد ذكرنا) خبر أبي رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دلهم وهلاكه في الطريق وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن نفيل ابن حبيب الخثعمي ليدلها على الطريق ونفيل يسمع كلام الحبشة وسؤالها عنه وقد ربع لما عمهم من البلاء وانفرد عن جماعتهم يؤمل الخلاص وقد تاهوا فأنشأ يقول

ألا ردي حي لك باردينا * نعماكم مع الاصباح عينا

(١) الرفادة شئ كانت تترافد به قريش في الجاهلية تخرج فيما بينها مالا تشترى به للحاج طعاما وزبيبا للنبيذ وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم والسدانة واللواء لبني عبد الدار قاله الجوهري

(٢) الكاشح الذي يضمر لك العداوة قاله الجوهري

(٣) قوله يارب الخ رواه الزرقاني لاهم الخ
وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن الخ وروى ابدا بدل عدوا اه

فانك لو رأيت ولن تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وقد ذكرنا ما كان منهم في هلاك عنيدهم فيما سلف من هذا الكتاب فلما صدهم الله عز وجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول

أيها الداعي لقد أسمعتني * ثم ما بي عن نداكم من صمم
ان للبيت لربا مانعا * من يرده بأثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت * حمير والحي من آل قرم
فانثنى عنه وفي أوداجه * جارح أمسك عنه بالكظم
قلت والاشرم يرمي خيله * ان ذا الاشرم غر بالحرم
نحن آل الله فيما قد مضى * لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة * ثم عادا قبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة * صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة * يدفع الله بها عنا النقم

(قال المسعودي) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله اني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فأنشأ يقول

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق (١)
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لها وارث وأشرقت الارض وأوري بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

قالوا وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازي ونقلوا هذا المديح من قول العباس وما كان من سرور النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعرين شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم على مواطن ادعوها وتغلغلوا الى شبه بعيدة استخرجوها فمنعهم ما تقدم من أوائل العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفي كتبهم ومن حذاق مميزيهم من فرق المحمدية والعليانية وغيرهم من فرق الغلاة منهم اسحق بن محمد النخعي المعروف بالاحمر في كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن علي في نقضه لكتاب الصراط وذكره المعروف بالهنكي في

نقضه

(١) قوله بل نطفة في المواهب بل نطفة
وكتب شارحه الامام الزرقاني
أي مستقرة في صلب سام بن نوح
بعد انتقالها من نوح فمن ولده الى
آدم واذا صح اطلاقها عليه والا
فلم تكن تكونت حينئذ وفي رواية
بل نطفة وفيه ما فيه من التعظيم
والهروب من لفظ نطفة ونسر
أحد الاصنام التي عبدها قوم
نوح والصالب الصلب وأسقط
بعد تنقل الخ
وردت نار الخليل مكتتما
في صلبه أنت كيف يحترق
وخندف بكسر الخاء المعجمة
والدال المهملة آخره فاء في الاصل
المشي بهرولة ثم جعل علما على
امرأة الياس بن مضر وهي ليلى
القضاعية لما خرجت تهرول
خلف بنيها الثلاثة عمرو وعامر
وعمرو حين ندلهم ابل فطلبوها
وأبطؤا عليها ثم ضرب مثلا
للنسب العالي في كل شيء لانها
كانت ذات نسب واسقط بعد حتى
احتوى الخ
وأنت لما ولدت أشرقت الا
رض وضاءت بنورك الافق
اه وفيه زيادات لا نعلمها
هذا الهامش اهمصححه

نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط وهؤلاء محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العليائية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والنميرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح فى أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول أحمد بن حائط وابن يالوس وجعفر القاضى الى من نجم فى وقتنا ممن تقدم وتأخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ممن أحدث تفريعا على ما سلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وأصحاب أبى يعقوب المزابلى ثم أصحاب السوق ومن تأخر عنهم وفارقهم فى أصولهم مثل أبى جعفر محمد بن على اللقانى المعروف بابن أبى القراقر وغيرهم من أمم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق فى هذا الوقت ممن يراعى وقت الناهور وأصحاب حجج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول بالتناسخ وأن الارواح تنتقل فى شئ من الاجسام الحيوانية وأحالوا على القديم عز وجل أن يجوز عليه شئ مما تقدم فى كتابنا آنفا (وقد) تغلغل بنا الكلام فى ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس فى عبد المطلب فمنهم من رأى أنه كان مؤمنا موحدا وانه لم يشرك بالله عز وجل ولا أحد من آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأنه نقل فى الاصلاب الطاهرة وانه أخبر انه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبى صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق فى النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل فريق منهم وما اتى به قوله فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس فى الامامة وفى كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصى ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعى فى المنعقب معادا وبعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب وأوصاه بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد تنوزع فى اسم أبى طالب فمنهم من رأى أن اسمه ما وصفنا ومنهم من رأى أن كنيته اسمه وان على بن أبى طالب رضى الله عنه كتب فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبى صلى الله عليه وسلم وكتب على بن أبو طالب باسقاط الالف (١) وقد ذكر عبد المطلب فى شعر له وصية أبى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال

أوصيت من كنيته بطالب * بابن الذى قد غاب ليس آيب

وقد كان أكبر العرب ممن يقى ودثر يقر بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) فى ملك النمروذ بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التى نسفت صرح النمروذ ببابل من أرض العراق فبات الناس ولسانهم سريانى وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمى الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك فى ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفى ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ما ذكرنا فى صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد وعبيل وجديس وثمود وعملاق وطسم ووبار وعبد بن ضخم فسار يعرب بن

(١) قوله باسقاط الالف كأنه فرق بين الاسم والكنية فى اثبات الالف والمعروف ان الف ابن تحذف اذا وقعت بين علمين لا فرق بين الاسم والكنية واللقب اه مصححه

قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ومن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول

انا ابن قحطان الهمام الافضل * الابين المعرب ذى المهلل

ياقوم سيروا فى الرعيل الاول * انا الندى باللسان المسهل

الابين المنطق غير المشكل * حثيرت والاتبة فى تبلبل

ياقوم سيروا فى الرعيل الاول * نحو يمين الشمس فى تمهل

فحل باليمن على ما وصفنا آنفا من هذا الكتاب (وسار بعده عاد بن عوص) بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انى انا عاد الطويل البادى * وسام جدى ابن نوح الهادى

فقد رأيتم يعرب الزبادى * وسوقه الطارف والتلادى

فحل بالاحقاف وأدانى الرمل بين عمان وحضرموت واليمن وتفرق هؤلاء فى الارض فانتشر منهم ناس كثير منهم جيرون بن سعد بن عاد حل بدمشق فمصر مصرها وجمع عمد الرخام والمرمر اليها وشيد بنيانها وتسمى ارم ذات العماد وقد روى عن كعب الاحبار فى ارم ذات العماد غير هذا وهذا الموضع بدمشق فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع يعرف بجيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس عجيبة بعضها على ما كانت عليه والبعض على مسجد الجامع وقد ذكرنا فيما مر خبر بنى أسهود (وسار بعد عاد بن عوص) ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انا الفتى الذى دعى ثمودا * ياقوم سيروا ودعوا الترديدا

لعلنا أن ندرك الوفودا * فنلحق البادى لنا الصديدا

انا أبينا المعرب الجنيدا * وعاد ماعاد الفتى الجليدا

فنزل هؤلاء الحجر الى فرع وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وخبر نبيهم صالح عليه السلام وانهم نحو وادى القرى بين الشأم والحجاز (وسار بعد ثمود) جديس بن عملاق ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انا جديس والمسير المسلكا * فدتك نفسى ياثمود المهلكا

دعوتى فقد قصدت نحوكا * اذ ثارت العيس وأبدت شخصكا

وقد قلنا فيما سلف انهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة (وسار بعد جديس) عملاق بن لاوذ بن ارم ابن سام بن نوح ومن تبعه وهو يقول

لما رأيت الناس ذا تبلبل * وسار منا ذو اللسان الاول

وحدتنا فى اللحاق الاول * فسرت حثا بالسوام المهمل

فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ومنهم من سار الى بلاد مصر والمغرب وقيل ان هؤلاء بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من الحق من العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بقطور بن اسحق ابن ابراهيم الخليل وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ما ذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت فى مواضع من الشأم وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر

ممالكهم وحروبهم فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع
ابن نون مع ملك العماليق وأنهم انضافوا الى ملك الروم على مشارق الشام والمغرب والجزيرة
من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فمن ملك الروم) من العماليق أذينة بن السميدع الذى
ذكره الاعشى فى قوله

أزال أذينة عن ملكه * وأخرج من ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة بن طرب ويقال هو الذى يعرف بأمه ثم ملك
عمرو بن طرب ويقال هو الذى كان يعرف بأمه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدى
ابن مالك حروب كثيرة فقتله جذيمة على ما ذكرنا وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر

كأن عمرو بن زبا لم يعش ملكا * ولم يكن حوله الرايات تختفق
لاءم جذيمة من ضرساء مشعلة * فيها خراشف بالنيران ترتشق

(ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول

انى أنا طسم وجدى سام * سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما * قلت لنفسى ألحقى السواما
أخال عملاقا وذا الاقدام * يافث لا كان ولى حام

فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدو وانتشروا فى الارض على حسب ما ذكرنا
من مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فملكت عليها عملق
ابن جديس وقد ذكرنا عبيد بن شرية الجرهمى حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم بن لاوذ
ابن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا اليمامة واسمها اذ ذاك جو وكان لطسم
ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه مع اصراره واقدامه على جديس
وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا فى ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد عملوا النعمة وانتهكوا الحرمة
وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها صنوف الشجر والاعناب وهى حدائق ملتفة
وقصور مصطفة فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن
وزوج لها قد فارقها يقال له ماشق فأراد قبض ولده منها فأبت عليه فارتفعا الى الملك عملوق
ليحكم بينهما فقالت المرأة أيها الملك هذا الذى حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا ولم
أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوفى خصاله أراد أن يأخذه قسرا ويسلبنيه قهرا
ويتركنى منه صفرا قال زوجها لقد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه نائلا الا ولدا خاملا فافعل
ما أنت فاعلا فأمر الملك أن يؤخذ الولد منهما ويجعل فى غلمانه فقالت هزيلة فى ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأبرم حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا متورعا * ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح * وأصبح زوجى حائر الرأى نادما

فبلغ الملك قول هزيلة فغضب وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى
تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها فلقوا من ذلك ذلا طويلا ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت
عفيرة وقيل الشموس بنت عفار الطسمية أخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة هديها الى زوجها

انطلق بها الى عملوق الملك لطأها على عادته ومعه القينات يغنين ويقلن فى غنائهن

ابدأ بعملوق وقومى فاركبى * وبادرى الصبح بأمر معجب

* فما لبكر بعد كم من مذهب *

فلما دخلت عفيرة على عملوق وافترعها وخلى سبيلها خرجت عفيرة على قومها فى دمائها شاقة جيبها عن قبلها ودبرها وهى تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس

وقالت أيضا تحرض جديس على طسم وأبت أن تمضى الى زوجها من كلمة

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد الرمل

أيصلح تمشى فى الدما فتياتكم * صبيحة زفت فى النساء الى البعل

فان أنتم لا تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تفروا من الكحل

ودونكم طيب العروس فانما * خلقتم لأثواب العروس والغسل

فقبحا وشيكا للذى ليس دافعا * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فلو أننا كنا الرجال وكنتم * نساء لكنا لا نقر على الذل

فموتوا كراما واصبروا العدوكم * بحرب تلظى فى القرام من الجزل

ولا تجزعوا للحرب يا قوم انما * تقوم بأقوام كرام على رجل

فيهلك فيها كل نكس مواكل * ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

وفى ذلك يقول أخوها

جاءت تمشى طسم فى خميس * كالريح فى هشهشة اليبيس

يا طسم ما لقيت من جديس * حقا لك الويل فهيسى هيس

قال فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت عصبا لذلك فقال لهم الاسود بن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا يا جديس أطيعونى فيما آمركم به وأدعوكم اليه فى ذلك عز الدهر وذهاب الذل قالوا وما ذلك قال قد علمتم أن هؤلاء يعنى طسما ليسوا بأعز منكم ولكن ملك صاحبكم عليكم وعليهم هو الذى يذعننا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد فهمنا قولك ولكن القوم أقرانا وأكثر عددا وعددا منا فنخاف ان ظفروا بنا أن لا يقيلونا فقال والله يا جديس لتطيعونى فيما آمركم به وادعوكم اليه أو لاتكئن على سيفى فأقتل به نفسى قالوا فانا نطيعك فيما قد عزمت عليه قال فانى صانع لعملوق وقومه من طسم طعاما وداعيهم اليه فاذا جاؤا اليه متفصلين من الخيل والبغال نهضنا اليهم بأسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم قالوا فافعل ما بدا لك واجتمع رأيهم عليه فقالت عفيرة لأخيها الاسود لا تفعل هذا فان الغدر فيه ذلة وعار ولكن كابدوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وأبلغ فى الانتقام منهم فقالت عفيرة فى ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاخترطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم يرفلون فى حليهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم

وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها قالوا نفعل ماقلت ثم دعا الاسود بعملوق الطسمي ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فأسرعوا اجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدعاة وثبت جديس فاستثار واسيوفهم من الرمل وشدوا على عملوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار في ذلك أشعارا يرثى بها طسما ويذكر نعيمها وفعل عملوق بأخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمي فأتى الى حسان بن تبع الحميرى ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا وحملها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك ممن انت فقال أبيت اللعن من ارض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من احد أنا رباح بن مرة الطسمي دعتنا جديس الى مدعاة لهم فأجبناهم منفصلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاذ قمنا طعاما حتى صرنا حطاما بلا طلب دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان امعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من ارض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير واعلمهم بما فعل بطسم قالوا من فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا ومالنا فى هذا من ارب هم اخواننا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك ايها الملك فدعهم فقال حسان ماهذا بحسن أرأيتم لو كان هذا فيكم اكان حسنا للملك ان يهدر دماءكم وماعلينا فى الحكم الا ان ننصف بعضنا من بعض فقام فرسانهم فقالوا أبيت اللعن الامر امرك فرنا بما احببت فأمرهم بالمسير فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان ابيت اللعن ان لى اختا متزوجة فى جديس ليس فى الارض ابصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وانا اخاف ان تنذر القوم بك فتأمر كل واحد من اصحابك ان يقتلع شجرة من الارض فيجعلها امامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم اخت رباح يمامة فأشرفت من منظرها فقالت ياجديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ماذاك قالت اشجار تسير وراءها شئ وانى لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا او يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن اخذ اهبة الحرب ففى ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم

انى ارى شجرا من خلفها بشر * فكيف تجتمع الاشجار والبشر

ثوروا بأجمعكم فى وجه أولهم * فان ذلك منكم فاعلموا اظفر

واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة عبى جيوشه ثم صبحها فاستباح أهلها من جديس قتلا فأفنى نساءهم وصبيانهم وهرب الاسود بن عفار ملكها حتى نزل بدار طى فأجاروه من الملك وغيره من غير ان يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم فى طى مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء

فامر فنزعت عيناها فاذا في داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فنسب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جوا باليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودى) ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بأرض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فأصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم فى الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وخروجهم بذلك عن حد العقول والعناد من الامر المفهوم بزعمهم أن الله عز وجل حين أهلك هذه الامة العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا وداسما وكانت ديار داسم بارض السماوة فأهلكوا بالريح السوداء الحارة وطسم كانت ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بوا وبلاد حوران والبتت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشأم وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وحمتها من كل من أرادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا أحد من الناس الى تلك البلاد غالطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب وسفت عليه سوافى الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوى الجهل باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أعمى على قلبه كأنهم كبنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى فى التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى أن تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال فى ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم فى هذه الارض المجهولة

دعا جعلا لا يهتدى لمقيله * من اللؤم حتى يهتدى لوبار

وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يا مسلم بن جبار

وأقوالهم فى مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف وخلف فى الجاهلية والاسلام يخبرونا عن هذه الارض كاخبارهم عن وادى الروم والصمان والدهناء والرمل الذى بدارين وغيرها من الارضين التى نزلوا فيها يجتمعون عليها لطلب الماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهى عندهم من الابل التى قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعيدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى

كأنى على وحشية أو نعامة * لها نسب فى الطير وهو ظليم

والاشعار فى ذلك كثيرة (وفى بسطنا) لجوامع اخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار بن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدى

وعبد ضخم اذا نسبتهم * ابيض أهل الحى بالنسب

ابتدعوا منطقا يجمعهم * فبين الخط خطة العرب

(وذكر) أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم وهى حروف ا ب ت ث وهى التسعة والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى أتوا مكة فنزلوها وفى ذلك يقول مضاض ابن عمرو الجرهمى

هذا سبيل كسبيل يعرب * البادئ القول المبين المعرب

يا قوم سيروا عن فعال الاجنب * جرهم جدى وقحطان أبى

(وسار أميم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان فحل بأرض فارس فالفرس على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب تنازع الناس فى أنساب فارس من ولد كيومرث بن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وفى ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس فى الاسلام

أبونا أميم الخير من قبل فارس * وفارس أرباب الملوك بهم نخرى

وماعد قوم من حديث وحادث * من المجد الا ذكرنا أفضل الذكر

وقد ذكر جماعة من أهل السير والاخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا أهل خيم وبدو مجتمعين فى مساكنهم من الارض وأن اميما أول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح وأن ولد حام بن نوح حلوا بلاد الجنوب وأن ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ماقدمنا آنفا فى باب السودان من هذا الكتاب وأن نفذا من ولد كنعان بن حام سار وانحو بلاد افريقية وطنجة من أرض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) فى بدء انساب البربر فنهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل العرم ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ماذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشأم فهم الكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ومصر والانباط (وسار) بوقر بن لوط بن حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند وبالسند أمم لهم أجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من أرض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد بوقر بن حام بن نوح فولد حام فى الجنوب من الارض الاكثر منهم وولد يافث فى الشمال فيما بين المشرق والمغرب على حسب ماذكرنا من الامم وتفرقها فى الشرق وغيره مما يلى جبل الفتح والباب والابواب (وبغت عاد) فى الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهى صمود وصدا والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ماقدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الخلود بن عياذ بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لايجحد الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وأنه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث

واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان في نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها الظنهم أنها مقربة لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء فوفدت عاد الى مكة يستسقون لهم وكان بمكة يومئذ العماليق (١) فأتى الوفد مكة فاقبلوا على الشرب واللهو حتى جاءتهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر يشرحن لهم ما وردوا من أجله وهو

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمطرنا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تأتي أرض عاد * فلا تخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت

ألا يا قيل من عوص * ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ * من الطول الكرام
سقى الله بني عاد * معاصيب الغمام

فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفي مجيء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا لا تبلهم السماء
ألا قبح الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا النبي سبيل رشد * فأبصرنا الهدى ونأى العماء
واني موقن فاستيقنوه * بأن اله هود هو العلاء
وأن اله هود هو الهي * على الله التوكل والرجاء
واني لاحق بالاس هودا * واخوته اذا حق المساء

فأرسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم من وادلهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم الآية فأتتهم الريح يوم الاربعاء فلم تأت الاربعاء الثانية ومنهم حي فمن أجل ذلك كره الناس يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك وكيف وقوعه من أيام الشهر في باب الشهور فلما شاهد هود النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انفرد هو ومن معه من المؤمنين وفي ذلك يقول الهيل بن الخليل

لو ان عادا سمعت من هود * واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد * عاد أو بالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عاثرة القدود * حبوا على الآناف والخدود

(١) في البيضاوي وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين ألا يا قيل الخ وروى يسقينا بدل يمطرنا وروى ما يبينون وفي شواهد الكشاف بعد من العطش الخ
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عياما
وقال العينة شهوة اللبن حتى لا يصبر عنه اه وفي الشهاب على البيضاوي وكان اسم احداهما وردة والاخرى جرادة فقيل جرادتان على التغليب وهينم أمر من الهينمة وهي الصوت الخفي والمراد ادع وما يبينون الكلاما أي ضعفوا ومرضوا من القحط اه

ساقطة الاجساد بالوصيد * ماذا جنى الوفد من الوفود

احدوثة في الابد الابيد

(وقال مهد بن سعد في شعر له)

دعاهم خيفة لله هود * فما نفع النذير ولا أجابوا

فلما أن أبوا الا اعتوا * أصابهم ببغيهم العذاب

وقد كان الآخر من الملوك الجلجان وقد تقدم ذكره في هذا الباب لملك عاد وثمود وغيرهم وقيل ان أول من ملك عادا من الملوك عاد بن عوص ثلثمائة سنة ثم ملك ابن عاذ بن عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس فنزل قوم من بني حنيفة اليمامة واستوطنوها وقد كان نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها فقال شاعرهم يرثي من كان في تلك الديار

ان طسما وجرهما وجديسا * والعماليق في السنين الخوالي

عمروا البيت حقبة ثم ولوا * واستمرت بهم صروف الليالي

وأرى الزمان منهم وأنحى * غيرهم سا كنا تلك الخوالي

ورماهم ريب الزمان فامسوا * دورهم بلقع لمر الشمال

(وقد كان) نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمي ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم (وكان) يثرب بن قانية بن مهليل بن ارم ابن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب فهلك هؤلاء أيضا ببعض غوائل الدهر وآفاته فقال شاعرهم

عين جودي على عبيد برجع * بأماق فيضانها بانسجام

عمروا يثربا ليس بها سقـ * ـر ولا صارخ ولا ذو سنام

غرسوا النبها بجرى معين * ثم حفوا السبيل بالارحام

(وقد أخبر) الله جلت قدرته عنهم فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (وقد تنازع) أهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعيبل بن مر بن عنقا بن مدين بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم وأن شعيبا أخوهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة فمنهم المسمى بأبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي التسعة والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الاحرف غير ما ذكرنا من الوجوه على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما قاله الناس فيها وتنازعوا في تأويلها والمراد بها وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلمن وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك جميع من سميناه مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب

يوم الظلة كان فى ملك كلمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهى غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيهم ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأتت عليهم فرثت حارثة بنت كلمن أباها فقالت وكانت بالحجاز

كلمن هدم ركنى * هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه الحتف نارا تحت ظله

كونت نارا وأضحت * دار قومى مضمحله (١)

وفى ذلك يقول المنتصر بن المنذر المدينى

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة * أتيت بها عمرا وحى بنى عمرو

وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها * كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر

ملوك بنى حطى وسعفص ذى الندى * وهوز أرباب الثنية والحجر

هم قطنوا البيت الحرام وربوا * خطورا وساموا فى المكارم والفخر

(ولهؤلاء الملوك) أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها وعليها من الامم قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا فى هذا المعنى مما كان هذا منبه عليها وباعث على درسها (وأما بنو حضورا) وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى أنهم من ولد يافث بن نوح وقيل فى أنسابهم غير ما ذكرنا من الوجوه وقد كان بعث الله عز وجل اليهم شعيب بن ذى مهدم بن حضورا بن عدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه وهذا غير شعيب (٢) بن نوفل بن رعبيل بن مر بن عنقا بن مدين بن ابراهيم الخليل صاحب مدين المتزوج اليه موسى بن عمران المتقدم ذكره وبينهما مئون من السنين وقد كان بين موسى بن عمران وبين المسيح ألف سنة ولما بعث الى حضورا واشتد كفرهم جحد نبيهم شعيب ابن ذى مهدم فى دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضيع الله دمه ولم يكذب وعيده فأوحى الله تعالى الى نبى كان فى عصره وهو برخيا بن أحيا بن روبابيل بن شالبال وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن يأتى بختنصر وكان بالشام وقيل غيره من الملوك فيأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لى سبع ليال أومر فى نومى بما ذكرت وأنادى بمجيئك الى وأبشر ويقال لى ما أمرتنى به وأنا انتصر للنبى المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم فى جنوده وغشى ديارهم فى عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا للحرب فمن حيث عم الصوت جميعهم وهو يقول

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة * وان كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذلك

(١) قوله كونت الخ رواه المجد جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحله اه مصححه

(٢) فى حاشية الجمل فى سورة الاعراف شعيب بن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن ابراهيم الخليل اه

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على أن الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ماروى عن حاتم طيّ مما سنورد خبره فى هذا الكتاب

أتيت أصحابك تبغى القرى * لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر فى أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير فى أشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم وغير ذلك من محاوراتهم وللعرب وغيرهم من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير فى تنقل الارواح قد اتينا على مبسوط ذلك فى كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

(ذكر أقاويل العرب فى الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب)

للعرب فى الغيلان وتغولها أخبار ظريفة العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات ويظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضافوها وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول تأبط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا

فأصبحت والغول لى جارة * فيا جارتى أنت ما أهولا

وطالبتها بضعها فالتوت * بوجه تغول فاستغولا

فمن كان يسأل عن جارتى * فان لها باللوى منزلا

ويزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون

يارجل عنز انهقى نهيقا * لن نترك السبسب والطريقا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم فى الليالى وأوقات النهار فيتوهمون أنها انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد فاذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم فى بطون الاودية ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشأم وان الغول كانت تتغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى أخبارهم (وقد حكى) عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى أن ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وأن ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الحمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى الصحارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر وقد وصف ذلك أبو معشر

في كتابه المعروف بالمدخل الكبير في النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره
في أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شيء يعرض للسفار ويتمثل في ضروب
من الصور ذكرا كان أو أنثى الا أن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب

وحالفني الوحوش على الوفاء * وتحت عهودهن وبالبعاد
وغولا قفرة ذكرا وأنثى * كأن عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابي

فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون في أثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب في هذا المعنى وان كل كوكب يظهر في صورة
مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث في هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره
من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث
والتخيل واختلال السابلة قال أبو المطراب

فلله در الغول أي رفيقة * لصاحب قفر خائف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالي نيرانا تلوح وتزهر

وقد فرقوا بين السعلاة والغول قال عبيد

وساخرة مني ولو أن عينها * رأت ما رأت عيني من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة * اذا الليل وارى الجن فيه أرنت

(وقد وصفها بعضهم فقال)

وحافر العنز في ساق مدملجة * وجفن عين خلاف الانس بالطول

(وللناس) كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار وهو نوع من
الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر في أكناف اليمن والتهائم وأعالي صعيد مصر وأنه
ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود به فيموت وربما يتراءى للانسان فيذعره فاذا أصاب
الانسان ذلك منه يقول له أهل تلك النواحي التي سمينا أمنكوح هو أم مذعور فان قالوا
منكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين
ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه
وما ذكرنا مشهور في البلاد التي سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه مما ذكرنا من هذه البقاع
التي يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة أو غير ذلك من الآفات
والادواء المعترضة بجنس الحيوان من الناطقين والله أعلم بكيفية ذلك (ولم نذكر في هذا الكتاب)
ما ذكره أهل الشرائع وما ذكره أهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه
وابن اسحق وغيرهما ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء
من آدم وأن الجان غشيها فحملت منه وانها باضت احدى وثلاثين بيضة وأن بيضة تفلقت
من تلك البيض عن قطربة وهي أم القطارب وأن القطربة على صورة الهرة وأن الابالس من
بيضة أخرى منهم الحرث ابو مرة وان مسكنهم الجزائر وأن الغيلان من بيضة أخرى مسكنهم
الخرابات والفلوات وأن السعالي من بيضة أخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام

من بيضة أخرى سكنوا الهواء فى صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة أخرى الحماص لانا قد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وأتينا على ذكر أنسابهم والمشهور من أسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار وان كان ماذكره اهل الشرع مما وصفنا ما كان غير ممتنع ولا واجب وان كان أهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرنا ويأبون ما وصفنا والمصنف حاطب ليل فأوردنا ما قاله الناس من أهل الشرائع وغيرهم اذ الواجب على كل ذى تصنيف أن يورد جميع ما قاله أهل الفرق فى معنى ماذكرناه وأتينا أيضا على سائر ما خبرنا من الاشخاص التى هى مرئية من الجن والشياطين وما قالوه فى سلوك الجن فى كتابنا المترجم بكتاب المقالات فى أصول الديانات وبالله التوفيق

(ذكر قول العرب فى الهواتف والجان)

فأما الهواتف فقد كثرت فى العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أولية مبعثه ومن حكم الهواتف أن يهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ما تذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد فى القفار والتفرد فى الاودية والسلوك فى المهامه والمروراة الموحشة لان الانسان اذا صار فى مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الاشخاص وأوهمته المحال بنحو ما يعرض لذوى الوسواس وقطب ذلك وأسه سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوى أو طريق مستقيم سليم لان المتفرد فى القفار والمتوحد فى المروراة مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف متوقع للحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها فى نفسه فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف الانسان وانه كان يظهر لها فى أسفارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن أمية بن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه أنه خرج فى بعض الليالى يريد مالاله بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بحائط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى أوصاف ذكرها

فقال

علقم انى مقتول * وان لحمى مأكول

أضربهم بالمدلول * ضرب غلام مشمول

رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالى ولك * اغمد عنى منصلك * تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين وهذا مشهور عندهم وأن علقمة بن صفوان قتلته الجن (وذكروا) عن الجن بيتين من الشعر قالتهما فى حرب بن أمية حين قتلته الجن وهما

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا من قول الجن بان أحدا من الناس لم يتأت له أن ينشد هذين البيتين

المروراة المفازة التى لاشئ فيها وهى فعوعلة والجمع المرورى والمروريات والمرارى قاله الجوهرى

ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع فى انشادها الان الناس قد ينشدون العشر بيتا والاكثر والاقل أشد من هذا الشعر وأثقل منه ولا يتتعتعون فيه (وممن قتلته) الجن مرداس السلمى وهو أبو عباس بن مرداس السلمى ومنهم القريض المغنى بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته أن يغنى بأبيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن على بن حرب عن أبى عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن زيد الطائى قال رأيت قبر حاتم طئ ببيعة وهو أعلى جبل له وادى يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التى كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره أربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك والجوارى بالنهار كما وصفنا فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن فى منازلنا نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر سكتن وهدأن وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل اليهن عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن حجارة (وحدث) يحيى بن عتاب الجوهرى قال حدثنا على قال أنبأنى عبد الرحمن بن يحيى المنذرى عن أبى المنذر هشام الكلبى قال حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه وكان مولى لابى هريرة يحدث قال كان رجل يكنى أبا البخترى مر فى نفر من قومه بقبر حاتم طئ فنزلوا قريبا منه فبات أبو البخترى يناديه يا أبا الجعد اقرنا فقال قومه له مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد فطه الا قراه وناموا فانتبه صائحا واراحلتاه فقال له أصحابه ما بدا لك قال خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقر ناقتى قالوا والله كذبت ثم نظروا الى ناقته بين نوقهم منجدلة لا تنبعث فقالوا والله والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين فاذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم فقال أيكم أبو البخترى فقال أبو البخترى أنا ذلك قال أنا عدى بن حاتم وان حاتما جاءنى الليلة فى النوم وخبرنى بقراه ولم يذكر ركبك وقد أمرنى ان أحملك على بعير وأنشد

أبا البخترى لانت امرؤ * ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى * لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لدى الرم عند المبيت * وحولك طى وانعامها
فانا سنشبع اضيافنا * ونأتى المطى فنعتامها

وقد امرنى ان احملك على بعير مكان راحلتك فدونكه وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفانى فى مدحه عدى بن حاتم حيث يقول

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل * لدن شب حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الامثال فى الشعر ميتا * وكان له اذ ذاك حيا مصاحبا
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

(وحدث) أبو محمد بن الحسن بن دريد عن ابى حاتم السجستانى عن ابى عبيدة معمر بن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول انه خرج وافدا على بعض ملوك بنى أمية قال فسرت فى ليلة ضحياء كثيرة حالكة كأن السماء قد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضللت

قوله ثلاث مرات الذى فى المستطرف عشر مرات اه

الطريق فتوجهت واديا لا أعرفه فأهمتني نفسي بطرحها حتى الصباح فلم آمن عريف الجن فقلت أعوذ برب هذا الوادي من شره واستجيره في طريقي هذا واسترشده فسمعت قائلا يقول من بطن الوادي

تيامن تجاهك تلق الكلا * تسير وتأمن في المسلك

قال فتوجهت حيث أشار الي وقد أمنت بعض الامن فاذا أنا بأقباس نار تلمع أمامي في خللها كالوجوه على قامات كالنخل السحيقة فسرت وأصبحت بأوسال وهو ماء لكلب يقارب برية دمشق وتذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

(ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك)

تنازع الناس في القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه أو أحد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى أن في الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك وأبى آخرون ما وصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون في حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون في غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه مما يوجب الحاق الشبه بشبهه ودون أن يخالف من حيث أوجبت قضية الاختلاف بالتباين وهذه المعاني من خواص ما للعرب وما تفردت به دون سائر الامم في الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت في غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها في الاغلب من الامور وليس هو موجودا في سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك في بعض الامم كوجود ذلك في الافرنجة وما جانسها من هنالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب ومأخوذا منها في سالف الدهر لان العرب قد تنقلت في البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذي قطنت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب ممن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا آنفا ويمكن أن يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا في الامكان خارجا من باب الممتنع فيكون الزجر والفأل شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود النعط للبربر والنظر في الكتف وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس (وقد ذهبت) طائفة ممن سلف من أهل البحث والتنقير الى أن القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالي وأصل ذلك أن الاشكال انفصلت في صورة أنسابها بأشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لما به ضربت الفواصل أنسابها في وحدات الاشخاص وكان التناسل على وساعه وقدر من الغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شيء في حوزته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل أبانته من أغياره وفرقت بينه وبين اشكاله فلذلك أيضا خصت أوحاد الاشخاص المنفصلة في الهيئة وتغير الغير من أغياره وكذلك لا تكاد فنون الصور تتراءى

فى المرائى لغير من أغياره وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع وشملها المادة فالقائف يقارب بين الهيآت فيحكم للاقرب صورة لان تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حد ان مشتركان وانما ثمه ضرب من ضروب البحث والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظير فى الاغلب بنظيره من حيث تساويهما من حيث ذكرنا فى قضية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المباينين وانما هذا انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانها نهاية الشكل وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه فى كنه أفعاله وباينه فى سائر شكله فى الاغلب لوافقه فى القدم لان النسل لا بد له من تخصيص قوته بشئ يميزه عن غيره يبنيه من سواه ولذلك وجدوا الطول فى ازدشنوأة وكذلك صار الجفاة الاجسام والغلظ فى الروم وأصحاب الجمال والاكثر من أهل الشأم وأوباش مصر واللؤم فى الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشح بفارس واللوم على الطعام بأصفهان وصار تفرطح الرجلين وفطس الانوف فى السودان والطرب فى الزنج خاصة وهذا الذى وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الاشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد تقصينا هذا الشان على كماله فى كتبنا فى الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية فى كتبنا فى الصور السبعة فى أنواع السياسات المدنية على من زعم أن العالم متغير جوهره الى الظلمة وان النور فيه غريب مختار وان ستة أنفس كانوا أنوارا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وأن النور والظلمة قديمان وأنهما لا يريان الا غير ممتزجين وأن الاشياء لا تعمل الا فى جوهرهما ثم امتزجا من تلقاء أنفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبى المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته تولد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التى ولدتها تلك الفكرة وتجنها الوحدة وأن الله عز وجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوى عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والمناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذى أرسله وأن المسيح انسان واله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد أتينا على جمل من مناقضات أهل الآراء فى أثناء ما تقدم من كتبنا وانما تشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقرى عن العتبى قال وقف عبيد الراعى ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ سنحت ظباء سود منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة فى حضرها واقفة على شانها فأنكر ذلك عبيد الراعى ولم يتنبه له أصحابه فقال عبيد

ألم تدر ما قال الظباء السوانح * أطفن أمام الركب والركب رائح

قوله قول زرادشت الخ لعل المراد أن المجوس زعموا ذلك عنه اه مصححه

من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر في معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا
وجه الكلام في ذلك وما ذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بكتاب
الرؤس السبعة في الاحاطة بسياسة العالم وأسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

(ذكر الكهانة وما قيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة)

تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون
العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة
وعلى ما تريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم في النفس الكلية وصنف منهم ادعى
أن الارواح المنفردة وهي الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن أرواحهم كانت قد صفت
حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما كان
يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب
ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمة خلت الا كان
فيها كهانة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهر فيهم أن
فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا
العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأوريس الثاني وهما هرمس وأغاثيمون كانوا
يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشئ من
ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة)
ذهبت الى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء امزاج الطباع وقوة النفس ولطافة
الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره
بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس
الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وانا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الى آخر القصة وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين
والجن لا تعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل فلما
خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى
أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي وأن ذلك في المولد عند ثبوت عطارد على شرفه وأما
ما عداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت في عقد متساوية وارباع
متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها
لاشراق هذه الاشراف الكوكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك في القرانات الكبار
(وذهب) كثير ممن تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت
الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها في انتخاب
المعاني اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها
فيما ذكرناه فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين وهما النفس والجسد ووجدنا الجسد

مواتا لاحركة له ولاحس الا بالنفس وكان الميت لايعلم سبباً لايؤديه فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافى وهى النفس الحسية والنفس البراعية والنفس الجلية ومنها ماقرنه فى الانسان أزيد منه فلما كانت النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدى الانسان الى استخراج الغيب وعلم آلائه وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس فى غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها فى دراية الغائب بحسب ماعليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسملقة وزوبعة وسديف بن هرماس وطريفة الكاهنة وعمران أخى عمرو مزيقيا وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (وأما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدى والاجلح الزهرى وعروة بن زيد الاسدى ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذى قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفيانى

وكهند صاحب المستنير وكان فى نهاية التقدم فى العرافة (والكهانة) أصلها نفسى لا الطبيعة باقية ونقارنه لاعجاز باهرة وهى تكون فى العرب على الاكثر وفى غيرهم على وجه الندرة لانه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبيعى وقوة مادة نور النفس واذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هى تفردت فكرت واذا هى فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى فنظرت بالعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فأخبرت عن الاشياء على ماهى به وعليه وربما قويت النفس فى الانسان فأشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ماعلى تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت كانت الرؤيا فى النوم صادقة وفى الزمان موجودة (وقد تنازع الناس) فى الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال فريق ان النوم هو اشتغال النفس عن الامور الظاهرة بملاقاة حوادث باطنة فيها وذلك على وجهين أحدهما معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى ألهى الحواس عن الادراك الى الحاس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمى نورها عرضيا لانه ليس النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالفة السهر وكذلك نوم الليل على ماوصفنا والوجه الآخر وهو النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهى الموجبة تجديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لاتدركها

الا في هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من طبعها فيكون فكر الانسان سالما يم
مانع الحس حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان
الاشياء فيها قائمة كانها محسوسة لان الحس بها في أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا
فلما ارتفع الحس قوي الفكر فصار يصور الاشياء كانها محسوسة فخطر على بال النائم منها
ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشيء الذي قد كان أشبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك
يرى الانسان كانه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن
فكرته فيها تقوى حتى كانها معاينة له فأما ما يراه من الاشياء التي تدل على ما يريد فانما ذلك
لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت في المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما بينا لها وهي
عالمة أيضا في حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتخيل خيالات تدل بها على تلك الاشياء التي تريد
أن تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه
تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون
صدق ما تخيلته وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس الحواس ظاهرا لم يبطل
استعمالها في نفسها ولم يبطل استعمال قواها فتنتقل في الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة
الروحانية التي ليست بجسم لا بالقوة الجسمانية الغليظة وذلك أن القوة الجسدانية لا تدرك
الا بمشاركة وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن
والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا لا بمشاركة الجسد الذي يوجب الحاجة الى قرب المدرك
(ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو
سكون النفس وهدو الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو
عمل الاغذية والاطعمة والطبائع (ومنهم) من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من
الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من
رأى أنها جزء من أحدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء في كيفية الجزء وماهيته (ومنهم)
من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وأنه يخرج عن البدن في حال النوم
فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفائه واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا
المعنى بقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الى قوله الى أجل
مسمى (وذهب) الجمهور من المتطببين في ذلك أن الاحلام بالاخلاط وترى بقدر مزاج كل
واحد منها وقوته وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون في منامهم النيران
ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا
وأحواضا وغدرانا وما شاكلها كثيرة وأمواجا ويرى كانه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه
والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى في منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد
وبكاء ونوحا وزفيرا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مقطعة وفيلة وأسودا والغالب على من
كان مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا ووصفا وعزفا وأنواع الملاهي والرقص
والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب
مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين في أن الضحك واللعب من أنواع السرور

من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء • واحتجوا
بضروب من الاحتجاجات فهذه جملتها وقد أوضحنا هذا فى كتابنا الرؤيا والكمال وفى كتاب طب
النفوس فلا وجه لاطنابنا فى هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب
بحث ونظر وانما تغلغل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم فى اخبارنا عنهم ولم نعرض فى هذا
الكتاب لما ذهبت اليه الناس فى تحديد النفس وما قاله افلاطون فى تحديده للنفس ان النفس
جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعى وحدها
من وجه آخر أنه حى بالقوة ولا للفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم
والنفس لا جسم وأن الروح يحرو به البدن والنفس تبطل أفعالها فى البدن ولا تبطل هى
فى ذاتها والنفس تحرك البدن وتنيله الحس وذكره افلاطون فى كتاب السياسة المدنية نهر
البستان ومايلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره افلاطون
فى كتابه الى طيماوس وفى كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما يتكلم فى ذلك فى النفس
والصورة (وقد تكلم) الناس فى طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من
الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام فى هيئة الانسان الحساس الدارك المأمور المنهى وما قالت
المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى فى طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس
اللوامة والنفس الامارة بالسوء وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والمجوس والصابئة وغير
ذلك مما قد أتينا على ايضاحه فى كتاب سر الحياة وغيره من كتبنا (وقد كان سطيح) الكاهن
وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان يدرج سائر جسده
كما يدرج الثوب لا عظم فيه الا جمجمة الرأس وكانت اذا لمست باليد يلين عظمها وكان شق بن
مصعب بن شكران بن أنرك بن قيس بن عنفر بن انمار بن ربيعة بن نزار معه فى عصر واحد وكان
فيهما حجرة الكهانة وكذلك سملة وزوبعة كانا فى عصر واحد والله أعلم

* (ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد فى البلدان) *

قال المسعودى قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح ولنذكر
الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا فى البلدان ولم يزل ولد قحطان فى أطيب عيش
الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضى سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله
عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقياء وهو عمرو بن عامر
ابن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن
كهلان بن سبا وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن وهى بلاد سبا التى ذكرها الله فى القرآن أنه
أرسل على أهلها سيل العرم وهو السد وكان فرسخا فى فرسخ بناه لقمان الاكبر العادى وهو لقمان
ابن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذى
كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم فرقهم الله كل ممزق وباعد
بين أسفارهم والناس فى قصة هلكهم يختلفون وفى سياقة أخبارهم متباينون (وذكر) أصحاب
التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها

جنانا وغيضانا وأفسحها مرجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف وسواقى للماء متكاثفة
وأنهار وأزهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة وفى العرض
مثل ذلك وأن الراكب والمار كان يسير فى تلك الجنان من أولها الى أن ينتهى الى آخرها
لا يواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الارض بالعمارة الشجرية واستيلائها عليها واحاطتها بها
وكان أهلها فى أطيب عيش وأرفهه وأهنا حال وأرغد قرى وفى نهاية الخصب وطيب الهواء
وصفاء الفضاء وتدفق الماء وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة وكانت بلادهم
فى الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الاخلاق وطلب الافضال على
القاصد والمسافر بحسب الامكان وما توجبه القدرة من الحال فمكثوا على ذلك ما شاء الله من
الاعصار لا يعاندهم ملك الا قصموه ولا يوافيهم جبار فى جيش الا كسروه فذلت لهم البلاد
واذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التى هى أكثر ما يرد الى ارض سبا
تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول المخراق فيما وصفنا فرسخ
وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وكان فى هذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا
مستديرة فى استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على احسن هندسة واكمل تقدير وكانت
المياه تخرج من تلك الانقاب فى مجاريها حتى تأتى الجبال فترويها اسقياء ثم شرب القوم وقد
كانت أرض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه وكان ملك
القوم فى ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم ويجمعهم من أقطار الارض
للالتجاء الى رأيهم والاخذ من محض عقولهم فشاورهم فى دفع ذلك السيل وحصره وذلك أنه
كان ينحدر من أعالى الجبل هابطا على رأسه يهلك الزرع ويسوق من حمله البناء فاجمع القوم
رأيهم على عمل مصارف الى برارى تقذف به الى البحر وأخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف
الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يتراكم حتى يعلو الجبال لان فى طباع الماء طلاب الخفض فحفر
الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل فى الموضع
الذى كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه المخراق على ما وصفنا آنفا
ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهى فى جريانه الى المخراق ثم ينبعث الماء
منه الى تلك الانقاب وهى الثلاثون مخراقا الصغار التى قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على
ما وصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضربانه وطحنها
بكلكله وعمل الماء فى أصول ذلك المخراق وأضعفه ممر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل
فى المثل اذا تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع فلما
سكنت أبناء قحطان على ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القحطان لم تعلم
الآفة من انحطام السد والمخراق والبنيان فقذف به فى جريه ورمى به فى تياره وذلك ابان زيادة
الماء واستولى الماء على تلك الديار والجبال والعمائر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض
وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم ببلاد سبا ولا خلاف بين ذوى
الدراية منهم أن العرم هو المسناة التى قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل
ففجرته فأرة ليكون ذلك أظهر فى الاعجوبة كما أفار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون

ذلك أثبت فى العبرة وأوعظ فى الحجة ولا يتناكر أخلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان فى مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار ابن معد يسطون بأبهة السفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ما أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد أو راكب عرد أغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد ثم مر فى ذمهم الى أن انتهى الى ما كان من قصتهم فى ملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس اياهم على حسب ما قدمنا آنفا (وقد ذكروا) فى أشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مأرب وأن مأرب سمة للملك الذى تملك على هذه البلدة وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مأرب سمة لقصر هذا الملك فى صدر الزمن قال أبو الطمحان فى ذلك

ألم تروا مأربا ما كان حصنه * وما حواليه من سور و بنيان

ظل العباد سيبقى فوق تلمه * ولم يهب ريب دهر حق خوان

حتى تناوله من بعد ما هجعوا * ضربا اليه الى أسباب كان

وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول فى كلمته

ففى ذلك المؤتسى اسوة * بمأرب عفى عليها العرم

رخام بناه لهم حمير * اذا جاء ماؤهم ولم يرم

فاغنى الحروث واغنى بها * على ساعة ماؤهم قد قسم

فطار القبول وفيالها * بها فى فيافى سراب الظلم

وكانوا ابذلكمو حقبة * فمال بهم جارف منهزم

فطار وامراعا وما يقدمو * ن منه لشرب صبى فطم

(وقد ذكرنا) فى كتابنا أخبار الزمان الملك الذى طال عمره وحسنت سيرته وأنه بنى هذا السد الذى هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا طول الاعمار وما أكثرت العرب فى صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال ولبد و بعمة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجى فى شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن حكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل * قد ضج فى طول عمره الابد

قد شاب رأس الزمان واختضب الـ * ـدهر وأثواب عمره جدد

يا نسر لقمان كم تعيش وكم * تلبس ثوب الحياة يا لبد

قد اصبحت دار حمير خربت * وأنت فيها كأنك الوتد

تسأل غربانها اذا حجلت * كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف فى مواضع من هذا الكتاب ما قالت الاوائل فى علة طول الاعمار

وقصرها

وقصرها وعظم الاجسام في بدو الامر وتناقصها على مرور الاعصار ومضي الدهور وأن الله
تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للاجسام في تمام الكثرة ونهاية
القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول والاجسام أقوى لان طرق
الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة أتم كانت الاعمار أزيد وكان العالم
في أوليته شأنه تمام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة حتى يكون آخر مائية الطبيعة في
تناهي النقص في الاجسام والاعمار (وقد أبى) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور
الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر وزعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وما ظهر في الارض
من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وانها كانت كأجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم
وأبوابهم وممراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن في سائر الارض
كديار ثمود ونحتها المساكن في الجبال وحفرها في الصخر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا وكذلك
أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض في الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه
طال وان أطنبنا في صفته كثر فلنرجع الآن الى ما عنه عدلنا ومن وصفه خرجنا من ذكر سبا
ومأرب وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان للملك عمرو بن عامر المقدم
ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان لعمرو كاهنة من أهل

من حمير يقال لها طريفة الخير (وكان أول شيء وقع بمأرب) وعرف من سيل العرم ان عمران
الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم فذكر ذلك
لاخيه عمرو وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في أيام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك وبينا
طريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضها وأرعدت
وأبرقت ثم صعقت فأحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شيء الا أحرقته
ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهي تقول ما رأيت مثل اليوم قد أذهب
عني النوم رأيت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شيء الا أحرق فما بعد هذا الا الغرق
فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها من جأشها حتى سكنت ثم ان عمرو
ابن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فأسرعت نحوه
وأمرت وصيفا لها يقال له سنان أن يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد
منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن وهي دواب يشبهن اليرابيع تكون
بأرض اليمن فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت وقالت لوصيفها اذا ذهبت هذه
المناجد عنا فأعلمني فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها
عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع
فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول فلما رأتها طريفة جلست
الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت الى أن دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف
النهار في ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكفأ من غير ريح فغدت حتى دخلت على عمرو ومعه
جاريتان على الفراش فلما رآها استحيا منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ثم قال لها

اهلى ياطريفة الى الفراش فتكهنت وقالت والنور والظلماء والارض والسماء ان الشجر لهالك وسيعود الماء لما كان فى الدهر السالف قال عمرو من خبرك بهذا قالت أخبرنى المناجد بسنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد قال ماتقولين قالت أقول قول الندمان لهفا قد رأيت سلحفا تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفا قال عمرو ومتى ترين ذلك قالت هى داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وماهى قالت أجل ان لى الويل ومالك فيها من نيل فلى ولك الويل مما يجىء به السيل فألقى عمرو نفسه على الفراش وقال ماهذا ياطريفة قالت هو جلل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قال تذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر فى السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم أن النقر عقر وأنه قد وقع الامر قال وماهذا الامر الذى يقع قالت وعد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فتعمده ياعمرو فليكن اشكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة مايقلبها خمسون رجلا فرجع الى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول

أبصرت أمرا عادلى منه الم * وهاج لى من هوله برح السقم

من جرذ كفحل خنزير أجم * أو تيس صرم من أفاوين الغنم

يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وأنياب فطم

مافاته سحلا من الصخر قصم * كأنما يرعى حصيرا من سلم

فقالت له طريفة ان من علامة ماذكرت لك أن تجلس فى مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادى ورمله وقد علمت أن الجنان مظللة مايدخلها شمس ولاريح فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الاقليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب عمرو الى طريفة فأخبرها بذلك وقال متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففى أيها يكون قالت لايعلم ذلك الا الله تعالى ولو علمه أحد لعلمته ولا يأتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة الا ظننت هلاكه فى غدها أو فى تلك الليلة ورأى عمرو فى النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل فذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم أن ذلك واقع بهم وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك وأخفاه وأجمع أن يبيع كل شئ له بأرض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشى أن يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه ثم دعا ابنا له يقال له مالك ويقال بل كان يتيما فى حجره فقال اذا جلست أطعم الطعام الناس فاجلس عندى ونازعنى الحديث واردد على وافعل بى مثل ما أفعله بك وجاء أهل مأرب فلما جلسوا أطعم الناس وجلس عنده الذى أمر به فجعل ينازعه الحديث ويرد عليه فضرب عمرو وجهه وشتمه فصنع الصبى بعمرو مثل ماصنع فقام عمرو وصاح واذلاه يوم فخر عمرو ومجده يضرب وجهه صبى وحلف ليقتلنه فلم يزالوا بعمرو حتى تركه ففى ذلك قال حاجر الازدى

يارب لطمة غدر قد سخنت بها * بكف عمرو التى بالغدر قد عرفت

ثم قال والله لا أقيم ببلدة صنع هذا بى فيه ولا بيعن عقارى فيه وأموالى فقال الناس بعضهم لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى فباع الناس منه جميع ماله بأرض مأرب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم فخرج ناس من الازد وباعوا أموالهم فلما أكثروا البيع استنكر ذلك الناس فأمسكوا بأيديهم فلما اجتمعت الى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم فقال أخوه عمران الكاهن قد رأيت انكم ستمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفاركم وانى أصف لكم البلدان فاختاروا أيها اشئتم فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذا همّ بعيد وجمل شديد فليلحق بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهى أرض همدان فلحق به وادعة بن عفر فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على ازمان الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها فى ذلك الموضع عمن كان معها من الناس وهم بنو عمرو بن لحى فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت * خزاعة منا فى ملوك كراكر

فى شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصى بن حارثة بن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهى المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهى أرض الشأم قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق فليلحق بالعراق وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الازدى وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام بن الكلبى) وأما أبى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فسكنوا همدان وتخلف مالك بن اليمان بن جهم بن عدى بن عمرو بن مازن بن الازد وكان بعدهم بمأرب ملكا الى ان كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر مزيقياء ورعيل بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بأدنى السناة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الازد وأقام معهم عمران ابن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وسار عمرو ابن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما بما يلى صدور رحمايين صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد ورمع فأقاموا على غسان فشربوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم

اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بنى مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ القيس

ابن مازن الازدى (وللقوم أخبار) فى تفرقهم ومن دخل منهم فى معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى أن ظفرت بهم بنو معد فأخرجتهم الى أن لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة و يقال له الحجاز وانما سمى السراة من هذا الجبل ظهره فقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فأقاموا به وكانوا فى سهله وجبله وما قاربه وهو جبل على تخوم الشأم وفرزته وبين الحجاز مما يلى أعمال دمشق والاردن وبلاد فلسطين وتلا جبل حرا (وقد كان) أهل مأرب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله ويزجرونهم عما هم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا كلامهم وأنكروا أن لله عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفى ذلك تقول امرأة منهم

ان كان ما يصح فى ضلاله * من ربكم فلينطلق بماله * اليه عنا والى عياله

فأجابتها امرأة مؤمنة فقالت

لولا الاله لم يكن عيالنا * ولم يسع عيالنا أموالنا

هو الذى يحيينا سوالنا * ويكشف الغم اذا ما هالنا

فأرسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشى الماء أرضهم فأهلك شجرهم وأباده وأزال أموالهم وأنعامهم فأتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ما شرد من أنعامنا ونعطكم موثقا أن لا نشرك بالله شيأ فسألت الرسل ربها فأجابهم الى ذلك وأعطاهم ما سألوا فأخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشأم قرى ومنازل واسواقا فأتتهم رسلهم فقالوا موعدكم أن تؤمنوا فأبوا الا طغيانا وكفرا فمزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم (قال المسعودى) واذ قد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مأرب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره فى هذا الباب فلنرجع الآن الى أخبار الكهان وكان اول ما تكهن به سطيح الغسانى انه كان نائما فى ليلة سهاكية مظلمة مع حرمته فى لحاف والحى حلوف اذ زعق من بينهم ورن وتأوه وقال والضياء والشفق والظلام والغسق ليطرقنكم ما طرق قالوا وما طرق يا سطيح قال ما طرق الا الاجلح حين سرى الليل البهيم الافلح ولاهم فيه دح قالوا وما علامة ذلك يا سطيح قال أمر يسد النقرة ذو جسة فى الوجرة وحرة بعد حرة فى ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بأمره وتعاصفت سدود من أودية هنالك فجاءتهم فى ليلة باردة قرة كما ذكر فساقت الانعام والمواشى وكادت أن تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق بن مصعب أخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميرى فى أن جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة وكانت منها كل ذات جمجمة وما فسراه له فى ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح فى رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر سملقة وزوبعة وما كان من أمرهما وخبر شأن الظليم والسحرة وما كان بين عك وغسان من الحرب فى رقة اللبن وحلاوته وتخنه ونزل غسان أعلى الوادى وعك فى أسفله وما كان فى ذلك من القيافة بينهم فى طلوع الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموأل بن حسان بن عادياء وما كان من أمره وأمر حازن الكاهن وما قاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وما كان من العير الاقمر

والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدي وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف
من كتبنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط والله أعلم

(ذكر سني العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف)

(قال المسعودي) عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن
سني وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط
اذ كان قول اليونانيين في ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من
الممالك والامم اذ كان في ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدا بذكر
سني وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سني
العرب وشهورها وأيامها ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب
في تسمية الليالي وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتأثيرهما في هذا العالم في الجماد والنبات
والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتأمل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما يريد والله تعالى
ولي التوفيق

(ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف في أسمائها من التاريخ)

أول شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثاني
وكيهك وهو كانون الاول وطوبه وهو كانون الثاني وامشير وهو شباط وبرمهات
وهو اذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار (١) وبؤنة وهو حزيران وأبيب وهو تموز
ومسري وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ما سمينا
من شهورها وهي ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم
من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما
وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط
فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آزرماه ثم كل شهر كذلك على هذا
الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود في كتب الزيجات في النجوم
وأهل مصر وسائر القبط في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون في
حسابهم في الشهور غير ما قدمنا وذلك انهم زادوا في أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين
والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم في عدد
أيام السنة التي ملك فيها بختنصر وكان أولها يوم الاربعاء وأما تاريخ القبط في
كتاب زيج بطليموس فمن أول سنة ملك فيلبفوس وكان أولها يوم الاحد والذي بين تاريخ
بختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذي
بين تاريخ فيلبفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان
وتسع وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ألف وستمائة وأربعة
وعشرون يوما فأول هذه التواريخ تاريخ بختنصر ثم تاريخ فيلبفوس ثم تاريخ يزدجرد

وتاريخ العرب من أول السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان أولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابن ابرويز وكان أولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من أول السنة من ملك الاسكندر وكان أولها يوم الاثنين والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك

(ذكر شهور السريانيين ووصفها وموافقتها شهور العرب وعدة أيام السنة ومعرفة الانواء)

فأول ذلك أن أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهي مختلفة في العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون يوما وحزيران ثلاثون يوما ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه حساب الهند وهو أطول يوم في السنة وأقصر ليلة وتموز احد وثلاثون يوما وآب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات

برد الماء وطال الليل والتذ الشراب * ومضى عنك حزيران وتموز وآب

وايلول ثلاثون يوما ولخمس منه عيد زكريا ولعشر منه طلوع الصرفة فينصرف الحر(١) ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوي الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور * وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول أحد وثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس في معنى المهرجان انه كان لهم ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس قد خص ظلمه خواص الناس وعوامهم وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى بأسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فمات في النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمي ذلك اليوم الذي مات فيه مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت لان الفرس تقدم في لغتها ما تؤخر العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهي الفارسية الأولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثير من الملابس ولخمس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثاني ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربعا وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا وهو منتهى طوله ولليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثاني أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه القلنداس فيكون فيه بالشأم لاهله عيد يوقدون في ليلته النيران ويظهرون الافراح لاسيما

(١) قال المجد الصرفة منزلة للقمر نجم واحد نير تلو الزبرة سمي لانصراف البرد بطلوعها اه وقال الجوهري الصرفة منزل من منازل القمر وهو نجم واحد نير بتلقاء الزبرة يقال انه قلب الاسد وسمي صرفة لانصراف البرد واقبال الحر اه ويسقط الجبهة العنق فيما يأتي وتسقط الجبهة الثانية وهي الصرفة وينصرف البرد اه

بمدينة انطاكية وما يكون فى كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشأم وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها وما يظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسى البطرك المعظم عندها فى ديانتها وأن النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لانه بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) أولهم صاحب مدينة رومية ثم الثانى وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهى أقسس واسمها القديم بوزنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبطرس فبدؤا برومية لانها لبطرس ثم ثنوا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا مقدما وانما هو محدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزوره وهى كنيسة مزوره وبنيانها من احدى عجائب العالم فى التشييد والرفعة وكان الوليد ابن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقى الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان للملك) من ملوك الروم بانطاكية خبر عجيب فى كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهى فى أيدى اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التى كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولس وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلامذة المسيح وتفرقهم فى البلاد وذكرنا قصة الملك الذى بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بانطخس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه انطخس فلما ورد المسلمون واقتصروها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفى تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة تسعمائة تسعة وأربعون سنة وتكون سنو الاسكندر القارما ثنين وخمسا وثمانين ويكون من الاسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون هذا ما وجد فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخره أيام العجوز وآذار أحد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمى هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر (١) قال بعض العرب فى أسماء أيام العجوز

كسع الشتاء بسبعة غبر * من وصنبر وبالوبر

(١) الصن بالكسر وصنبر بكسر النون المشددة وفتحها والوبر بفتح الواو والباء الموحدة والآمر بالمد كفاعل الناهى كأنه يأمر الناس بالحذر والمؤتمر من الائتمار كأنه ينبئ الناس بالظعن أو المقام ومعلل على صيغة اسم الفاعل لانه يعلل الناس بشئ من تخفيف البرد ومطفئ الجمر ويقال له أيضا مكفئ الظعن خامس أيام العجوز أو رابعها قال ابن شبل الاعرابى

وبآمر وأخيه مؤتمر
ومعلل وبمطفئ الجمر

هذا ما يؤخذ من القاموس والصحاح

فاذا انقضت أيام شتوتنا * أيام صادرة عن القر
كسع الشتاء موليا هربا * وأتتك واقدة من الحر

ولخمس عشرة من اذار يستوى الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال أبو فراس

أما ترى الشمس حلت الحملا * وطاب وزن الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا
واكتست الارض من زخارفها * وشى ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد * أصبح وجه الزمان معتدلا

وليس بحلول الشمس الحمل تستوفى الخمر سنة وانما أراد بحلولها قربها من الحول والقوة (قال المسعودى) وأما شهور الروم فهى موافقة لشهور السريانيين فى العدد وذلك ان أول شهور الروم يواريوس وهو كانون الثانى وقد قدمنا ان فى أول يوم منه يكون الغطاس وشباط فبراريوس واذار مارتيوس ونيسان ابريليس وايار مايوس وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سبطمبر وتشرين الاول اقطوبر وتشرين الثانى نوغبر وكانون الاول دشمبر

(ذكر شهور الفرس)

كلها ثلاثون يوما فأولها افروردى وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما والثانى أردبهشت ماه وخرداد ماه وتيرماه نيروز عيد المهاجرين ومرداد ماه وشهريور ماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهرماه وابان ماه وآذرماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوجان ودى ماه وأول يوم منه يخرج الكوسج فيه راكبا بغاله بالعراق وأرض فارس ولا يعرف ماوصفنا الا بالعراق وأرض العجم وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين وما عدا ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيأ من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وذلك فى أوقات كثيرة من فصول السنة وأدورون والاردحش ودرماه ودمهروردسنا وآذر وبهمن ماه واسفندارمذ بين الاسوف واسفندارمذ ماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله أعلم

(ذكر أيام الفرس)

وهى هرمز وبهمان وأردبهشت وشهرين واسفندارمذ وخرداد ومرداد ودينا ودين واد واران وخرد مله ونيرونيرس ودى ومهروانز ويس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

باكر بنا لذة المدام * فى يوم سبت ويوم رام
شرط فيه أن ترانى * وقت الضحى فاتر الكلام

وباد وروزبين وارد واسال واسار وحامار وماروسعيد ونيران فأما أيامهم المعروفة بالفردجان

فى كتاب نصاب الصبيان لابى النصر فراحى فى ذكر أسماء الشهور ما نصه فروردى أردى بهشت خرداد تير مرداد شهريور مهر آبان آذر دى بهمن اسفندار وكتب تحت كل اسم شهر برج الحمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبله ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت الاول للاول والثانى للثانى وهكذا وما فى المتن غير مستقيم فتأمل اه

فهى وهيدكاه وستكاه وهوكاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهرير والهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهر الربع اليوم الفاضل فى الشهور الرومية وتسميه الهارلفاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

(ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها)

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى احد عشر يوما وربع يوم فتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسىء وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله انما النسىء زيادة فى الكفر وسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة وانما سمته المحرم لتحريمها الحرب والغارات فيه وصفر بالاسواق التى كانت باليمن تسمى الصفرية وكانوا يمتارون فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال نابغة ذبيان

انى نهيت بنى ذبيان عن أفق * وعن ترفههم فى كل اصفار

وقيل انما سمى الصفر لان المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم الى الحرب وهو مأخوذ من قولهم أصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد توجد الدواب ترتبع فى غير هذا الوقت قيل قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما فى ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما فى الزمان الذى سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشىء اذا خفته وانشد * فلا تهبها ولا ترجبها * وشعبان لتشعبهم الى مياههم وطلب الغارات ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك الوقت والوجه الآخر أنه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ولا يجوز أن يقال رمضان وانما يقال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت تشول فيه ذلك الوقت بأذنابها تشاءمت به العرب ولذلك كرهت التزويج فيه وذو القعدة لقعودهم فيه عن الحرب والغارات وذو الحجة لان الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعدودات أيام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا فى اليوم الثالث من يوم النحر يدل ذلك على أن أولها ثانى يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل فى ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لاخبار الله تعالى أن التعجيل فى يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ما وصفنا صح أن المعلومات منها والذبح فى يوم النحر ذبح فى المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقول القائل آتيك فى الشهر والاتيان انما كان فى بعضه وجئتك فى اليوم والمجىء فى بعض أوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر ولا أيام منى لفرض ولا لتطوع لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك

ولم يخص فرضا من تطوع بالنهي فالواجب الامتناع على ما وصفنا (وقد ذكر) عن عقبة بن عامر
أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام ثلاثة أيام التشريق وفي جميع ما ذكرنا من المعلومات
والمعدودات والصيام في أيام التشريق بخلاف بين الناس وأيام التشريق أولها ثاني النحر
وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة (قال المسعودي) وقد اختلف الناس في علة أيام
التشريق وهي أيام منى ولياليها فقالت طائفة انما سميت أيام التشريق لانهم كانوا يذبحون
الذبائح ويشرقون اللحم في الشمس وقال آخرون انما سميت أيام التشريق لان أهل
مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى أوطانهم وفيه قول آخر وهو أنها انما سميت أيام التشريق
لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم في فضاء من الارض فيسمونها
المشارق واحدها مشراق يسبحون ويدعون فسميت بذلك أيام التشريق وفيه قول آخر
وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعني المشقوقة الاذنين بالطول فهي أيام التشريق وللناس
في التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ما أوردناه لتغلغل
الكلام بنا اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلاما يلحق بالفقه (والايام النحسات) كل أربعاء
يوافق أربعا من الشهر مثل أربع خلون وأربع وعشرين وأربع بقين (وأما أسماء الايام) فأولها
الاحد وانما سمي بذلك لانه أول يوم خلقه الله من الزمان وبذلك نطقت التوراة وقد قدمنا
في صدر هذا الكتاب ما في الايام من بدء الخلق والاثنين وسمي لانه ثان والثلاثاء وسمي لانه ثالث
والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق
انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر ويقال سبت
شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها في الجاهلية الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار
والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شبار قال شاعرهم

أؤمل أن أعيش وأن يومي * بأول أو بأهون أو جبار
أو المردي دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شبار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناتق وصفر ثقيل ثم طليق ناجر سماح امنح احلك كسع
زاهر برط حرف نعس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) في أسماء الازمنة فزعمت
طائفة منها أن أولها الوسمي وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول
من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا في بلد كذا وشتونا في بلد
كذا وتربعنا في بلد كذا وصيفنا في بلد كذا (وشهور العرب) ليست مرتبة على فصول السنة
بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في الربيع وتارة في غيره من فصول السنة
(وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن
آخرها ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم
الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهي اثنا عشر شهرا على حسب
ما ذكرنا أن أولها تشرين الى ايلول فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة من هذه
الاثني عشر شهرا غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فالاول

وتشرين

قوله وكانوا يسمون الشهور الخ
اختلف الناس في ذلك اختلافا
كثيرا قال البيروني وتوجد
للشهور أسامي قد كان أوائلهم
يدعونها بها وهي هذه المؤتمر
وناجر وخوان وصوان وحنين
وربى والاصم وعادل وناتق
وواغل وهواع وبرك وقد توجد
هذه الاسماء مخالفة لما أوردناه
ومختلفة الترتيب كما نظمها أحد
الشعراء في شعره
بمؤتمر وناجر بدأنا
وبالخوان يتبعه الصوان
وبالربى وبائدة تليه
يعود أصم صم به السنان
وواغله وناطله جميعا
وعادله فهم غرر حسان
ورنة بعدها برك فتمت
شهور الحول يعقدها البنان

وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء فايلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدى وشباط برجه الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وايار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد (قال المسعودى) وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الكلام فى الطبائع وفصول السنة وما يلائم ذلك من المآكل والمشارب وغير ذلك مما الحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

(ذكر قول العرب فى ليالى الشهور القمرية وغيرها)

كانت العرب تخبر عن القمر فى كل ليلة على حسب ما هو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخلة حل أهلها برملة قيل فما أنت لليلتين قال حديث مشيق ذو أفل وبيق قيل فما أنت لثلاث قال حديث فتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال عتمة ربع غير جائع ولا مرضع قيل ما أنت لخمس قال حديث وانس قيل فما أنت لست قال سر وبت قيل فما أنت لسبع قال نصف فى السبع وقيل حاجة للضبع قيل فما أنت لثمان قال قمر اضحيان وقيل رغيف اقسمه أخوان قيل فما أنت لتسع قال يلتقط الجزع قيل فما أنت لعشر قال محق الفجر قيل فما أنت لاحدى عشرة قال أرى مساء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثنى عشر قال موفق للسير فى البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى عين الناظر قيل فما أنت لاربع عشرة قال مقتبل الشباب أضاء بين السحاب قيل فما أنت لخمس عشرة قال تم التمام ونفدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق فى الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يكن الفقير للفقير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطىء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع سحرة وأرى بكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لأطيل السرى الاريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليث حرب قيل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقبس أطلع فى الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع فى قسمة ولا أجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال أنا فى تلك الليال لا قمر ولا هلال قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما أنت لسبع وعشرين قال دنا ما دنا فليس فىّ من سنا قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين قال مستقبل سريع الافل (وكانت العرب) تسمى الثلاثة الاولى من ليالى الشهر فتقول ثلاث غرر والثلاث التى تليها ثلاث سمر والثلاث التى تليها ثلاث زهر والثلاث التى تليها ثلاث درر والثلاث التى تليها قمر وثلاث بيض وتقول فى النصف الثانى من

الشهر فى الثلاث الاول درع وفى الثلاث التى تليها ظلم وفى الثلاث التى تليها ثلاث حنادس
وفى الثلاث التى تليها ثلاث دوارى وفى الثلاث التى تليها ثلاث محاق وقيل فى وجه آخر من
الروايات انه يقال لليالى الشهر ثلاث هلل وثلاث قمر وست نفل وثلاث درع وثلاث بهم
وست حنادس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودى) فأما ماذهب اليه العرب
فى تسمية القمر فانها تسميه فى ليلة طلوعه هلالا ومالم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار
واذا ما بهر وأضاء فهو قمر قال شاعرهم

وقمر بدا ابن خمس وعشرين * له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر
اذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حدرة بدرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالى
البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة والليالى الدرع هى التى تسود صدورها
وتبيض سائرها والمحاق اذا ما طلعت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون قد خلف
الشمس ويقال قد بهر القمر اذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ ويقال أفتق اذا أصابته
فرجة من السحاب فخرج وأفتق علينا فأبصرنا الطريق وكل سواد من الليل حندس
والليالى الزهر الليالى البيض والله الموفق للصواب

(ذكر القول فى تأثير النيرين فى هذا العالم وجمل مما قيل فى ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم الى أن أفعال القمر فى الجواهر التى قلنا عظيمة الا أنها
أقصر من أفعال الشمس وهى الثانية بعدها وذلك أن الشهور ما يكون على حسب حركته
يجرى أمرها وأفعاله ترى أعظم وأبين فى حيوان البحر خاصة وهى تنمى النبات وغيره وتعظم
البحار وتسمن الحيوان وتلزم النساء الطمث أزمانا محدودة (قال المسعودى) رحمه الله وقد
تنازع الناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم فذهب قوم من أهل القدم الى أن فى المنى قوة
تصور الجنين اما منه واما من دم الطمث وذهب قوم الى أن فى الرحم قابلية تصور فيه الجنين
وقد ذكر جالينوس فى كتابه عن بقراط أن مقام المنى مقام الفاعل والمفعول فى تصور الجنين
وقال صاحب المنطق ان ذلك بمنزلة الفاعل وان الجنين يتصور فى دم الطمث من المنى قال
والمنى يعطى الدم مثل الحركة ثم يستحيل ريحا فيخرج من الرحم وزعم جالينوس أن الجنين
يكون فى المنى وقد يحدث اليه الدم الذى هو الروح من العروق والشريانات فيكون من
المنى ومن ذلك الدم الذى يجذبه ومن الريح الذى يصير اليه من الشريانات قال وكون الجنين
بمنزلة كون النبات والطبيعة تصوره من المنى والدم وتفعل الطبيعة فى الجنين ما تفعله
فى النبات لان بزر النبات يحتاج الى أرض لينال منها ما يغتذى به فالجنين والرحم والنبات
يرسل عروقه من الاصول ليجذب بها من الارض غذاءه وللجنين فى المشيمة شريانات والعروق
نظير لذلك وهى أصول الجنين وبزر النبات منه سوق ومن السوق أغصان كبار ثم من هذه
الاغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهى الى الاقاصى ونظير ذلك يوجد فى الجنين فنجد
العرق فى بدنه ثلاثة من كل واحد من الاغصان الاصول وهى الشريان الاعظم والعرق

قوله وقيل الخ لم يستوف تسمية عدد الليالى على ما فى النسخ التى بأيدينا اه مصححه

الاجوف والنخاع ثم تجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب كالاغصان المنقسمة الى أغصان أخر حتى ينتهى الى الاطراف ثم قال بعد ذلك ان المنى هو المحرك لنفسه وان الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث (وحكى جالينوس) عن أبيه بلس أن أجزاء الولد منقسمة فى منى الذكر والانثى وان شهوة الجماع تسبق هذه الاجزاء الى أن لا ينام وهذا موجود فى كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم فى كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك (وقد ذهب قوم) من أهل القدم الى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الانسان اللطيفة من جنس سائر أعضاء الانسان فتنصب فى الرحم فيتغذى منه وينمو فيكون من ذلك الجنين (ومنهم) من رأى أن هذه الاجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقاد بهاموادة من الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعها فيكون الجنين من ذلك فمن ذلك صار الولد يشبه أباه فى الاغلب من سائر الاعضاء وتشكله وأهل بيت أبيه ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء فى الاغلب من تشابه الاعضاء ومن ههنا أدركت القافة الحاق النسب عند الشبه والشك فى النسب وذلك على قول من رأى الحاق النسب بالقيافة من القافة وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب فى باب القيافة (وللناس) فى كيفية تصور الجنين فى الرحم ومابدؤه وما عنصره وكيفية تقلبه من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة الى استكمال شكله كلام كثير منهم أصحاب الانيق وغيرهم ممن تقدم وتأخر أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كان فيه خروج عما اليه قصدنا فى هذا الباب (قال المسعودى) رحمه الله والذى يقضى على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبر به البارى عز وجل فى كتابه بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ولم يخبر عن كيفية ذلك وما سبب مواده بل استأثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ثم أخبر عن المبدإ الذى خلقهم منه فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وقال عز وجل يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر الآية (قال المسعودى) وللناس فيما سلف من الاوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير فى كيفية أفعال النيرين وتأثيرهما فى هذا العالم وما قالوه فى ذلك وما خصوا به كل واحد منهما وأفردوه وما ذهبوا اليه من فعل الثانى منهما وهو القمر وما يظهر من تأثيره فى الجزر والمد فى بحر الصين والحبش والهند على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب وكذلك فعله فى المعادن وأدمغة الحيوان والبيض وسائر الحيوان والنبات وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه والنقص عند نقصانه وما يكون من بحرانات المرضى فى اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادى والعشرين والثامن والعشرين لان للقمر أربعة أشكال هى أثبت صورة فيه شكل التنصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عند التمام وشكل المحاق ولكل شكل من هذه سبعة أيام لانه فى سبع ليال يتنصف وفى الرابعة عشرة يتم وفى الحادية والعشرين يتنصف وفى الثامنة والعشرين يمحق فكذلك البحرانات وعند هذه الطائفة يصح فى السابع والرابع عشر والحادى والعشرين ويصح أيضا فى تنصيفات هذه اذا كانت هذه الاشكال أثبت أشكال

الشئ المنقسم وقد خالف هؤلاء خلق ممن ذهب الى غير هذا القول وأن ذلك من قبل الاخلاط
وغير ذلك والطبائع الاربعة وغيرها مما قد أتينا على ايضاحه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف
وفى كتاب المبادى والتراكيب وغير ذلك فى كيفية تأثير الشمس والقمر (وأما الدلائل)
وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة
وأن الارض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة وأن كرة الارض مثبتة فى وسط
السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة فى الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون
من الارض وما يعرض فيهما من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التى
تطلع الشمس فيها شهورا لا تغرب وتغرب شهورا لا تطلع فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح
عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان
وما أوضحناه من هيئة الافلاك والكواكب وأن الارض مع ما وصفنا فى تدويرها موضوعة
فى جوف الفلك كالمحة فى البيضة والنسيم جاذب أيضا لما فى أبدان الخلق من الخفة والارض
جاذبة لما فى أبدانهم من الثقل اذ كانت الارض بمنزلة حجر المغناطيس الذى يجذب بطبعه الحديد
وأن الارض مقسومة نصفين وبينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب كما أن منطقة
الارض أكبر من الفلك وعرض الارض من القطب الجنوبى الذى تدور حوله بنات
نعش وأن استدارة الارض من خط الاستواء ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون
فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع اثنان وأربعون اصبعا والاصبع ست حبات
وتسعان مصفوفة بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ (وقد قدمنا) فيما سلف من
هذا الكتاب فى باب ذكر الارض والبحار ومبادى الانهار مقدار الميل والذراع الأسود وانما
نذكر فى كل موضع من هذا الكتاب ما سنح لنا ونجده فى كتب الناس فننقل ذلك عنهم على
ما وجدناه فى كتبهم الا أنا لا نقطع على صحته اذ كان ما يذهب اليه فى مقدار الميل من الاذرع
والذراع من الاصابع هو ما بيناه آنفا فى باب ذكر الارض والبحار وبين الاستواء وكل واحد
من قطبين تسعون درجة واستدارتها عرضا مثل ذلك وزعم هؤلاء أن العمارة فى الارض
بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة وأن الباقى قد غمره البحر الكبير وأن الخلق على الشمال
من الارض والربع الجنوبى خراب لشدة الحر فيه والنصف الباقى من الارض لا ساكن فيه
وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة أقاليم قد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا
الارض والاقاليم السبعة وأن عدد المدن عند صاحب كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة
ومائتا مدينة فأما قبلة المشرق والمغرب والتيمن والجنوبى فقد ذكرنا جملا من ذلك فى كتابنا
أخبار الزمان (وقد حرر ذلك) فى كتابه أبو حنيفة الدينورى وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى
كتبه نقلا وجعله عن نفسه وقد فعل ذلك فى كثير من كتب أبى حنيفة الدينورى هذا
وكان أبو حنيفة هذا ذا محل من العلم كبير وبطليموس فى كتاب المجسطى وغيره ممن تقدم
ثم لمن طرأ بعد ظهور الاسلام مثل الكندى وابن المنجم وأحمد بن الطيب وماشاء الله وأبى معشر
والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى فيما ذكره فى كتابه فى الاصول الثلاثين وثابت بن مرة
والسديدى ومحمد بن جابر البتانى وغير هؤلاء ممن قد عنى بعلوم الهيئة علوم كثيرة فى هذا المعنى

وانما نقل من ذلك الى هذا الكتاب لما طلبنا الاختصار والايجاز

ذكر أرباع العالم والطبائع وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب والتيمن والجنوبي والاهوية وغير ذلك من سلطان الكواكب وما لحق بهذا الباب

فأما الطبائع الاربعة فالنار حارة يابسة والطبيعة الثانية باردة رطبة وهي الماء والطبيعة الثالثة الهواء وهو حار رطب والطبيعة الرابعة الارض وهي باردة يابسة فاثنتان تذهبان صعداء وهما النار والهواء واثنتان ترسخان سفلا وهما الارض والماء والعالم أربعة أجزاء فالمشرق الربع الاول وجميع ما فيه حار رطب الهواء والدم وهذا الربع ريحه الجنوب وله من الساعات الأولى والثانية والثالثة وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقات حظه الحلاوة وله من الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزاء وللحكماء في هذا خطب طويل في وصف هذه الارباع هذه جمل منها ما مضى وما يأتي والمغرب هو الربع الثاني وجميع ما فيه بارد رطب الماء والبلغم في الشتاء ورياحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك وله من القوى القوة الدافعة وله من الكواكب المشترى وعطارد ومن البروج الجدى والدلو والحوت والجزء الثالث التيمن وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء في الصيف وريحه الصبا وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار وله من قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية وله من المذاقات المرارة وله من الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والسنبلة والميزان والجزء الرابع هو الجنوبي وجميع ما فيه بارد يابس مثل الارض وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة الماسكة ومن المذاقات العفص وله من الكواكب زحل وله من البروج الميزان والعقرب والقوس والارض وما وصفناه في الهيئة وتختلف في التأثير على مقادير الخطوط فاذا بعد الخط كان التأثير بخلاف ما هو اذا قرب لموجبات متنافية متغايرة وأفضل المواضع في السكنى ما نطرح الشمس ضوء شعاعها اليه والى الاقليم الرابع ينتهي عند هذه الطائفة شعاعها في صفوه وارتفاع كدره ولا فرق بين شعاع الشمس يهبط مساويا الى هذا الموضع وهو العراق (قال المسعودى) والمواضع التى لا تسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين احداهما افراط الحر واحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك الارضين جعلتها يابسة وأغاضت مياهها لكثرة التنشيف والعلة الاخرى بعد الشمس عن الاقليم وارتفاعها عن حوزاته فاكتنف تلك الارضين البرد واستولى عليها القر والجهد فزاد افراط البرد في الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع فضيلة النشف فلم تلبث الحرارة في الاجسام ولم تظهر الرطوبة في انماء الحيوان هنالك فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات وهذه البلدان التى تراها مفرطة الحرارة والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم ونقصه وعوده جديدا وذكروا أن السلطان في هذا الوقت السنبلة والمشترى في التدبير وأن نهاية العالم في كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى فاذا استكمل

وهذا باب هو داخل في حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع
من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعربد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون
أنواعا من الحيوان أخرجتها الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكمه ولم يتأت فيه الطبع
كتأتيه في غيره من الحيوان فبقى شاذا فريدا متوحشا نادرا في العالم طالبا للبقاع النائية
من البر مباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته
الطبيعة وعدم تشاكله به والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على
حسب ما قدمنا في باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفي الاكثار من هذا خروج عن
الغرض الذي اليه قصدنا في هذا الكتاب وقد منا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عن
زعم أن المتوكل أمر حسين بن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عني بهذا الشأن من الحكماء
أن يأتي له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك
وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن أرسل الى اليمامة في حمل العربد الى بلاد الشحر وفي حمل
النسناس في كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لنا في ذلك الا النقل وأن
نعزوه الى راويه وهو المتقلد بعلم ذلك فيما حكاه ورواه فننظمه على حسب ما يأتي نظمه في ذلك
الموضع المستحق له والله ولي التوفيق برحمته (وأما ما ذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر
خالد بن سنان العبسي وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسي وأنه ذكر
أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكرنا خبره مع النار واطفائه لها
(فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما روه فلا بد من اعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع
الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدثنا الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن
عبد الله المروزي قال حدثنا أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا في الزمان الاول من أحسن الطير
وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان في أجنحته كل لون
حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله
منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أنثى على مثاله وسماها العنقاء وأوحى
الله تعالى الى موسى بن عمران اني خلقت طائرا عجيبا خلقته ذكرا وأنثى وجعلت رزقه
في وحش بيت المقدس وآنستك بهما ليكونا مما فضلت به بني اسرائيل فلم يزالا يتناسلان
حتى كثر نسلهما وأدخل الله موسى وبني اسرائيل في التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات
موسى وهرون في التيه وجميع من كان مع موسى من بني اسرائيل وكانوا ستمائة ألف
وخلفهم نسلهم في التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه
فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز في بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش
ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبي من بني عبس بين عيسى ومحمد صلى الله
عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله
عليها فانقطع نسلها فانقرضت صورتها ما تحكي في البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوي
الدراية الى أن أقوال الناس في أمثالهم عنقاء مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه

غير هذه الوجوه في فنون الأخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النسناس
والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل
دون العلم ولا بالأخبار المضطرة لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحيحها عن مخبرها
وهذا النوع من الأخبار قد قدمنا في خبر الجائز الممكن الذي ليس بواجب أنه لاحق
بالاسرائيليات من الاخبار والاعجاز عن عجائب البحار ولولا ما قدمنا آنفا من اشتراطنا على
أنفسنا الاختصار والايجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الاخبار مما رواه أصحاب الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم حملة السنن ونقلة الآثار مما لا يتناكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه
مع حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لأهل
السفينة ويشوب الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذي
كانت فيه الدراهم وصعد على الدور وهو صاري المركب ويدعى بالعراق الرقل فحل الكيس ولم
يزل يرمي درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ما روى الشعبي عن
فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من
الصحابة وهو خبر تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في
جماعة من بني عمه في سفينة فأضل بهم البحر وألقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت
شعرها فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان وذكروا عنها
كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحبة القصر فنظروا فاذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا
واذا هم برجل بالحديد والقيود مسلسل الى عمود من حديد وصفة وجهه كذا وأنه خاطبهم
وسألهم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بجمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار في معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه
ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل
بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام في الطبائع وغيرها مما ينبه
على عظم هذا الكتاب ومبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفي الكتب
في الطبيعيات وغيرها ان للطعام ثلاث انهضامات أما الاول فهي المعدة تهضم الطعام
فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد في العروق الى جميع الجسد
كاندفاع الماء من النهر الى السواقي والمشارب فتهضمه بأعضاء الجسد البالية فتصيره الى شبهها
اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك وأن أقدارها اذا استوت
استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح باذن الله تعالى
وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فالصيف تقوى المرة الصفراء
ويكثر اهتياجها والخريف يقوى السوداء والشتاء يقوى البلغم والربيع يقوى الدم
ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم
والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وان البلدان أيضا تنقسم على
أربعة أقسام (١) المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته
البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بنية الاصول من الجسد ربما كانت مستوية

لم ن

معتدلة

معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب فى البنية فتظهر قوته باعلامه حتى يكون مقوما لذلك الخلط اذا هاج (وقد قال أبقراط) ينبغى أن يكون كل شئ فى هذا العالم مقدرا على سبعة أجزاء فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة وأسنان الناس سبعة أولها طفل ثم صبى الى أربع عشرة سنة ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ثم شاب ما دام يشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فى الهواء يكون ذلك . وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو الذى يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون الى الهم والسرور وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسكن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فأما علة) تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلدانهم فى البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء فى كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة أيضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهن ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فللبرد كما ذكرنا لان البياض اذا لحت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن أطراف الاصابع والشفة والانف اذا أصابها برد شديد احمرت (وذكر الحكيم أبقراط أن فى بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة فى الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهى مخصبة لان تلك البلاد بلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فأجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة فهم فى صورهم وقاماتهم واعتدال طباعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط فى معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتأثيرها فى الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هى التى تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغيرها فى البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التى فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم فى صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت أذابت الهواء وبردته وسخنت البحار والانهار وكل شئ فيه رطوبة وتغير لون كل ذى رطب وحالاته وهى ترخى الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى السماع وغشاوة فى البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذى يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطيب الابدان وتصح الادمغة وتحسن

اللون وتصفي الحواس وتقوى الشهية والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تأخر في الاسلام من الحكماء أن الجنوب اذا هب بأرض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبه ما قال أبقراط ان الصيف أوبأ من الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما في فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم في أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تأمل ذلك وكذلك يجده من تأمل ما وصفنا في سائر الامصار في بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط في معنى ما ذكرنا ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة المشرق وهي القبول والثانية تهب من المغرب وهي الدبور والثالثة من التيمن وهي الجنوب والرابعة من التيسر وهي الشمال (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الطبائع والاهوية والبلدان وأنواع الارض من العامر والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله ايراده فرأينا أن نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه الفزارى صاحب كتاب الزيج والقصيدة في هيئة النجوم والفلك زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ والعرض من باب الابواب الى جدة سبعمائة فرسخ ومن الباب الى بغداد ثلثمائة فرسخ ومن مكة الى جدة اثنان وثلاثون ميلا (عمل الصين) من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ في أحد عشر ألف فرسخ (عمل الهند) في المشرق أحد عشر ألف فرسخ في سبعة آلاف فرسخ (عمل التبت) خمسمائة فرسخ في مائتين وثلاثين فرسخا (عمل ماين شاه) أربعمائة فرسخ في ستين فرسخا (عمل البلغار) بالترك ألف فرسخ وخمسمائة فرسخ (عمل الترك) بخاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ (عمل برجان) ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ (عمل ادريس) الفاطمي ألف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابى المنتصر أربعمائة فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) ألفان وخمسمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل ذمار) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا في ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا في أربعين فرسخا (عمل البجة) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل النجاشى) ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة ألف وسبعمائة فرسخ في مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام في وصف أصول الطب وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس في ذلك فلم نتعرض لايراده في هذا الكتاب وان كان

متعلقا ومتصلا بالكلام فى الطبائع وجمل المعانى المذكورة فى هذا الباب لانا قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن اراده فى هذا الباب ولولا أن الكتاب يرد على اغراض من الناس لماهم عليه من اختلاف الطبائع والتباين فى المراد لماذكرنا ما يورد فيه من أنواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته مالا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصدنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوى المعرفة الى علمه ولما تغلغل بنا الكلام فى نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعانى مما لم يتقدم ذكره وقد أتينا على مبسوط سائر ماذكرناه على الاتساع والايضاح فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله تعالى أعلم

ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم وأن الملائكة أجسام لها أقدار وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة البارى عز وجل وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث فى هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهرا فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل لما يعرض فى الجو من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر على انهم اذا عظموا ما صوروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم فى سائر الاعصار لانه بيت زحل وأن زحل تولاه ولان زحل من شأنه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير خامل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألغوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بأرض الهند وكان هنديا خرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهى بلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه وأتى أرض فارس وذلك فى أوائل ملك طمورث ملك فارس

وقيل ذلك فى حرسند وهو أوّل من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ماقدمنا آنفا فيما سلف
من هذا الكتاب وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد فى هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم
اذ كان من هنالك بدو النفوس واليها يقع الصدر من هذا العالم (وجدد بوداسف) عند الناس
عبادة الاصنام والسجود لها لشبه ذكرها وقرّب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع
وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكهم أنه أوّل من عظم النار ودعا الناس الى
تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده أفضل من الظلمة وجعل للنور
مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم مايرون تعظيمه من الاسماء تقربا الى الله
بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشأ عمرو بن لحىّ) فسار بقومه الى مكة واستولى
على أمر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشأم فرأى قوما يعبدون
الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى وكل
من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه
اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى أن أظهر الله الاسلام وبعث
محمدا عليه السلام فطهر البلاد وأنقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت
السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (وبيت ثان) معظم على رأس
جبل باصبهان يقال له مارس وكانت فيه أصنام الى أن أخرجها منه يستاسف الملك لما تمجس
وجعله بيت ناره وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه
الغاية (والبيت الثالث) يدعى سندوساب ببلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه أحجار
المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من أوصاف لايسعنا الاخبار عنها فمن أراد أن يبحث عن
ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو النوبهار الذى بناه منوشهر
بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك فى ذلك الصقع
وتنقاد الى أمره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل
بسدانته يدعى البرمك وهو سمة عامة لكل سدنته ومن أجل ذلك سميت البرامكة لان خالد بن
برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا
وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها اشقاق الحرير الاخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها
قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوّة الريح بما عليها من الحرير فيقال والله أعلم ان الريح
خطفت يوما من بعض تلك الشقاق ورمت به فأصيب على مسافة خمسين فرسخا وقيل أكثر
من تلك المسافة وهذا يدل على زيادته فى الجوّ وتشييد بنيانه وكانت مسافة البحر المحيط بهذا
البنيان أميالا لم نذكرها اذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه
(قال المسعودى) وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقير أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية
ترجمته قال بوداسف أبواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته
بالعربية كذب بوداسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم
باب السلطان (والبيت الخامس) بيت غمدان الذى بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك
بناه (١) على اسم الزهرة وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه فهو فى وقتنا هذا خراب

قد هدم فصار تلا عظيما وقد كان الوزير على بن موسى الجراح حين نفي الى اليمن وصار الى
صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا (ورأيت غمدان) ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه وصار
جبل تراب كأنه لم يكن وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان المنازل بها وصاحب
مخاليف اليمن في هذا الوقت وهو المعظم في اليمن أراد أن يبني غمدان فأشار عليه يحيى بن
الحسين الحسني أن لا يتعرض لشيء من ذلك اذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سبا
وأرض مأرب يؤثر في صقع هذا العالم تأثيرا عظيما وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت
أخو أمية واسمه ربيعة في مدحه لسيف بن ذي يزن وقيل بل الممدوح بهذا الشعر معديكرب
ابن سيف حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * برأس غمدان دارا منك محلالا

وكان أبو أمية جاهليا وهو القائل في أصحاب الفيل

ان آيات ربنا بينات * ما يماري بهن الا كفور
غلب الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور (١)
حوله من ملوك كندة فتيا * ن ملاويث في الحروب صقور
واضعا خلفه الجرار كما * قطر صخر من جانب محرور

وقيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس
ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة (والبيت السادس) كارشان شاه بناه كارش الملك بناء عجيبا على
اسم المدبر الأعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من مدائن خراسان
وخربه المعتصم بالله ولهدمه هذا البيت خبر طريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان
(والبيت السابع) بأعالي بلاد الصين بناه ولد عابور بن بعويل بن يافث بن نوح وأفرده للعلة
الاولى اذ كان منشأ هذا الملك ومحمده وباعث الامور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك
في قديم الزمان وجعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة
على صورة من الجسد والنيرين من أنواع الجواهر المضافة الى تأثير تلك الكواكب من ياقوت
أو زمرد على اختلاف ألوان الجواهر ولهم في هذا الهيكل سر يسرونه في بلاد الصين بما قد
زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الاجسام
السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك
الاجسام السماوية في هذا العالم وهو على حسب الذي نسج فيه بنصب من حركات الطبائع
بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت
حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر
وبآخر رأسه وبآخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع فجعلوا هذا
المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع في ذلك من الافعال مثالا لما ذكرنا من
الكواكب العلوية وهي الاجسام السماوية فبضرب من الحركات ظهر في العالم الدائر
وبصرت آخر فرخ وكذلك سائر ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل
وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما

(١) المغمس كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة ويرجم قاله المجد اهـ

يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع وأهل صناعة النجوم لا ينا كرون أن يقولوا أعطته الزهرة كذا وأعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر وأعطاه عطارد دقة الصنعة وأعطاه المشترى الحياء والعلم والدين وأعطته الشمس كذا وأعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه فى بابه

(ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين)

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاث بيوت فبيت منها كان بانطاكية من أرض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون فى موضعه مرقبا ينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين نخرب عند مجىء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانة الملكة المظهرة لدين النصرانية هو المخرب لهذا البيت وكانت فيه الاصنام والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذى بناه سقلابيوس وهو فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحرانى حين وافى المعتضد فى سنة تسع وثمانين ومائتين فى طلب وصيف الخادم بن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شأنه ما وصفنا (والبيت الثانى) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التى ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على مازعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذى بناه الضحاك وأنه سيكون له فى المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد وأقاصيص تدعيها المجوس فى هذا المعنى واختلاط طويل ننزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم)

البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور النصرانية بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة وهى تونس وراء بلاد القيروان وهى من أرض الافرنجة وبنى على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثانى بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم بمقدونية وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

(ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة)

كانت فى ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم فى هذا الجبل الذى ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر فى كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على

الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود يحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها اعظام الموتى من النواويس وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل وتحت الاخرى غرابيب سود من صور الغداف (١) وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى بأحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرد الاخضر في وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرد أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بأرض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والمخاريق المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طباعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولي التوفيق

* (ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة للصابئة وغيرها مما يلحق بهذا الباب) *

للصابئة من الحرانيين هياكل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدري أشاروا الى العقل الاول أم الثاني وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاول الفعال والعقل الثاني وكذلك ثامسطيوس في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثاني الاسكندر والافرودسي في مقالة أفردها في ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين (ومن هياكل الصابئة) هيكل السلسلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشتري مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل في جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبسطاط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذي بقي) من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم بمدينة حران في باب الرقة يعرف بمغليتيا وهو هيكل آزر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام عندهم وللقوم في آزر وابنه ابراهيم كلام كثير ليس في كتابنا هذا ولابن عيسون الحراني القاضي وكان ذا فهم ومعرفة وتوفي بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التي جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم

(١) الغداف كغراب غراب القيظ والنسر الكثير الريش جمعه غدفان اه قاله المجد

لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك فى ألوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها
لما يسمعون من ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات فى تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص
بحيل قد اتخذت ومنافخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بأنواع من الكلام
فتجرى الاصوات فى تلك المنافخ والخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المنصمة
فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل فى قديم الزمان فيصطادون به العقول وتسترق بها الرقاب
ويقام بها الملك والممالك ومما ذكر فى هذه القصيدة قوله

ان نفيس العجائب * بيت لهم فى سرادب
تعبد فيه الكواكب * أصنامهم خلف غائب

وهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة الا أنهم من حشوية الفلاسفة وعوامهم
مضافون لخواص حكمائهم اضافة نسب لا اضافة حكمة لانهم يونانية وليس كل اليونانيين
فلاسفة انما الفلاسفة حكماؤهم (ورأيت) على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوبا
بالسريانية قولا لافلاطون فسره مالك بن عقبون منهم وهو من عرف ذاته تأله وقد قال
أفلاطون الانسان نبات سماوى والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها الى السماء
وفروعها فى الارض ولافلاطون كلام كثير فى هل النفس فى البدن أو البدن فى النفس كالشمس
أهى فى الدار أو الدار فى الشمس وهذا قول تغلغل بنا الكلام فيه كالكلام فى تنقل الارواح فى
أنواع الصور (وقد تنازع) أهل هذه الآراء ممن قصد هذه المقالة فى النقلة على وجهين
وطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا انبياء رسلا منهم
افلاطون ومن يم طريقهم فانه حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم وانها حية
عالمة مميزة لاجل ذاتها وجوهرها وانها هى المدبرة للاجسام المركبة من طبائع الارض
المتضادة وغرضها فى ذلك أن تقيمها مقام العدل وما تم به السياسة المستقيمة والنظام غير المفسد
وتردها من الحركة المضطربة الى المنتظمة (وزعموا) أنها تلذ وتألم وتموت وموتها عندهم
انتقالها من جسد الى جسد بتدبير وبطلان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت لان
شخصها يفسد ولان جوهرها ينتقل (وزعموا) أنها عالمة بذاتها وجوهرها وفيها قبول علم
المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره فى هذه المعانى كلام يطول ذكره ويعجز عن
وصفه واظهاره لاعتياصه وغموضه وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من
الفلاسفة ممن تقدم وتأخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء والاحاطة بفهمها وبلوغ غايتها
لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورسموا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة الالفاظ
الخمس وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهى عشرة
الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهى النسبة وهذه أربع بسائط والست
الاخر مركبات وهى الزمان والمكان والجدة وهى الملك والوضع والفاعل والمنفعل
ثم ما بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى أن ينتهى الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى
(ثم رجع) بنا الاخبار عن مذاهب الصابئة من الحرانيين وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف
عن أحوالهم (فمن ذلك) كتاب رأيته لابى بكر محمد بن زكريا الرازى والفيلسوف صاحب كتاب

[illegible]

لطف يطرح نفسه في السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع في صيد الليالي من الغزلان والطير
والوحوش وظهور الحيتان من الماء اذا قربت من السراج في الزوارق كما يصطاد
ببلاد البصرة السمك في الليل يظهر من الماء طافيا حتى يقع في جوف المركب والسرج
قد جعلت حواليه وأن بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها
ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وأنه أصل لكل شئ ومبدأ لكل شئ
ومبدأ لكل تمام فلما اخبر افريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا
بطوس وبنى آخر من بيوت النار بسجستان كراكركان اتخذه بهمن بن استبدياذ بن يستاسف
وبيت آخر ببلاد السيروان والرى وكان فيه أصنام فأخرجها أنوشروان وقيل ان أنوشروان
صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال
له كوسجه بناه كيخره الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لايدرى من بناه يقال له جريس
ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال انه كان في ذلك الموضع فيما
مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فأخربت تلك المدينة
بما فيها من البيوت ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن
كاوش الجبار وذلك زمان لبثه بمشرق الصين مما يلي البركة وبيت نار بمدينة أرجان من
أرض فارس اتخذ في آخر مهراسف وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن
استيمان نبي المجوس ثم اتخذ زرادشت بن استيمان بعد ذلك بيوت النيران وكان ممن اتخذ بيت
بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان
زرادشت بستاسف الملك بطلب نار معظمها جر فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك
بستاسف الى مدينة دارابجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى في وقتنا
هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة آذر وحواء وتفسير ذلك نار النهر وذلك أن آذر أحد أسماء
النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت
الفرس أن كيخره لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها
عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذى نقلها الى الكارياه فلما ظهر الاسلام تخوفت
المجوس أن تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكارياه ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة
فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (وللفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس
كان في قديم الزمان فأخرجته حمانى بنت بهمن بن استبدياذ وجعلته بيت نار ثم نقلت عنه النار
فخرب والناس في وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو
على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بناء عجيبا وهيكلا عظيما واساطين صخر عجيبة على أعلاها
صور من الصخر ظريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك
جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأتقنت صورها فزعم من
جاور هذا الموضع أنها صور الانبياء وهو في سفح الجبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل في
ليل ولا نهار لها هبوب ودوي يذكر من هنالك أن سليمان بن داود عليهما السلام
حبس الريح في ذلك الموضع وأنه كان يتغدى ببعلبك من أرض الشأم ويتعشى في هذا المسجد

وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال أو ستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان (وفى مدينة) سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا (وفى مدينة جور) من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى واليه يضاف بيت النار بناه اردشير بن بابك قد رأيته وهو على ساعة منها على عين هنالك عجيبة وله عيد وهو أحد متنزهات فارس وفى وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال أخربه المسلمون وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكورى واليها يضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل فى العالم لصحة البرية وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة فى بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار الى مدينة شيراز وهى قصبة فارس عشرة فراسخ (ولجور وكوار وشيراز وغيرها) من كور فارس أخبار ولما فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس وكذلك ما كان بأرض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بنى عليه هيكل وكان كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة أنفس دفع الى أحدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السيد المسيح وأمه بأرض الشام والنصارى تغلو فى قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود فى الانجيل وأن هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد المسيح عيسى فكانوا اذا ساروا سار معهم ذلك النجم واذا وقفوا وقف بوقوفهم وقد أتينا فى كتابنا أخبار الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التى دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعل الخبز تحت الصخرة وغوصها فى الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعلتى نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل فى هذا الخبر (وقد كان اردشير) بنى بيتا آخر يقال له بارنو فى اليوم الثانى من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية فى عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدى فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره فى جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمى سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن اسطرون ملك السريانيين فى رستاق يقال له أباجر من بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف بالحضر فممن ذكره منهم أبو دواد بن حارثة بن حجاج الايادى بقوله

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون

ولقد كان آمنا للدواهى * ذا ثراء وجوهر مكنون

وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون بن اسطرون والساطرون واسطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا من أفناهم

الدهر الضيزن بن جبهلة وجبهلة أمه وهو الضيزن بن تبت بن معاوية بن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان فى نفس سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن فى الحصن فأقام سابور عليه شهر الا يجد سبيلا الى فتحه ولا يتأتى له حيلة فى دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فأرسلت اليه ان أنت ضمنت لى أن تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فأرسلت اليه ائت البرباره وهو نهر فى أعلاه فانثر فيه تبنا ثم أتبعه النظر أين يدخل فأدخل الرجال منه فان ذلك المكان يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا وأصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت النظيرة فسقت أباها حتى أسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنظيرة بنت الضيزن فباتت مسهرة فقال لها سابور مالك لا تنامين قالت ان جنبى يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطأ وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها فتناولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بما كان أبواك يغذيانك فقالت بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور وانى لجدير أن لا أستبقيك بعد اهلاك أبويك وقومك وكانت حالك عندهم الحالة التى تصفين فأمر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلا سبيلهما فقطعاها ففى هذا المقتول ومن كان معه يقول جدى بن الدهمى العبسى

ألم يحزنك والانباء تنمى * بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبنى أبيه * وأحلاف الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور الجنود
فهدم من بروج الحصن صخرا * كأن بناءه زبر الحديد

وفى قتل سابور للنظيرة بنت الضيزن وما كان منها من الغدر بأبيها وتويها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدى بن زيد العبادى

والحصن صب عليه داهية * من قصره قد أبد ساكنها
أتته اذلم يوف والدها * محبها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها لليلتها * تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصبح * وما تجدين سباسبها

والشعر فى هذه القصة كثير (وبأرض العراق) بيت للنار فى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى ابرويز الملكة فى الموضع المعروف باسيبا وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها واذ ذكرنا ما اشتهر منها (والهياكل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة مثل بيت بعل وهو الصنم الذى ذكره الله عز وجل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورسنير وقد كانت

اليونانية اختبارت لهذا الهيكل قطعة من الارض من حسبان وجبل تستر فأحدثته موضعا
للاصنام وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى
الحجر الذى لايتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع
فحصهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة
الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة دمشق وهو
المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وان بانيه جيرون بن أسعد العادى
ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لاماذكر عن كعب
الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وسأله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب
والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج فى طلبهما فيقع
اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد
دخلها يطلب ماندمن ابله فأجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وايضاح برهانه فان كان هذا
الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من جهات من النقل
وغيره وهو من صنعة القصاص (وقد تنازع الناس) فى هذه المدينة وأين هى ولم يصح عند كثير
من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسنن الغابرين من
العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب
عبيد بن شرية متداول فى أيدى الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة
بأخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها
وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة
لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تأليفها مماذكرنا مثل كتاب افسان وتفسير ذلك من
الفارسية ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير
وابنته ودايتها شيرزاد ودرسازاد ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء
ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب فى هذا المعنى (وقد كان) مسجد دمشق قبل ظهور
النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منابره تماثيل منصوبة وقد كان بنى على
المشترى وطالع سعد ثم ظهرت النصرانية فجعلته كنيسة وظهر الاسلام وأحكم بناءه الوليد بن
عبد الملك والصوامع لم تغير وهى منائر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب
يقال له البريص وهو مبنى الى هذا الوقت فى وسطها وكان يجرى فيه الخمر فى قديم الزمان وقد
ذكرته الشعراء فى مدحها لملوك غسان من مأرب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس
على يمين مسجدها الجامع مبنى بالآجر العادى والحجر عظيم البنيان وفى كل سنة يدخل القمر
عند طلوعه من باب من أبوابه من أعاليه فى بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر أن هذا الديماس
من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نار لها (قال المسعودى) وقد ذكر أبو معشر
المنجم فى كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤه فى العالم فى كل
ألف عام وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبى معشر فى كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد
ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب فى الارض وقد

وجعلت لها أصلا فى التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعرت الى النسل وأن الطبائع تنتقل
من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أورى المركب كنه ما فيه وعادت الاشياء الى
البسيط وابتدأ الكون على طريقه لان الذى أوجبه أولا قد وجد فحقه أن يوجد بوجود
المعنى الذى أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات فى الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك أن
الشمس تبلغ فى الربيع الى رأس الحمل بادئة فى شرفها آخذة فى ممرها وهى العلة الكبرى فى الاحياء
وما حدث من الثمر والزهور فى الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذى قد باد فى الشتاء ويبسه
وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من
الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد
الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فبدأ بها باعادته فى
انشائها وأبرزها من خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شأن الاجسام
وتحيط بانتقالها من حال الى حال لشاهدت ممرها فى دائرة الزمان مبتدئة فى رتبها راجعة اليها
مشكلة فى محيط الدائرة بأشكال توافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة
فى المرور كاختلاف الاسباب وفى هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول وأبان عنه
وقضية الفحص توجب أن الاشياء الموجودة غير خالية من أحد منزلين اما أن يكون بدأ
وانتهاء واما أن يكون بدأ لا انتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية وواجب
أن يكون الزمان غير عاد لها ولا حاصر لجميعها وقد وجدنا التناهى والابتداء فى أجزائها وأبعاضها
على الدوام وأنا فى كل يوم جديد نعاين خلقا جديدا وصورا فى العالم لم تكن وصورا بائدة
قد كانت متأثلة وفى هذا ما يدل على حصر الاشياء ووقعها فى غاية انتهاء عددها وأوجب أن
للاشياء بدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وأن ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك
باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شئ
من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبطلت المضادة وهذا مستحيل
ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه
الازمان بعد ما هو بالنهاية ويوجد فى حوزتها ايجاد ما لم يكن ودخلها فى حوزتها ما هو كائن وفيما
ذكرنا ما أوضح عن تنقل شأن المعانى ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة مأخوذة من
الحس ومستظهرة للعقول والبحث واذ قد وضح أن الاشياء محدثة لكونها بعد أن لم تكن
فلا بد من محدث هو بخلافها لا شكل له ولا مثل لان العقل لا يقيم شيأ مثلا حتى يعلم له قدرا
ووزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتعجز العقول أن
تحصره بالصفات وتدركه بالاشارات أو يكون ذا غايات ونهايات (قال المسعودى) فلنرجع الآن
الى الكلام فى حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم
ذكرنا لقول الهند فى ذلك فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا
سبعة آلاف سنة وأخذوا فى ذلك مأخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم
ما ذهبت اليه اليهود وأما الصابئة من الحرانيين والكيسانيين فقد ذكرنا قولهم فى ذلك فى جملة
قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا فى ذلك الى حد معلوم من نفاد قوة الهرمند وكيده وهو

الشيطان ومنهم من ذهب فى ذلك الى نحو ما ذهب اليه أصحاب الانيس والجلاس وأن العالم
سيعود بدأ متخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم
الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر
الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبي صلى
الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وستة وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه
السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن الطوفان الى مولد ابراهيم
الخليل عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة ومن مولد ابراهيم الى ظهور موسى بعد ثمانين
سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه ببني اسرائيل من مصر الى التيه
خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه
السلام وذلك وقت ابتدائه فى بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت
المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد
المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم
خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين أن رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة
النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربعة وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم
فى سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سني ذى القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه
وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وسنتان وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله
عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ومن نوح الى محمد
صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام فعلى هذا القول
ان جميع جملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة
آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام فجملة التاريخ من هبوط آدم
الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي بالله ونزوله
الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من
التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم (وللمجوس) فى التواريخ أقاصيص
يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة فى بدء العالم وفنائه ومن
قال منهم ببقائه وأن لا بدء له ولا نهاية ومن ذهب منهم الى أن له انتهاء ولا بدء له قد أتينا على
ذلك فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن الاعادة فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا
الاختصار والايجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من أهل البحث
والنظر من أهل الاسلام أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن
المحدث له الخالق البارى جل وعز أحدثه لا من شئ ويعيده لا من شئ فى الآخرة ليصح بذلك
وعده ووعيده اذ كان الصادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته وأن أول العالم من لدن آدم
وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس فى بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر
أوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعتداد بسنده فيما مضى وليس علم ذلك مما تجمع عليه الآراء ولا

تحصره قضيات العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها المحسوساتها
فكيف توجب أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال
ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول فى
الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا فى كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء بعده
وأخبر عن شأن بدء الخلق ولم يخبرنا بعدد لذلك فنقف عليه كوقوفنا عندما أخبرنا به ولاسيما
مع علمنا أن البدء بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب
فلا نحصر مالم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن انهم
يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ما أوتوا به من
الآيات مما أظهره الله عز وجل على يدى عيسى بن مريم من المعجزات وعلى يدى نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبر بما أهلك من
الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة
كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية
الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب
الى معد (١) ونهى أن يتجاوز بالنسب الى ما فوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية
والامم الفانية ولولا أن النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث
أميل وبها آلف لما ذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين مالم نذكره فى هذا
الكتاب ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معولنا
فى جميع ذلك على ما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذا علم الله عز وجل موقع النية ووجه
القصد أعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم
وكل باب من الآداب على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والايجاز لمعان يعرفها
من تأمل وينبه بها من رآها (واذ قد ذكرنا) جوامع ما يحتاج اليه المبتدى والمنتهى من علوم
العالم وأخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته
ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض فى كتابنا هذا لكثير من
الاخبار بل لوحنا بالقول بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغى للعاقل أن يحمل
البنية على ما ليس فى طاقتها ويسوم النفس ما ليس فى حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعانى
وقليلها لقليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى
ولى التوفيق

(ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ فى أخبار العالم وأخبار الانبياء والملوك وعجائب
البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد
النبى صلى الله عليه وسلم الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته وقد قدمنا فى هذا الكتاب من كان
بينه وبين المسيح من أهل الفترة فلنذكر الآن مولده اذ كان طاهرا مطهرا الاغر الازهر الذى

(١) قوله الى معد كذا كره ولعله الى عدنان وعبارة متن المواهب أجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه اه

اتسعت أعلام نبوته وتواترت دلائل رسالته ونطقت له السموات قبل بعثته (وهو محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن ناحور بن يعوز بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارخ بن آزر بن ماخور بن ساروغ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ (١) بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن معسوف بن أنوش بن شيث ابن آدم عليه السلام هذا ما في نسخة ابن هشام في كتاب جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء في النسب من نزار وفي نسخة ان نزارا ابن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صانوع بن يافث بن قيدر بن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ارعواء بن أسروح بن فالح بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان ابن انوش بن شيث بن آدم (وفي رواية ابن الاعرابي) عن هشام بن محمد الكلبي هو نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نبت بن سلامان بن قيدر بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل بن تارخ ابن ناخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام (وفي التوراة) ان آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبي عليه السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من نهيه أن يتجاوز عن معد فقد ثبت أن نتوقف في النسب على ما ذكرنا فالواجب الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه (قال المسعودي) وقد وجدت نسب بن عدنان في السفر الذي أثبته تاروح بن باريا كاتب أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن معدا ابن عدنان بن أد ابن الهميسع بن سلامان بن عوص بن برد بن قسماويل بن أبي العوام بن ناسك بن حرا بن المدارم بن بدلان بن كالح بن فاحم بن ناسح بن صاعي بن عنصى بن عنف بن عبيد بن الرعى بن حمران ابن سيس بن قنرى بن نحرى بن بلخى بن ارعوا بن عنقا بن حسان بن عيسى بن اقياد بن ايهام بن معصر بن ماحب بن دواح بن سماى بن مز بن عوص بن عوام بن قيدر بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشأم وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس في ذلك (وقد نهى) النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعله من تباعد الانساب وكثرة الآراء في طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفي ذلك يقول الشاعر

لله من قد برا صفوة * وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم * محمد النور أبو القاسم

وهو محمد وأحمد والماحي الذي يمحو الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذي يحشر الناس على

(١) لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ومتوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية المضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام بعدها معجمة وخنوخ هو ادريس من الزرقاني على المواهب

عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل وبين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة والفجار (١) حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة استحلوا فيها القتال في الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو عمرو بن الياس بن مضر بن نزار وكان ولد الياس (٢) عمرا وعامرا وعميرا فعمرو وهو مدركة وعامر هو طابخة وعمير هو قمعة وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة

انى أرى الحرب لحيى وأبى * عند تناديهم بآل وهب
معترم الصولة عالى النسب * أمى خندف والياس أبى

(وقريش) خمسة وعشرون بطنا (٣) وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو أسد بن عبد العزى بنو عبد الدار بن قصى وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم بن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدى بن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهى قريش البطاح على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤى بنو أسامة بن لؤى بنو الادرم وهم تيم بن غالب بنو محارب بن فهم بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤى بنو بنانة وهم سعد بن لؤى ومن بنى مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا انما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للمطيبين وغيرهم من قريش وكان من حرب الفجار ما ذكرنا للمتفاخرين بالعشائر والتكاثر وكان الفجار فى شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم

نحن كنا الملوك من آل نجد * وحماة الذمار عند الدمار
ومنعنا الجون من كل حى * ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفي ذلك قال خداش بن زهير العامرى

فلا توعدني بالفجار فانه * أحل ببطحاء الجون المخازيا

(وقد كان) الحلف فى ذى القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص ابن وائل السهمى فمطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبى قبيس وقريش فى مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول

يا للرجال لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الحى والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته * ولا حرام لثوبى لابس الغدر

فمشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى فى ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش فى دار الندوة وكانت للحل والعقد وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم فساروا الى دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا هنالك ففى ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب

حلفت لنعقدن حلفا عليهم * وان كنا جميعا أهل دار

(١) قال الجوهرى الفجار يوم من أيام العرب وهى أربعة أفجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لانها كانت فى الاشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا اه

(٢) قوله وكان ولد الياس الخ قال المجد وولد الياس بن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة وأمهم خندف كزبرج وهى ليلى بنت حلوان بن عمران وكان الياس خرج فى نجعة فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير فى الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها الياس أين تخندفين فقالت ما زلت أخندف فى أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف اه

(٣) قوله خمسة وعشرون لم يذكرها كلها اه

نسمه الفصول اذا عقدنا * بلغه القريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا فى كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ود وفجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبى صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشام فى تجارة خديجة ونظر نسطور الراهب اليه وهو فى صومعته والنبى صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش فى وضع الحجر الأسود عشر سنين وقد كان السيل هدم الكعبة فسرق منها المال ثم دمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضها قريش وكان فى حيطانها صور كثيرة بأنواع من الاصابع عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل فى يده الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتأتى لها ما أرادت فى بنائها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ما ذكرنا أيهم يضعه فتفقوا على أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدى السهمى ليأخذ كل واحد منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فشالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضعه فأخذ عليه السلام الحجر ووضعه فى مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله واحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا القوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم (وقد تنوزع) فى هذا القائل فمن الناس من رأى أنه ابليس ظهر فى ذلك اليوم فى جمعهم فى صورة رجل من قريش كان قد مات وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فلما استتمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهى الوصائل وأعادوا الصور التى كانت مصورة فى الكعبة وأبقوا شكل ذلك واحكامه وكان أبو طالب حاضرا فلما سمع هذا الكلام من هذا

قال المجد وأيام الفجار بالكسر أربعة أفجرة فى الاشهر الحرم كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجرنا حضرها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وفى الحديث كنت انبل على عمومتى يوم الفجار ورميت فيه بأسهم وما احب أنى لم أكن فعلت اه

القائل فى النبى صلى الله عليه وسلم ومايكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوله وآخره * فى الحكم العدل الذى لا ينكره

وقد جهدنا جهدنا لعمره * وقد عهدنا أوله وآخره

* فان يكن حقا ففينا أكثره *

(وكان) من بناء الكعبة الى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذى صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذى القرنين وكان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام) لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بأرض الشأم فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد تنوزع فى ذلك فنهم من قال انه مات بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بشهر ومنهم من قال انه مات فى السنة الثانية من مولده (وأمه آمنة) بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله بن الحرث ترضعه (وفى السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول

الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان

قد ساد فى المهد على الغلمان * أعيذه بالبيت ذى الاركان

(وفى رواية أن عبد المطلب قال)

لاهم رب الراكب المسافر * محمد قلب بخير طائر

تنحى عن طريقه الفواجر * وحيه برصد الطواهر

واحبس كل حلف فاجر * فى درج الريح والاعاصر

(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال مازال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بأمته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه الى أخواله تزورهم فتوفيت بالأبواء وقدمت به أم أيمن الى مكة بعد خامسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج معه عمه الى الشأم وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشأم مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

* (ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته) *

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ماقدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة وأول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق وأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحراء وهو أول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه بأول السورة الى قوله علم الانسان مالم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم أمر باتمامها بعد ذلك وأقرت ركعتين فى السفر وزيد فى صلاة الحضر (وكان مبعثه) صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز وذلك على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب فى صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفى ذلك يقول الشاعر

فى رأس ألف من السنين * الى ثلاث حصلت بقين
والمائة المعدودة التمام * الى ألوف ستة تمام
أرسله الله لنا رسولا * وكان فينا هادى السبيلا

(وقد تنوزع) فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستأنف الاسلام بل كان تابعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وأن الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلى اذ كان أقرب الناس اليه وأتبعهم له ومنهم من رأى غير ما وصفنا وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال بالنص فى الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنه قد أتينا على الكلام فى ذلك على الشرح والايضاح فى كتابنا المترجم بكتاب الصفوة فى الامامة وفى كتاب الاستنصار وفى كتاب الزاهى وغيره من كتبنا فى هذا المعنى ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة وعبيد الله فجاء بهم النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء فى صدر الاسلام يذكرهم

فيا سائلى عن خيار العباد * صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش * وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوى الهجرة السابقون * ثمانية وحدهم نصره
على وعثمان ثم الزبير * وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمدا * وجاور قبراهما قبره

فمن كان بعدهما فاخرا * فلا تذكروا عندهم فخره

(وقد اختلف) فى أول من أسلم فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول الناس اسلاما وأسبقهم ايمانا ثم بلال بن حمامة ثم عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال على ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبى صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم على كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أحببنا من القول فى ذلك فيما قدمنا ذكره فى هذا المعنى والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر هجرته وجوامع مما كان فى أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته)

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك فى سنة احدى من الهجرة وهى السنة التى نزل فيها الأذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهى سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر المقدونى (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه من مكة ودخوله الغار واستئجاره على الابل ونومه على فراشه فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وعبد الله بن أريقط الديلى دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام على بن أبى طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر بأدائه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول فأقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام فى حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهى تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مأمورة حتى أدركته الصلاة فى بنى سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت فى الاسلام وهذا موضع تنازع الفقهاء فى العدد الذى بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعى فى آخرين معه الى أن الجمعة لا تجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا وأقل من ذلك لا يجزى وخالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم وكان فى بطن الوادى المعروف بوادى رانوناء (١) الى هذه الغاية ثم استوى على ناقته فسارت لا تعرج على شىء ولا بدار دار حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بنى النجار فبركت ثم ثارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبى صلى الله عليه وسلم يراعى مكارم البارى منه وتوفيقه له فنزل عنها وسار الى منزل أبى أيوب الانصارى وهو خالد (٢) بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن سحيم بن مالك بن النجار فأقام فى منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع وأحدقت به الانصار واستبشروا بقدومه وأظهروا التأسف على ما فاتهم من نصرته وفى ذلك يقول صرمة بن أنس أخو بنى عدى بن النجار من قصيدة

(١) قال المجد وادى رانوناء صوابه رانوناء بنونين بين المدينة وقبا اهـ وقال القسطلانى فى المواهب رانوناء براء مهملة ونونين ممدودا كعاشوراء وتاسوعاء اهـ

(٢) وقوله خالد بن كليب فى الزرقانى خالد بن زيد بن كليب اهـ

نوى

والاخبار فى عدة سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة وبين
أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه فى التاريخ
قال حدثنى الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمر والواقدى كانت سرايا النبى صلى
الله عليه وسلم ثمانيا وأربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين
(وقبض صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم فى صدر هذا الكتاب
من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما
وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج على) بن أبى طالب لفاطمة عليهما السلام بعد
سنة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك (وكانت) أول امرأة تزوج بها النبى صلى الله عليه
وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكانت وفاتها فى شوال بعد مبعثه
بثلاث سنين (وأسرى به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت)
وفاة عمه أبى طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة
وثمانية أشهر وقد قيل ان أبا طالب اسم له (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس
ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضى الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر
وتسعة أيام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه فى الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر)
ابن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال
ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلما قبل من الله
فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن على الله الجنة
فأجيز له ذلك (وكان عدة) من تزوج من النساء خمس عشرة دخل باحدى عشرة منهن ولم يدخل
بأربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودى) وقد تنوزع فى مقدار عمره عليه السلام
وقد قدمنا ما روى فى ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس
وقد روى عن أبى هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب
يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وأقام بمكة
عشرا وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك ذكر عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا على بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دغفل يعنى ابن حنظلة أن النبى
صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن
ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ومات وهو ابن ستين وذكر شيبان عن
يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة قال حدثتنى عائشة رضى الله عنها وابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن
ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر فى كتابنا هذا أنا لم نغفل شيأ

مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار
وطلبا للايجاز والذى وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما
غسل عليه السلام كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل
فى قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر فى مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر
لمع من أموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

(ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم)

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع
يكتفى بها العالم المستبصر وينتبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث
فى تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل
أحداث وكوائن كانت فى أيامه ليقرب تناول ذلك على مريده ويسهل مأخذه على الطالب له
وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (فى أول)
سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله بن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن نصر بن
معد بن عدنان (وفى السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ما ذكرنا فيما
سلف من هذا الكتاب (وفى السنة السادسة) أخرجته أمه الى أخواله زائرة فتوفيت بالابواء
بين مكة والمدينة وفى ذلك الى أم أيمن خرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له وقد
ورثها عن أمه (وفى السنة التاسعة) خرج مع عمه أبى طالب الى الشأم وقيل انه خرج مع عمه
أبى طالب الى الشأم وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبى النبى صلى الله عليه
وسلم لابيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبى صلى الله عليه وسلم من بين سائر اخوته وهم العباس
وحمزة والزبير وحجل (١) والمقوم وضرار والحرث وأبو لهب وهم عشرة بنو عبد المطلب وكان
لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سمينا وستة اناث وهم عاتكة وصفية وأميمة
والبيضاء وبرة وأروى ولم يسلم منهن الا صفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع فى أروى فمنهم من
قال انها أسلمت وفى خروجه عليه السلام مع عمه فى هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب وأوصاهم
بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من
هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبى صلى الله عليه
وسلم وذلك فى باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام
شهد يوم حرب الفجار وذلك فى سنة احدى وعشرين وأنها حرب كانت بين قريش وقيس
عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذى هو الفجار لانها
كانت فى الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبى صلى الله عليه وسلم لما شاهدها
صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمى وكان نخاسا
للجاهلية بياعا للجوارى وكانت هذه احدى الدلائل المنذرة بنبوته عليه السلام والتيمن
بحضوره (وفى سنة ست وعشرين) كان تزويجه بخديجة بنت خويلد وهى يومئذ بنت أربعين

(١) بتقديم الجيم على الحاء من المواهب وقوله وهم عشرة فى المواهب انهم ثلاثة عشر والثلاثة هم الغيداق وقثم وعبد الكعبة اه مصححه

قوله وفى سنة ست وعشرين الخ فى المواهب وكان سنه عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وعليه الاكثر وقيل ثلاثين اه

وقيل في سنة اغير هذا (وفي سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر
على حسب ماقدمنا (وفي سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك
لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس في تاريخ مبعثه عليه السلام (وفي سنة)
ست وأربعين كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب
(وفي سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفي هذه السنة) كانت
وفاة خديجة زوجه على حسب ماذكرنا على غير هذا التفصيل (وفي سنة احدى وخمسين) كان
الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب مانطق به التنزيل (وفي سنة) أربع
وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده
(وفيها) دخل بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وهي ابنة تسع تزوج بها بعد الهجرة بسبعة
أشهر وقيل عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهي بنت ثمان عشرة سنة
وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة (وفيها) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاذان وأرى عبد الله بن زيد كيفية الاذان في منامه (وفيها) كان تزوج علي بن أبي طالب
بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من التنازع في التاريخ (وفي
سنة اثنتين) من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان (وفي هذه السنة) أمر النبي صلى
الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة (وفيها) توفيت ابنته رقية (وفي آخر هذه السنة) وهي سنة
اثنتين من الهجرة كان دخول علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
(وفيها) كانت وقعة بدر وذلك في يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (وفي سنة
ثلاث) كان تزويجه بزينب بنت خزيمة وكانت وفاتها بعد شهرين (وفي هذه السنة) كان تزويجه
بحفصة بنت عمر بن الخطاب (وفيها) كان تزويج عثمان بن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم (وفيها) كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب على مافي ذلك من التنازع
في التاريخ (وفيها) كانت غزوة أحد (وفي هذه السنة) استشهد حمزة بن عبد المطلب (وفي سنة
أربع) كانت غزوته المعروفة بذات الرقاع وفي هذه الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس على
حسب ماذكرنا في كيفية ذلك من التنازع (وفيها) كان تزويجه بأم سلمة بنت أمية (وفيها)
كانت غزوته الى اليهود من بني النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم
وأضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بني المصطلق (وفيها) وهي
سنة أربع كان مولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة
رضي الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفي سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من
حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بني قريظة وكان من أمرهم ماقد شهر (وفيها) كان تزويجه
بزينب بنت جحش (وفيها) كان يقول أهل الافك على عائشة رضي الله تعالى عنها (وفي سنة
ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة
بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان
ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيها أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بها
(وفي سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى صفية بنت حيي بن أخطب لنفسه (وفيها) تزوج

ميمونة بنت الحرث الهلالية خالة عبد الله بن عباس فى سفره حين اعتمر فى عمرة القضاء على ماذكرنا من التنازع فى نكاحه لها أفى حال حله نكحها أم فى حال احرامه وما قال الفقهاء فى ذلك وتنازع الناس فى نكاح المحرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن أبى بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه (وفيها) كان قدوم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر (وفى سنة ثمان) استشهد جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشأم وأعمال دمشق فى وقعتهم مع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من التاريخ (وفى سنة ثمان) كان افتتاح النبى صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس فى فتحها أصلحا كان أم غيره (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العزائم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل لكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء (وفيها) غزا غزوة حنين وكان على هوازن مالك بن عوف النصرى ومعه دريد بن الصمة (وفيها) كانت غزوة الطائف (وفيها) كان اعطاؤه للمؤلفة قلوبهم وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفى سنة تسع) حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس وقرأ على بن أبى طالب عليهم سورة براءة وأمر أن لا يحج مشرك وأنه لا يطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام بعلى الى اليمن وأحرم كاحرام النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس فى ذلك وفى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس فى مقدار عمرها ومدة بقائها بعد أبيها ومن الذى صلى عليها العباس بن عبد المطلب أم بعلها على ولما قبضت جزع عليها جزعا شديدا واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال فى ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد * دليل على أن لا يدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولده صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابنى أبى لهب فطلقاهما لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب وكانت تحت أبى العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم فى كيفية رده عليه السلام زينب على أبى العاص وولدت من أبى العاص أمامة وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد فى الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد أتينا فى كتابنا

أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه ومن مبعثه الى هجرته ومن هجرته الى وفاته ومن وفاته الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازي والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الانام)

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقرنه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قوما وهم الغاية في الفصاحة والنهاية في البلاغة وأولو العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار في المكارم وفي الحب والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجز به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به دياناتهم وأبطل سنتهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا مع كونه عربيا مبينا (وقد تنازع الناس) في نظم القرآن واعجازه وليس الغرض من هذا وصف أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقي عن الماضي من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التي أظهر الله على يديه ليؤدي رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لي الكلام مخبرا عما أوتيه من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير البعيد المعاني الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبي بكر اليهم وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام في النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدؤها خدعة كما قال عليه السلام وهذا يعرفه كل ذي رأي صحيح وذي رياسة وسياسة (ثم قال) العائد في هبته كالعائد في قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان التي لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذي لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله احثوا في وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثي في وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهي عموما للصادق والكاذب وأن يحثى في وجه الجميع التراب وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم

فقدم

فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع مايذكر في هذا مستفيض في السير والاخبار متقارب
عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس ويستعمل العوام كثيرا منه
في ألفاظها ويوردونه في أمثالها وخطاباتها والاكثر منهم لايعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاله وقال عليه الصلاة والسلام مطل الغني ظلم ومن اتبع على ملي فليتبع وقوله الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله يا خيل
الله اركبي وبشري بالجنة الآن حمي الوطيس لاينتطح فيها عنزان لايلدغ المؤمن من جحر
مرتين لايجني على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتي في بكورها
ساقي القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لوبغى جبل على جبل لدك الباغي منهما ابدأ بمن
تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولاتزال أمتي بخير مالم تر
الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة
المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم المرء كثير بأخيه اليد العليا خير
من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس
الاعمال بالنيات أي داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها الخير
السعيد من وعظ بغيره عدة المؤمن كالأخذ باليد ان من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا
عفو الملوك بقاء للملك ارحم من في الارض يرحمك من في السماء المكر والخديعة في النار
المرء مع من أحب وله ما اكتسب ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار
مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لايحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على
الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر كل معروف صدقة لايشكر الله من
لايشكر الناس لايؤوي الضالة الا ضال حبك الشيء يعمي ويصم السفر قطعة من العذاب
(وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم
الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا الرجل أحق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية المصافحة جبلت القلوب على
حب من أحسن اليها امنن من اعتبك ما نقص مال من صدقة التائب من الذنب كمن
لاذنب له الشاهد يرى مالايرى الغائب خذ حقك في عفاف واف أو غير واف أعطوا الاجير
أجرته قبل أن يجف عرقه أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف يوم القيامة الجنة تحت
ظلال السيوف ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه اتقوا النار ولو بشق تمرة اعروا النساء
يلزمن الحجال الكلمة الطيبة صدقة لاخير لك في صحبة من لايرى لك مايرى لنفسه الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر ما أملق تاجر صدق الدعاء سلاح المؤمن خير الامور أوسطها اذا أتاكم
الزائر فأكرموه اشفعوا تحمدوا وتؤجروا الايمان الصبر والسماحة أفضلكم أفضلكم معرفة
ماهلك امرؤ عن مشورة ماعال امرؤ اقتصد ماهلك امرؤ عرف قدره شر العمى عمى القلب
الكذب مجانب للايمان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى من أتى فقد كفى قلة الحياء كفر
المؤمنون هينون لينون شر الندامة يوم القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات
الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر

كيف تعملون. انتظار الفرج عبادة. وكادت الفاقة أن تكون كفرا لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة. في كل عام ترذلون. زر غبا تزدد حبا. الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس أو قال جميع الناس (وقوله) لا يلقى الله أحد الا نادما من عمل خيرا قال يا ليتني ازددت ومن عمل غير ذلك قال يا ليتني قصرت وهذا مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سبب الهلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معاني كثيرة منها أن يكون اخبارا أن من غش المسلمين على حسب الحال في الوقت أن بعض أهل الكتاب أو المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل أن يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش وقد قيل غير ذلك والله أعلم مثل ما روى عنه أبو مسعود البدري قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة أحد الامات فاستفاضت هذه الرواية عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لجزع الاكثر فأفضى ذلك الى علي رضي الله عنه فقال صدق أبو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض أحد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على أموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودي) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر أبو اسحق الزجاجي النحوي صاحب أبي العباس المبرد وأبو عبد الله نفطويه وجعفر بن محمد بن حمدان الموصلي وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم أوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد أتينا على جميع ما يحتاج اليه في هذه المعاني فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فأغنى ذلك عن اعادتها والله تعالى ولي التوفيق

(باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

قال المسعودي ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في سقيفة بني ساعدة بن كعب ابن الخزرج الانصاري في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا العمر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرنا وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ايامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده في هذا الكتاب بعد ذكرنا الايام بني امية وبني العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ الثاني من الهجرة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة أبي اسحق المتقي بالله أو بعد ذلك من الاوقات الى حيث ينتهي بنا التصنيف وما ذكره أصحاب الزيجات في النجوم وما أرخوه في مقادير السنين والشهور والايام وبين تاريخ أصحاب السير والاخباريين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا في ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

(ذكر

(ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره)

كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله بن عثمان وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب وفي مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عتيق الله من النار فسمي يومئذ عتيقا وقيل انما سمي عتيقا لعتق أمهاته واستخلف وأبوه في الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا في أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه في خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشي المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلي فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤي يوما في سوق من أسواق المدينة على كتفه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فأردتم أن أكون ملكا جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لاها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) أبا بكر رضي الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمر فأحضره وأقبل يصيح عليه وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر فقال لقائده على من يصيح ابني فقال له على أبي سفيان فدنا من أبي بكر وقال له أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له يا أبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وأبوه باق غير أبي بكر (وأم أبي بكر) سلمى وتكنى أم الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن أسعد بن تيم بن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة أيام (وكان له) من الولد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد فأما عبد الله فانه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه جراحة وبقي الى خلافة أبي بكر ومات في خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبد الله وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبد الرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفيسان والمسح ومحمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها عقب جعفر بن أبي طالب وخلف عليها حين استشهد عبد الله وعونا ومحمدا بني جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين بن علي ولا عقب لهما وعقب عبد الله بن جعفر علي واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها علي بن أبي طالب فأولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب (١) وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي

(١) قال الزرقاني على المواهب وانجبت له الستة النجباء وهم الفضل وعبد الله وعبيد الله ومعبد وقثم وعبد الرحمن اه

ابن أبي طالب فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قريش لنسكه
وزهده وربيب علي بن أبي طالب وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في أيام معاوية
ابن أبي سفيان (ومات أبو قحافة) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو ابن تسع
وتسعين سنة وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة التي استخلف فيها عمر بن
الخطاب رضي عنه وقد قيل انه مات في سنة اربع عشرة (ولما بويع) أبو بكر في يوم السقيفة
وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج علي فقال أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر
ولم ترع لنا حقا فقال أبو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم
السقيفة خطب طويل ومجاذبة في الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشام
فقتل هناك في سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه أحد من بني
هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا أهل المسجدين ومن
بينهما وأناسا من العرب قدم عدي بن حاتم بأهل الصدقة الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه
ففي ذلك يقول الحرث بن مالك الطائي

وفينا وفاء لم ير الناس مثله * وسربلنا مجدا عدي بن حاتم

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سمه اليهود في شيء من الطعام وأكل معه الحرث بن كلدة فعمي
وكان السم لسنة ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوما ولما احتضر قال ما آسى الا
على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها وثلاث تركتها وددت أني فعلتها وثلاث وددت أني سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها فوددت أني لم أكن
فتشت بيت فاطمة وذكر في ذلك كلاما كثيرا ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا
أو قتلته صريحا ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قد رميت الامر في عنق أحد الرجلين
فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها وددت أني يوم أتيت
بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل لي أنه لا يرى شرا الا أعانه ووددت أني كنت
قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله ووددت أني
يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكاني فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت
صدر اللقاء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف
بذي القصة والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ووددت أني
سألته عن ميراث العمة وبنت الاخ فان بنفسي منهما حاجة ووددت أني سألته هل للانصار
في هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات أسماء ذات النطاقين وهي أم عبد الله بن الزبير
وعمرت مائتي سنة حتى عميت وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع في بيعة
علي) بن أبي طالب اياه فمنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام وذلك بعد وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة أشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما انفذ
أبو بكر الامر الى الشام كان فيما أوصى به يزيد بن أبي سفيان وهو مشيع له فقال له اذا
قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فأنجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان
بعضه ينسي بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم

فانه أول خبرك اليهم وأقلل جلسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك
من محادثتهم وكن أنت الذي تلي كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك
واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا
بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها واستوف عسكرك وأذل حرسك وأكثر مفاجأتهم
في ليلك ونهارك وأصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن فيجبن من سواك (وقد أعرضنا) عن ذكر كثير
من الاخبار في هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر العنسي الكذاب المعروف
بلاهعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الابناء
في أمرهم وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى
أم صادرة وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

أضل الله سعي بني تميم * كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها
النبوة متكهنة تزعم أن سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثي وعمرو بن يحيى وغيرهم من
الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن
الوليد وقتل وحشي له مع رجل من الانصار وذلك في سنة احدى عشرة وما كان من أمره مع
الانصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين وقول المنذر بن الحباب أنا جذيلها المحكك
وعذيقها المرجب أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشير بن
سعد وتعلي الأوس عن معاضدة سعد خوفا أن يغور بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة
ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاختيار
في الامامة وما قالوه في امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت
الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

قد كان عندك أنباء وهينمة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار في هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع
ذلك في كتابينا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

(ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فأقام الحج
في تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء
لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع
ليال وقتل في صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة أبو بكر الى جنب النبي صلى
الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبي بكر وحج في خلافته تسع حجج وبعد أن قتل صلى بالناس

عبد الرحمن بن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وصلى عليه صهيب الرومي وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

(وذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وانما سمي الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمي بأمير المؤمنين سماه عدي بن حاتم وقيل غيره والله اعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعري فلما قرئ ذلك على عمر قال اني لعبد الله واني لأمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن الملبس شديدا في ذات الله واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه كل يتشبه به من غاب أو حضر وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالادم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعيد بن عامر بن حذيم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تفل فراستي فيهم ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا فقال عمر علي به فلما جمع بينهم وبينه فقال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعيد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم في الشهر لا يخرج الينا قال نعم ليس لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسي فقال عمر الحمد لله الذي لم يفل فراستي فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم خيرا قال ثم بعث اليه عمر بألف دينار وقال استعن بها فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما كنا اليه قالت بلى فصر منها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه الى امرأته وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشتري لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسي وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببرذعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا اداوة وركوة ومطهرة (وكان عامله على الشام) أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي فعذل على ذلك وقيل له

انك بالشأم وأميرالمؤمنين وخولنا الاعداء فغيرمن لديك وأصلح من بشارتك فقال لما كنت
بالذى أنزلتما كنت عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدى) فى كتابه
فى فتوح الامصار أن عمر قام فى المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه
وقال انكم قد أصبحتم فى غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبى صلى الله عليه وسلم
فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى أرض فارس فقام أبو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول
من انتدب من الناس فلما انتدب أبو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمّر على الناس رجلا من
المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمّر عليهم الا أول من انتدب فأمّر أبا عبيدة وفى حديث آخر
أنه قيل له أتؤمّر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان أول من انتدب
فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حويس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما
من أهل بدر وخرج فلقى جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة
حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر
فقال له سلمة بن أسلم أيها الرجل انه ليس لك علم بما نرى وانت تخالفنا وسوف تهلك من معك
من المسلمين بسوء سياستك تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى
والبرارى فلا تريد الا أن تهلكهم فى هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد حجم ما ترى
وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا
من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله يا سليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ
منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأى فلما قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال
نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيئا لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات
بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره
ولا يخالفه وكان رأى سليط أن لا يعبر حتى يعبروا اليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط
فى بعض قوله لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكنى أسمع وأطيع وان كنت
قد أخطأت وأشركنى عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال افعل فتقدم فقتلا
جميعا وقد كان أبو عبيدة فى هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل
ورمحه فى يده فطعنه فى عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس
فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيدة ونادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة يحمى
الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا
وقتلا وكان على جيش فارس فى هذا اليوم جادويه ومعه راية فارس التى كانت لافريدون حتى
ثار الناس من الوهاذ وهى المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا
وفى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها فى الامر
الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية فى أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما
قتل أبو عبيدة الثقفى بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر بالناس وحثهم على الجهاد
وأمرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته
طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف ودعا الناس

فاستشارهم فأشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلي ما ترى يا أبا الحسن أسير أم أبعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس في جلة مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه عبد الرحمن بن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن فديت بأبي وأمي أقم وابعث فانه ان انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك وانك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدون أن لا اله الا الله أبدا قال أشر علي من أبعث قال قلت سعد بن أبي وقاص قال عمر أعلم أن سعدا رجل شجاع ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه عهدا وشاورنا فيما أردت أن تحدث اليه فانه لن يخالف أمرك ثم خرج فدخل عثمان عليه فقال له يا أبا عبد الله أشر علي أسير أم أقيم فقال عثمان أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيوش فانه لا آمن ان أتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض وابعث رجلا له تجربة بالحرب ومضربها قال عمر ومن هو قال علي بن أبي طالب قال فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا اليه أو لا فخرج عثمان فلقي عليا فذاكره ذلك فأبى علي ذلك وكرهه فعاد عثمان فأخبره فقال له عمر ومن ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال ليس بصاحب ذلك قال عثمان وطلحة بن عبيد الله قال له عمر أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذلك ولكنه رجل غائب في عمل قال عمر أرى أن أوجهه وأكتب اليه أن يسير من وجهه ذلك قال عثمان ومره فليشاور قوما من أهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلي قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربعا فأظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بناحية الأيلة ثم صاعد الى ناحية المدائن وقد دم جرير الى مرزبان المدائن وكان في عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيدة وسليط فقال بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأي وقد مضى لكم في ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن امهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فأقامت الفرس أياما بالمدائن ثم أخذوا في العبور فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن سرع معه من بجيلة فثبتوا ساعة فقتل المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم في دجلة وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالحلة فأقبل اليهما مهران في جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان ابن المنذر بن ضرار الضبي ضربه البجلي وطعنه الضبي وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في أيهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ولحسان في ذلك أبيات

ألم ترني خالست مهران نفسه * بأسمر فيه كالخلال طرير

فخر

فخر صريعا والتقانى برجله * وبادر فى رأس الهمام جرير
فقال قتلى والحوادث جمة * وكاد جرير للسرور يطير
فقال أباعمرو وقتلى قتلته * ومثلى قليل والرجال كثير
فأرسل عينا ان رمحك ناله * وأكرم أن تخلف وأنت أمير

(وقد تنازع) أهل الاخبار والسير فى جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم من رأى أن جريرا على قومه والمثنى على قومه ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك وسار شيراز فى جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهى من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة فى بدنه فى يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبى وقاص فنزل زبالة على حسب ما أمره به عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشأم وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلى القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين ألفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون فى ستين ألفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرز وا أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن عبد الله الاسدى فى ذلك اليوم وهو يقول

قد علمت واردة المسالح * ذات البيان واللسان الواضح
انى سنام البطل المسالح * وفادح الامر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فأسره غالب أسرا فأتى سعدا وكر راجعا الى المطاردة وحمى الوطيس وخرج عاصم بن عمر وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب * مثل اللجين يتغشاه الذهب
أنى امرؤ لا من يصيبه السبب * مثلى على مثلك يغديه الكتب

فبرز اليه عظيم من أساورتهم فجالا ثم ان الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج فى مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكبة بالتحسينة فأتى به سعد بن مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفى الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فكلوه (وكانت وقعة القادسية) فى المحرم سنة أربع عشرة ومال بسبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة تجافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بجيلة وحول الفيلة الرجال والخيول فبعث الى بنى أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة فأمرهم بمعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طلحة بن خويلد الاسدى مع فرسان بنى أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها واشتد الجلاد على

بنى أسد فى هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس فى اليوم الثانى أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن ابى وقاص فى خمسة آلاف فارس من بنى ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضى الله عنه كتب الى ابى عبيدة بن الجراح بصرف اصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر فى كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا وقد كان فى نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبى بكر فى قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم القعقاع فى أوائل المدد فأيقن أهل القادسية بالنصر على فارس وزال عنهم ما لحقهم بالامس من القتل والجراح وبرز القعقاع حين وروده امام الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت قال أنا بهمن جادويه وهو المعروف بذى الحاجب فنادى القعقاع بالثارات أبى عبيد وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب مبارزا لهم على ما ذكرنا من قتله اياهم فجالا فقتله القعقاع ويقال ان القعقاع حمل فى ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له برزجمهر ففيه يقول القعقاع

جبوبة جياشة بالنفس * هدارة مثل شعاع الشمس
فى أغواث من قبيل الفرس * أنخس بالقوم أشد نخس
* حتى يفيض معرى ونفسى *

وبارز فى ذلك اليوم الاعور بن قطنة شهربار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخوه الاعور فى ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر * من يوم اغواث دواوين الثغر
* من غير ضحك كان أسوا وأشر *

واعتل سعد فتخلف فى حصن العذيب وجلس فى أعلاه يشرف على الناس وقد توافق الفريقان جميعا وأمسى الناس ينتمون فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده فى أعلى القصر ان تم الناس على الانتماء فلا توقظونى فانهم أقوياء على عدوهم وان سكتوا فأيقظونى فان ذلك شر واشتد القتال فى الليل وكان أبو محجن الثقفى محبوسا فى أسفل القصر فسمع انتماء الناس فى آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف فحبا حتى صعد الى سعد يستشفعه ويستقيله ويسأله أن يخلى عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيبانى وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك فى خير فقالت وما ذاك قال تخلين عنى وتعيرنى البلقاء ولله على ان سلمنى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلى فى القيد فقالت وما أنا وذلك فرجع يرسف فى قيده وهو يقول

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد فأغلقت * مصارع من دونى وصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة * فقد تركونى واحدا لا أخا ليا

فلله عهد لا أخيس بعهده * لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فقالت سلمى انى استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من تناكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بأبصارهم وقد تنوزع فى البلقاء انهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص فى المسلمين فخرج فى ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص فى قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس الا اختطفه وحمل على المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشام من أصحاب هاشم بن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب فهذا هو الخضر قدمن الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا وقال قائل منهم لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وأبو محجن برز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم بن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر ويقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورد البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر * بانا نحن أكرمهم سيوفا

وأكرمهم دروعا سابغات * وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا

وليلة قادس لم يشعروا بى * ولم أشعر بمهرجى الزحوفا

وانا وفدهم فى كل يوم * فان عتبوا فسل بهم عريفا

فان أحبس فذلكم بلائى * وان أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شئ حبسك هذا الرجل تعنى سعدا قال والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فأصف القهوة وتداخلنى أريحية فالتذ بمدحى اياها فلذلك حبسنى لانى قلت فيها

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى بالفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

وهى أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها الذكرها المثنى عند مختلف القنا فأقامت مغاضبة له عشية ارماث وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته بخبرها مع أبى محجن فدعا به فأطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله

حتى تنعله قال لا جرم والله لا أجبت لسانى الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة العوراء والفرات فى عرض ما بين الصفين وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة ما بين رثيث وميت وقتل من الاعاجم ما لا يحصى فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن فى كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلى القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال لحامله قد قربت من السواد فأريحونى تحت ظل هذه النخلة فيريح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمى يا نخلة بين فارس * وبين العذيب لا يجاورك النخل

وسمع آخر من بنى تيم الله وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيا نخلة الجرعى ويا نخلة العدا * سقتك الغوادى والغيوث الهواطل

وأثخن الاعور بن قطبة فحمل من المعركة فسأل حماله أن يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال

أيا نخلة بين العذيب فقلعة * سقتك الغوادى الداجنات من النخل

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية وهى صبيحة ليلة الهرير وهى تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت فى نهر العقيق والريح دبور فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهى واقفة فاستظل فى ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذى رستم فى ظله فقطع حباله ووقع على رستم احد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارة ومضى رستم الى نحو نهر العقيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الى الى فطاف به الناس لا يحسون السرير ولا يرونه وتنادوا وتجبنت قلوب المشركين عندها وانهزموا وأخذهم السيف فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون ألفا منهم قرنوا أنفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا فجثوا على الركب وقرع بين أيديهم قناديل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى أن قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ما قدمنا ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بنى أسد ولذلك يقول شاعرهم فى ذلك اليوم وهو عمرو بن شاس الاسدى من أبيات

جلبنا الخيل فى أكناف هف * الى كسرى يوافقها رعالا

تركن بهم على الأصنام سحرا * وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا * تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنا منهم حيث التقينا * قياما لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفش كابيان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفي ألف ومائتي ألف وقتل في ذلك اليوم حول هذه الراية غير ما ذكرنا من المقربين وغيرهم عشرة آلاف (وقد تنازع الناس) ممن سلف وخلف في عام القادسية والعذيب فذهب كثير من الناس الى أن ذلك كان في سنة خمس عشرة ومنهم من رأى أنه كان في سنة أربع عشرة والذي قطع عليه محمد بن اسحق أنها كانت في خمس عشرة وقال في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس أنها مصرت في ربيع سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء وتكريت وأن عتبة قدم البصرة وهي يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الخريبة ومصر سعد بن أبي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها ابن بقيلة الغساني وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودي) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة ابن شعبة ان عندي غلاما نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لأهل المدينة فان رأيت أن تأذن لي في الارسال به فعلت فأذن له وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى أبا لؤلؤة وكان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ما شاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر وما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو مدبر قال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم أحدث عنك أنك تقول لو شئت أن أصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى أبو لؤلؤة فقال عمر أما العلج فقد توعدني آنفا فلما أزمع بالذي أوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله أو غنمه لا راعي بها للمته وقلت له كيف تركت أمانتك ضائعة فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد فاستخلف عليهم فقال ان أستخلف عليهم فقد استخلف أبو بكر وان أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة بأربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من أم وعبد الرحمن وفاطمة

وبنات أخر وعبد الرحمن الاصغر وهو المجدود فى الشراب وهو المعروف بأبى شحمة من أم
(وذكر عبد الله بن عباس) أن عمر أرسل اليه فقال يا ابن عباس ان عامل حمص هلك وكان
من أهل الخير وأهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفى نفسى منك شئ لم أره منك
وأعيانى ذلك فما رأيك فى العمل قال لن أعمل حتى تخبرنى بالذى فى نفسك قال وما تريد الى ذلك
قال أريده فان كان شئ أخاف منه على نفسى خشيت منه عليها الذى خشيت وان كنت
بريأ من مثله علمت أنى لست من أهله فقبلت عملك هنالك فانى قلما رأيت أو ظننت شيأ الا عاينته
فقال يا ابن عباس انى خشيت أن يأتى على الذى هو آت وأنت فى عملك فتقول هلم الينا ولا هلم
اليكم دون غيركم انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم
قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل
ذلك أنتم أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد فرغت لك
قال فما رأيك قال قلت أرانى لا أعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفى نفسك ما فيها لم أبرح
قذى فى عينك قال فأشر على قلت انى أرى أن تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة
ابن عبد الله المزنى عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس واصبهان
واذربيجان فقال له أصبهان الرأس وفارس وأذربيجان الجناحان فان قطعت احد
الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد
فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أرانى الا مستعملك قال
أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه
الزبير بن العوام وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والاشعث بن قيس فأرسل النعمان
المغيرة بن شعبة الى ملكهم وهو يقال له ذو الجناحين فقطع اليهم نهرهم فقيل لذى الجناحين ان
رسول العرب ههنا فشاور أصحابه فقال ما ترون فقالوا اقعد له فى بهجة الملك فقعد على سريره
ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط وأسورة الذهب والديباج
وأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بسطهم
يخرقها ليتطيروا فيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال
انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرناكم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف
ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبى
صلى الله عليه وسلم بعثه وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك
ما ههنا ونغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلفى بتاركيها يصيبوها أو يموتوا فقالت لى
نفسى لو جمعت جراميزى ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا
أنا معه على سريره فجعلوا يلكزونى بأرجلهم ويجذبونى بأيديهم فقلت لهم انا لا نفعل برسلكم
هكذا وان كنت فجرت واستخففت فلا تؤاخذونى فان الرسل لا يصنع بها هكذا فقال الملك
ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فتسلسلوا كل
خمسة وستة حتى لا تفروا فدنونا اليهم فصاففناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة

للنعمان

للنعمان انه قد أسرع فى الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس
وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال انى هاز لوائى ثلاث مرات فأما أول هزة فليقض الرجل
حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة
فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان وانى داع الى الله بدعوة وأقسمت على كل
امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح عليهم فأمن القوم
فهز ثلاثا ثم أدنى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فأتيت عليه فذكرت
عزمة لا أقف عليه واعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذو الجناحين عن بغلة له
شهباء فانشق بطنه وفتح الله على المسلمين فأتيت الى مكان النعمان فصادفته وبه رمق فأتيته
باداوة فغسلت وجهه فقال من هذا قلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قلت فتح الله
عليهم قال الحمد لله كثيرا اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث بن
قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب
فأخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا
عظيما (قال المسعودى) رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل
هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان بن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى
هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف
هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب
من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم سأله عن السلاح
فأخبره بما علم ثم سأله عن قومه فقال له أخبرنى عن قومك مذحج ودع طيا قال سلنى عن أيهم شئت
قال أخبرنى عن ملة بن خالد قال هم فرسان اعراضنا وشفاة أمراضنا وهم أعتقنا وأنجبنا
وأسرعنا طلبا وأقلنا هربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمر فما أبقيت لسعد العشيرة
قال هم أعظمنا خميسا وأمضانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا
دارا وخيرنا جارا وأبعدنا آثارا وهم الاتقياء البررة والساعون الفجرة قال فأخبرنى عن بنى
زبيد قال انا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال
فأخبرنى عن طيئ قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول فى عبس قال جمع عظيم وزبن
أثير قال أخبرنى عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فأخبرنى عن كندة قال ساسوا
العباد وتمكنوا من البلاد قال فأخبرنى عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون
الجار ويوفون الذمار قال فأخبرنى عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا بلادا قال
فأخبرنى عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال
فأخبرنى عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فأخبرنى عن جذام قال أولئك كالعجوز
العيراء وهم أهل مقال وفعال قال فأخبرنى عن غسان قال أرباب فى الجاهلية نجوم فى الاسلام
قال فأخبرنى عن الاوس والخزرج قال هم الانصار وهم أعزنا دارا وأمنعنا ذمارا
وقد كفانا الله مدحهم اذ يقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فأخبرنى عن

خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فأى العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومى فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبالحرث من مذحج وأما من معد فعدى من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر بن وائل ثم لو جلت بفرسى على مياه معد ما خفت هيج أحد مالم يلقنى حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة بن الحرث بن شهاب التميمى وأما عبداها فعنترة وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هى والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد

الحرب أول ماتكون فتية * تسدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فأخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل أمك قارعتك والله انى لأهم أن أقطع لسانك فقال الحمى أصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

أتوعدنى كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذى نواس
فكم قد كان قبلك من مليك * عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح أهله بادوا وأمسى * ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك ملك كل ملك * يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال ما فعلت ما فعلته الا لتعلم أن الاسلام أفضل وأعز من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها فى الجاهلية فقال له عمر يا عمرو هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحله فى الاسلام لأحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك خرجت فى جريدة خيل لبنى زبيد أريد الغارة فأتينا قوما سراة فقال عمر كيف عرفت أنهم سراة قال رأيت مزاود وقدورا مكفأة وقباب أدم حمر ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فأهويت الى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبى وكان متبددا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرس لها فلما نظرت الى والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكى على نفسى ولكنى أبكى حسد البنات عمى يسلمن وابتلى أنا من بينهن فظننت والله أنها صادقة فقلت وأين هن قالت فى هذا الوادى فقلت لأصحابى لا تحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم همزت فرسى حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهذب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الى رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية فلما نظر الى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوى وهو يقول

أقول لما منصتنى فاها * وألستنى بكرة راها
انى سأحوى اليوم من حواها * فليت شعرى اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول

عمرو على طول الردى دهاها * بالخيل تتبعها على هواها
* حتى اذا حل بها احواها *

فاذا هو أزوغ من هر فزاغ عني ثم حمل علي فضربني بسيفه ضربة جرحني فلما أفقت من ضربي حملت عليه فزاغ والله ثم حمل علي ثم صرعني ثم استاق ما في أيدينا ثم استويت على فرسي فلما رآني أقبل وهو يقول

أنا عبد الله محمود الشيم * وخير من يمشي بساق وقدم
* عدوه يفديه من كل السقم *

فحملت عليه وأنا أقول

انا ابن ذي التقليد في الشهر الاصم * انا ابن ذي الاكليل قتال البهم
من يلقني يودي كما أودى ارم * أتركه لحما على ظهر وضم

فزاغ والله عني ثم حمل علي فضربني ضربة أخرى ثم صرخ صرخة ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء وخفته خوفا لم أخف قط احدا مثله وقلت له من انت ثكلتك امك فوالله ما اجترأ علي أحد قط الا عامر بن الطفيل لاعجابه بنفسه وعمرو بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت قال بل من أنت خبرني والا قتلتك قلت انا عمرو بن معديكرب قال وانا ربيعة بن مكدم قلت اختر مني أحد ثلاث خصال ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منا وان شئت اصطرعنا وان شئت السلم وانت يا ابن اخي حدث قد جرحتني جراحتين ولا يزال الابي فوالله ما كف عني حتى نزلت عن فرسي فأخذ بعنانه ثم اخذ بيدي في يده وانصرفنا الى الحي وانا أجر رجلي حتى طلعت علينا الخيل فلما رأوني عمروا اخيولهم الي فناديتهم اليكم وأرادوا ربيعة فنفني والله كأنه ليث حتى شتتهم ثم اقبل علي فقال يا عمرو ولعل اصحابك يريدون غير الذي تريد فصمت والله القوم ما فيهم احد ينطق واعظموا امارأوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا وانما سمته ليعرفه القوم فقال لهم ما تريدون فقالوا وما نريد قد جرحت فارس العرب وأخذت سيفه وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهي ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت وضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا الا قليلا فنحك وما ينطق أحد من أصحابي فأقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معديكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه فأخذ غنائمهم وأخذ امرأة ربيعة بن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب في الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو اما ان تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف من الغارة من رماها فقف لي يا ابن اخي فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق * لست بمأمون ولا في حرق
وأسد القوم اذا احمر الحدق * اذا الرجال عضهم ناب الفرق
* وجدتني بالسيف هتاك الحلق *

حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو لبب لفرسه ومر السنان على ظهر الفرس ثم وقف له عمرو
فحمل عليه ربيعة وهو يقول

أنا الغلام ابن الكنانى لا أبذخ * كم من هزبر قد رآنى فانشدخ

فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك يا عمرو ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لا ينصرف الا أحدنا فقف لى فحمل عليه حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه أيضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امرأته السنان لله درك فأخرج سنانا من مسيح ازاره كأنه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو خذ الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد أتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يا بنى زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب أن قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معد يكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط فانصرفوا عنه وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودى) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخبار كثيرة فى أسفاره فى الجاهلية الى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسير فى الاسلام وأخبار وسياسات حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

* (ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه) *

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية أيام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة الا ثمانية أيام

* (ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره) *

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بأبى عبد الله وأمه أروى بنت بكر بن جابر بن حبيب بن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأم أبان وأم سعيد وأم عمرو وعائشة وكان عبد الله الاكبر يلقب بالطرف لجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان أبان أبرص أحول قد حمل عنه أصحاب الحديث عدة من السنن وولى لبنى مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل أبوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) فى نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل فى القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا فى فعله وبنى داره فى المدينة وشيدها بالحجر والكلس

وجعل

وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله
ابن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف
درهم وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف خيلا كثيرا
وابلا (وفى أيام عثمان) اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره
بالبصرة وهى المعروفة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة تنزلها التجار وأرباب
الاموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والاسكندرية
وما ذكرمن دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين
ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار
وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمى ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة
بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك
وبناحية سراة أكثر مما ذكرنا وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك
عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة
آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفا (وابتنى سعد) بن أبى وقاص
داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد بن المسيب أن
زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال
والضياع بقيمة مائة ألف دينار (وابتنى المقداد) داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف
على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (ومات
يعلى) بن أمية وخلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة
ما قيمته مائة ألف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى أيامه ولم يكن
مثل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فأنفق فى ذهابه
ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد أسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا ولقد
شكا الناس أميرهم سعد بن أبى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة
الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فخرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة
يسألهم عنه فحمده بعضهم وساء بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن
حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم
فى الدين وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر والشطر الآخر بين
عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فأين عمر ممن ذكرنا وأين هو ممن وصفنا (وقدم) على
عثمان عمه الحكم بن أبى العاص وعمه مروان وغيرهما من بنى أمية ومروان هو طريد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذى غربه عن المدينة ونفاه عن جواره وكان عماله جماعة منهم الوليد بن
عقبة بن أبى معيط على الكوفة وهو ممن أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار وعبد
الله بن أبى سرح على مصر ومعاوية بن أبى سفيان على الشأم وعبد الله بن عامر على البصرة
وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد
وولاية سعيد على ما روى أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل الى

الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم أربعا وقال تريدون أن أزيدكم وقيل انه قال فى سجوده وقد أطال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ما تريد لا زادك الله مزيد الخير والله لا أعجب الا ممن بعثك الينا واليا وعلينا أميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح ويتمثل بابيات لتأبط شرا

ولست بعيدا عن مدام وقينة * ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكننى أروى من الخمر هامتى * وأمشى الملا بالساحب المتسلسل

(وفى ذلك يقول الحطيئة)

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم ثملا وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا * لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك فى الصلاة ولو * خلوا عنانك لم تزل تجرى

وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الازدى وأبو جندب بن زهير الازدى وغيرهما فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لا يعقل فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر فقال عثمان وما يدريكما أنه شرب خمرا فقالا هى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية وأخرجا خاتمه فدفعاه اليه فرزأهما ودفع فى صدورهما وقال تنحيا عنى فخرجا وأتيا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخبراه بالقصة فأتى عثمان وهو يقول دفعت الشهود وأبطلت الحدود فقال له عثمان فما ترى قال أرى أن تبعث الى صاحبك فان أقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجة فألقى عثمان السوط الى على فقال على لابنه الحسن قم يا بنى فأقم عليه ما أوجب الله عليه فقال يكفيه بعض ما ترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه أخذ على السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد وقال يا صاحب مكس فقال عقيل بن أبى طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبى معيط كأنك لا تدرى من أنت وأنت علج من أهل صفورية وهى قرية بين عكا واللجون من أعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أن أباه كان يهوديا منها فأقبل الوليد يروغ من على فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط فقال عثمان ليس لك أن تفعل به هذا قال بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه (وولى الكوفة) بعده سعيد بن العاص فلما دخل سعيد الكوفة والى أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل وأمر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة واستبد بالاموال وقال فى بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد قطين لقريش فقال له الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعى أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج الى عثمان فى سبعين راكبا من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص

وسألوا عزله عنهم فمكث الاشتر وأصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء وامتدت
أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان أمراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من
مصر ومعاوية من الشأم وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة فأقاموا
بالمدينة أياما لا يردهم الى أمصارهم كراهة أن يرد سعيدا الى الكوفة وكره أن يعزله حتى كتب اليه
من بأمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ما ترون فقال معاوية
أما أنا فراض بي جندي وقال عبد الله بن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلي
وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن
العاص انك ان فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا في
المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم في البعوث حتى يكون هم أحدهم
أن يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير
جالسان في ناحية منه فقالا له تعال الينا فصار اليهما فقالا ما وراءك قال الشر ما ترك شيأ من المنكر
الا أتى به وأمر به وجاء الاشتر فقالا له ان عاملكم الذي قمتم فيه خطباء قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم
في البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا به خطباء فكيف وقد
قمنا وايم الله على ذلك لولا أني أنفدت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى أمنعه
دخولها فقالا له فعندنا حاجتك التي تقوتك في سفرك قال فأسلفاني اذن مائة ألف درهم قال
فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين أصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيدا
وصعد المنبر وسيفه في عنقه ما وضعه بعد ثم قال أما بعد فان عاملكم الذي أنكرتم تعديه وسوء
سيرته قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم في البعوث فبايعوني على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من
أهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكة فلقي سعيد بواقصة فأخبره بالخبر
فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله ما منعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك ول
من أحببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو أبو
موسى الاشعري فولوه (وفي سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضي الله عنه وظهر عليه
النكير لاشياء ذكروها من فعله (منها) ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحراف هذيل عن
عثمان من أجله (ومن ذلك) ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب وانحراف بني مخزوم عن
عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة وذلك أنه بلغه عن رجل من
اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة يعمل أنواعا من
الشعبذة والسحر يعرف بطروني فأحضره فأراه في المسجد ضربا من التخاييل وهو أن أظهر له
في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ثم أراه صورة
حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ثم أمر السيف
عليه فقام الرجل وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدي فجعل
يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم أن ذلك هو ضرب من التخييل
والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وأن جندبا خرج الى السوق

أودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودى وقال ان كنت صادقا
فأحى نفسك فأنكر عليه الوليد ذلك وأراد أن يقيده به فمنعه الازد فحبسه وأراد قتله غيلة
ونظر السجان الى قيامه ليله الى الصبح فقال له انج بنفسك فقال له جندب تقتل بى قال ليس
ذلك بكثير فى مرضاة الله والدفع عن ولى من أولياء الله فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد
لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس (ومن
ذلك) مافعل بابى ذر وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق
لغيره فقال كعب لا يا أمير المؤمنين فدفع أبو ذر فى صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودى ثم
تلا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان أترون بأسا أن نأخذ
مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه فقال كعب لا بأس بذلك
فرفع أبو ذر العصا فدفع بها فى صدر كعب وقال يا ابن اليهودى ما أجرأك على القول فى ديننا
فقال له عثمان ما أكثر أذاك لى غيب وجهك عنى فقد آذيتنى فخرج أبو ذر الى الشأم فكتب
معاوية الى عثمان ان أبا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك فان كان لك فى القوم
حاجة فاحمله اليك فكتب اليه عثمان بحمله فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من
الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف فقيل له انك
تموت من ذلك فقال هيهات لن أموت حتى أنفى وذكر جوامع مانزل به بعد ومن يتولى دفنه
فأحسن اليه فى داره أياما ثم دخل اليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء وذكر الخبر فى ولد أبى
العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر فى الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير
وكان فى ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهرى من المال فنضت البدر
حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان انى لأرجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان
يتصدق ويقرى الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فشال أبو ذر
العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودى تقول لرجل
مات وترك هذا المال ان الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول مايسرنى أن أموت وأدع ما يزن قيراطا فقال له عثمان وار عنى
وجهك فقال أسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعنى من بيت ربى أعبده فيه حتى أموت قال اى
والله قال فالى الشأم قال لا والله قال البصرة قال لا والله فاختر غير هذه البلدان قال لا والله
ما أختار غير ماذكرت لك ولو تركتنى فى دار هجرتى ما أردت شيأ من البلدان فسيرنى حيث
شئت من البلاد قال فانى مسيرك الى الربذة قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أخبرنى بكل ما أنا لاق قال عثمان وما قال لك قال أخبرنى بأنى أمنع عن مكة والمدينة
وأموت بالربذة ويتولى مواراتى نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبو ذر الى جمل له
فحمل عليه امرأته وقيل ابنته وامر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن
المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه ابناه وعقيل اخوه
وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر فاعترض مروان فقال يا على ان أمير المؤمنين قد نهى الناس
ان يصحبوا أبا ذر فى مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك فحمل عليه على بن أبى

طاب بالسوط بين اذني راحلته وقال تنح نحاك الله الى النار ومضى مع ابي ذر فشيعه ثم ودعه
وانصرف فلما اراد علي الانصراف بكى أبوذر وقال رحمكم الله اهل البيت اذا رأيتك يا ابا الحسن
وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا مروان الى عثمان مافعل به علي بن ابي
طالب فقال عثمان يا معشر المسلمين من يعذرني من علي رد رسولي عما وجهته له وفعل كذا والله
لنعطينه حقه فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا ان امير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك
اباذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على
ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمري قال اما مروان فانه استقبلني يردني
فرددته عن ردي وأما امرك فلم ارده قال عثمان أولم يبلغك أني قد نهيت الناس عن ابي ذر
وعن تشييعه فقال علي اوكل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك
بالله لانفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده قال ضربت بين أذني راحلته قال علي
أما راحلتي فهي تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما انا فوالله لئن شتمني
لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا اقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته
فوالله ما انت عندي بأفضل منه فغضب علي بن أبي طالب وقال ألي تقول هذا القول وبمروان
تعدلني فأنا والله افضل منك وابي افضل من ابيك وامي افضل من امك وهذه نبلي قد نثلتها وهلم
فأقبل بنبلك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع اليه اهل بيته
ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا
وقال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك اباذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما
وقال له علي والله ما اردت تشييع اباذر الا الله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول
ابي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه
بنو أمية فقال أبو سفيان أفيكم احد من غيركم وقد كان عمي قالوا لا قال يا بني أمية تلقفوها
تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة
فانتهره عثمان وساءه ما قال ونمي هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام
فقام عمار في المسجد فقال يا معشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ههنا
مرة وههنا مرة فما أنا بآمن ان ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من اهله ووضعتموه في غير
اهله وقام المقداد فقال ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن
ابن عوف وما انت وذاك يا مقداد بن عمرو فقال اني والله لاحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن أعجب من قريش وأنت تطولهم على الناس أهل هذا
البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم اما وايم الله
يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالي اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان
في أخبار الشورى والدار (ولما كان) سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحرث النخعي
من الكوفة في مائتي رجل وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة ومن أهل
مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب

السير أنه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعي
وسودان بن أحمد التجيبي ومنهم محمد بن أبي بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس
على عثمان لأمر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا في الموضع المعروف
بحشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى علي بن ابي طالب فأحضره وسأله ان يخرج اليهم ويضمن
لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار علي اليهم فكان بينهم خطب طويل
ثم أجابوه الى ما أراد وانصرفوا فلما صاروا الى الموضع المعروف بحمس اذا هم بغلام على بعير
وهو مقبل من المدينة فتأملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فأقر وأظهر كتابا الى ابن أبي
سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا
وأحصى اكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى
المدينة واتفق رأيهم ورأي من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من
عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه في داره ومنعوه الماء فأشرف على الناس وقال ألا أحد
يسقينا وقال بم تستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ
مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس والله ما فعلت
ذلك في جاهلية أو اسلام فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه بثلاث قرب ماء فما وصل اليه ذلك حتى
خرج جماعة من موالي بني هاشم وبني أمية وارتفع الصوت وكثر [illegible] أحدقوا بداره
بالسلاح وطالبوه بمروان فأبى أن يخلي عنه وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنه
كان من أحلافها وهذيل لأنه كان منها وبنو مخزوم وأحلافها لعمار وغفار وأحلافها لأجل
أبي ذر وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر وغير هؤلاء ممن لا يحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا أنهم
يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه
منهم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم
اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمي من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح الحسن
وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشي القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم
في القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها وكان ممن وصل
اليه محمد بن ابي بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغل بالقتال
فأخذ محمد بن ابي بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج
عنه الى الدار ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته
فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية
فوجدوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه فبكوا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم
من المهاجرين والانصار فاسترجع القوم ودخل علي الدار وهو كالواله الحزين فقال لابنيه
كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة
ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان
ما قتل وهرب مروان وغيره من بني أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال علي لزوجته نائلة
بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبي بكر

فلم

فلم يذكر ما قالت وقال والله لقد دخلت عليه وانا أريد قتله فلما خاطبني بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عني والله ما كان لي في قتله سبب ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله وكان مدة ما حوصر عثمان في داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبي ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان بن حمران المرادي ضربه بالسيف على حبل عاتقه فقتله (وقد قيل) ان عمرو بن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابي البرجمي التميمي وخضخض بسيفه بطنه (ودفن) على ما وصفنا في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ويعرف أيضا بحل وصلى عليه جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه يصلي بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم علي وقيل ان عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفي مقتله) تقول زوجته نائلة بنت القرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي * وقد غيبوا عنا فضول ابي عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات

خذلته الانصار اذ حضر المو * ت وكانت ولاية الانصار
من عذيري من الزبير ومن طلحة اذ جاء أمر له مقدار
فتولى محمد بن أبي بكر عيانا وخلفه عمار

في شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالئ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان عثمان لحسان منحرفا عن غيره وكان عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار في قوله في شعره

باليت شعري وليت الطير يخبرني * ما كان شأن علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

وكان عثمان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها ما لا يعرف لغيرها منه وهي

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها * من الحرام ويبقى الاثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبتها * لا خير في لذة من بعدها النار

وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لامه فسمع في الليلة الثانية من مقتل عثمان يندبه وهو يقول

بني هاشم ايه فما كان بيننا * وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم * ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كي ما تكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

وهي ابيات فأجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بني هاشم ونسب اليهم الفضل بن العباس بن أبي لهب فقال

فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم * أضيع والقاه لدى الروع صاحبه
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا * فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولى العهد بعد محمد * على وفى كل المواطن صاحبه
على ولى الله أظهر دينه * وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من أهل صيفور مارح * فمالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق * فمالك فى الاسلام سهم تطالبه

(قال المسعودى) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير وما ثر حسان قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم الجزء الاول مكملا تصحيحه مهذبا طبعه وتنقيحه بمعرفة الفقير الى الله تعالى محمد الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ ويليه الجزء الثانى أوله ذكر خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه

3667